
الطَّوْطَم
رواية
عمرو المنوفي


كتب PDF عربية
www.kutub-pdf-ar.com

الطَوْطَم

الكتاب الطوطم

المؤلف عمرو المنوفي

تصميم الغلاف كريم آدم

تدقيق لغوي إسلام علي

رقم الإيداع 2016/27231

الترقيم الدولي 978-977-778-103-9

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 02 35860372

Noon_publishing@yahoo.com



وقال الله

ليكن نور

فسلك الإنسان طريق الظلام .

هذا العالم مكان سيء للحياة .

-عنها -

عندما كتبت رواية شمس المعارف، كانت هناك شخصية مريبة ظهرت ضمن سياق الرواية، تلك الشخصية أصابتني بمخاوف عدة، لدرجة أني شعرت بكونها حقيقية، وأنها من تملي علي الأحداث، ولعام ونصف ظلت تطاردني، ولم أستطع أن أتخلص من إلحاحها، فقررت أن أقيدها بسحر الورق .

وعندما صاحبتها في رحلتها عبر الأزمان والأماكن، فجّرت بداخلي ألف تساؤل عن حقيقة الكون، والإله، والسحر، والسحرة، والعلم، وتلك المخلوقات الغريبة التي تسكن ما وراء الكون .

وظلت تلك الشخصية التي عاشت لفترة لا تعلم مداها، تجاهد فكرة واحدة، أن هناك من حارب خالق الكون، وهزمه، وكبله، حتى التقت به .

تلك الشخصية ما زالت تطاردني

فهل لديكم المزيد من الفضول لمعرفة قصتها؟؟

فلتقلبوا الأوراق إذًا .

أعماق الذاكرة

-1-

المكان شمال أفريقيا .

الزمان مئة ألف عام قبل الميلاد .

كل شيء من حوله مظلم ومخيف وبارد، عيناه الحادتان تمسحان المكان بقلق، يقبع في مخبئه منتظرًا الإشارة.. لا شيء مهما كانت قوته سيثنيه عن إتمام مهمته الرهيبة؛ فهي وسيلته الوحيدة لعودة ابنه وزوجته إلى الحياة، بعد أن قتلهم المغيريون على قبيلتهم قبل ثلاث مواسم شتاء .

ما زال وقع الأمر على روحه مزلزلًا، ولم يتقبله بعد، وربما لن يتقبله إلى الأبد .

وما زال يستعر بأحشائه نفس الألم الذي واجه به حقيقة موتهم. ذلك الألم الذي سحقه في حينها، وحثه على مقايضة كل ما يملك، بحصان هزيل، ذهب به إلى

المعبد، وقدمه قربانًا إلى الساحرة الأم، وظل يتضرع للآلهة كي تعيدهم للحياة، دون أن تجاب دعواته .

كان على علم تام بأن نحره لذلك الحيوان المقدس الذي سلبه من أرض المعبد لم يكن ليمضي دون عقاب، لكن الجوع غلب تردده ومخاوفه، وبلحم ذلك الغزال البري قهر جوعه، وجوع أسرته الصغيرة .

لن يكون رجلًا أمام نفسه، وأسرته جائعة .

إن القبيلة في فاقة ومجاعة، والأرض التابعة للمعبد تمتلئ بالخيرات، لا يمكن أن تكون هذه قسمة عادلة، ولا أن يكون ثمن حيوان هزيل هو ابنه وزوجته . إنها مبالغة من الآلهة !.

مضى عليه الوقت ثقيلًا بعد أن واراهما التراب. ورغم استحالة الأمر، لم يعد يشغل عقله إلا عودتهما. فكما تهاون وخذلهما، سيصلح خطئه، ولو كان الثمن حياته. إن عودتهما للحياة هي ما ستطفئ تلك النيران المستعرة بأعماقه، وستمحو ذلك الشعور القاتل

بالذنب، كما أنها ستعيد له شرفه الضائع؛ فكيف يبقى على قيد الحياة، وأفراد أسرته أموات!؟ .

ومن أجلهما كَمُن في هذا المكان المخيف ينتظر الإشارة. وبرغم تأخرها لم تفتر عزيمته، إنه على استعداد تام لأن يظل منتظرًا ما تبقى له من عمر في هذا المكان المفزع؛ على أن يعود خاوي الوفاض إلى كوخه البارد .

الريح تصفر من حوله، والسماء ملبدة بالغيوم، والقمر يتألق من بين السحب في مشهد ساحر، ولكنه لم يكن ليبالي في تلك اللحظة بجمال الطبيعة أو سحرها؛ فبصره ظل معلقًا بتلك الأداة السحرية الملتفة حول ساعده، والتي لا تختلف عن أي ساعة ذكية حديثة .

ذهنه شارد، وعقله يردد تلك الذكرى التي أعادت له الأمل :

- «إذا امتلكت القوة المناسبة تستطيع أن تغير العالم، ولا قوة تفوق قوة الكلمات ».

ترددت هذه العبارة في عقله بوقع قوي. مما جعل قلبه ينبض في عنف، وهو يرد على صاحبها الغامض

- «هل معنى كلماتك هذه أن هناك وسيلة حقيقية لإحياء الموتى!؟ ».

الصوت البارد الثقيل يغمره

- «هل نسيت أني أعدتك من بين أنياب الموت!؟ ».

يتلعثم، وهو ينظر لصاحب العينين القاسيتين

- «ولكني لم أكن ميتًا؛ كنت فقط على وشك الموت !».

يدوي الصوت بصرامة

- «من يوقف زحف الموت، يستطيع أن يعكس تأثيره. أنا أمتلك المعرفة، ولكن تنقصني الوسيلة، وسيكون الثمن مروعًا ».

يهتف بقوة

- «أي شيء ولو كانت حياتي الثمن ».

تأتي النبضة، فتتبخر الأفكار من رأسه. يتحرك بحذر متسللًا من بين تلك الأحجار العتيقة القريبة من جدار المعبد الجنوبي، ليزيح مجموعة جافة من الأغصان تخفي خلفها مدخل ذلك النفق السري المؤدي إلى داخل المعبد. وقد بدا كرجل الثلوج بذلك الفراء الكثيف الذي يغطي به جسده بالكامل؛ كي لا تشتم ذئاب المعبد رائحته فتفتك به .

طوح الفراء الكثيف على مدخل الممر الحجري المظلم الذي لم تطأه قدم بشرية منذ قرن كامل؛ ليتحرك بحرية أكثر، وقد ظهرت الموجودات أمام عينيه، وقد اكتست جميعها باللون الأخضر الفسفوري .

عيناه منبهرتان بما يرى؛ فجوانب الممر الحجري تغص بتماثيل الآلهة دقيقة الصنع التي لم يجرؤ عنكبوت واحد على نسج خيوطه حولها، ولم يكن يباريها في الروعة، سوى تلك الرسوم المبهرة لمجموعة من حيات الكوبرا الراقصة، والتي ظهرت تحت الإضاءة الخضراء،

وكأنها تصطلي وسط نيران فسفورية متأججة. تلك الحيات التي تمثل طوطم قبيلته، والتي بدأت أمام عينيه حية أكثر من اللازم. أما ما أورثه الرعب فهي تلك الرسوم التي توضّح طقوس التضحية الشيطانية، والتي تجاوزها بسرعة قبل أن تُفتر من عزيمته .

كان مظهره عجيبًا بذلك الرداء الفضفاض المصنوع من ألياف الكتان، وتلك الحقيبة المنتفخة المصنوعة من الخيش التي يحملها على كتفه، وذلك الخنجر المصقول المصنوع من حجر الصوان الذي شهره أمامه؛ مقارنة بذلك المنظار المتطور الذي يغطي وجهه، والخاص بالرؤية الليلية، كمشهد عبثي بلا تفسير في ذلك الزمن الضارب في أعماق الماضي، وخلف أسوار التاريخ المسجل .

عصف الحماس بمشاعره، وهو يتحرك بحذر على الأرضية الحجرية، متجنبًا تلك الشراك المميتة المعدة تحسبًا لوجود متسللين أمثاله، بعد أن قهرت تلك الأداة السحرية التي يرتديها على عينيه سطوة الظلام الدامس الذي غمر الممر، وأرشدته إلى هدفه عبر

مجموعة من الممرات المتشابكة، ولولاها لما كتبت له النجاة أو الوصول لهدفه .

كانت المرة الأولى التي يكون فيها قريبًا من السحر إلى هذا المدى، فغلب انبهاره خوفه، وشجعه على التقدم أكثر. مكانته المتدنية كخادم لم تكن تسمح له بالاقتراب من مهجع الساحرة الأم إلى هذه الدرجة؛ فهو منطقة محرمة، كما أن المعبد نفسه قلما يخلو من زائرين أو حراس .

والحراس أنفسهم لا يعرفون إلا لغة الدم ..

لا توجد ذبابة يمكن أن تخاطر بنفسها لمحاولة العبور دون رغبتهم؛ فلا أحد يخطو بقدمه إلى قدس الأقداس إلا المختارين، أو من تستدعيهم الساحرة الأم عن طريق دخانها السحري .

كانت مخاطرة جسيمة، ولكن ابنه وزوجته يستحقان الثمن، والذي أخبره الذي لا اسم له أنه سيكون مروعًا .

تجنب آخر الفخاخ القاتلة، والتي صنعت في الأساس لاصطياد السباع، وعبر إلى ممر حجري أضيق، وصوله إليه كان يعني أنه قطع نصف المسافة إلى هدفه بنجاح .

كان يدرك أن أساس نجاحه حتى الآن في مهمته، هو الموت المفاجئ للساحرة الأم؛ فلو كانت على قيد الحياة لما نجح في أن يعبر من بين أنياب ذئابها، ولا الوصول إلى هذه المسافة بداخل عرينها .

موت الساحرة كان صاعقًا على الجميع؛ فهو شيء لم يتوقعوه أو يضعوه في حساباتهم على المدى القريب؛ فالعرف يقول أن كل ساحرة تتنبأ بموعد موتها، والساحرة عند ظهور القمر القادم ستكون قد تخطت المئة وعشرة أعوام حسب كلام جده الراحل، وما زال جسدها في ريعان شبابه، مكتمل بأنوثته، هو نفسه رآها مرة واحدة، وكاد قلبه ينخلع من الرهبة. كان جمالها مهيبا وآسرا .

صاحب موت الساحرة انطفاء الشعلة المقدسة التي لم تخبُ مرة واحدة منذ مائة عام، وهو نذير شؤم عظيم، مما جعل كهنتها يسارعون بإغلاق مهجعها على كنوزها، وكتبها، ومخطوطاتها، حتى تنتهي طقوس الدفن، وبعدها طقوس التنصيب لمن ستختارها النجوم لتحل روحها فيها .

فلا يمكن أن تظل قبيلتهم بدون ساحرة، تقرأ الطالع، وتستمطر السحب، وتداوي المرضى، وتباركهم عند الخروج للصيد، أو عند مهاجمتهم للقبائل أسفل التل الكبير .

النجوم ستختار، وإلى أن تختار سيظل المعبد مغلقًا أمام الزائرين، ولن تقام طقوس أو تقدم أضحيات لمدة أربعين ليلة، ولن يسمح إلا لكهنة المعبد الذين اتشحوا بثوب الحداد، بالولوج إلى غرف التحنيط، بالقرب من البرج الشمالي .

كان يعرف أنه يجازف مجازفة كبرى، ليس فقط بحياته، بل وبحياة ذويه .

فلو كُشف أمر جريمته النكراء هذه، فلن يكون هناك مكان على الأرض يهربون إليه، وسيكون عقابهم أسطوريًا، وسيعذب هو وكل من على قيد الحياة من عائلته حتى تبلى أجسادهم، قبل أن يحرقوا أحياء .

كان مصيرًا جهنميًا متوقعًا. خاصةً وهو يعلم أن حراس المعبد قادرون على الإبقاء على حياته لعام كامل، يلقى فيه من العذاب ما سيجعل الموت أمنية غالية .

كان الأمر مفزعًا ولكنه يستحق؛ فوصوله إلى هذا المكان كان الهدف الأساسي من خدمته في المعبد طوال الثلاث سنوات الماضية، وهو ما حثه على دس السم للساحرة الأم في منقوع الأعشاب الصباحي، مجازفًا بأن تُلعن روحه. وبالفعل نجحت مساعيه في أن يصل أخيرًا إلى حرمها المقدس، بل وتوصل إلى مخبأها السري الذي تخفي فيه الرقاع المحرمة .

إن تلك الأداة السحرية التي يرتديها على وجهه متعددة الاستخدامات؛ إنها لم تمكنه فقط من السير

في الظلام، وتجنبه الفخاخ القاتلة، بل وجعلته قادرًا على الرؤية عبر الجدران ليكشف المخابئ السرية الموجودة بداخل المكان .

وكاد أن يشيب شعره من هول ما رآه خلف الجدران؛ لقد كانت تلك الساحرة اللعينة تستخدم الأطفال في أعمالها الشيطانية الخبيثة، وتحبسهم بعد إتمام طقوسها عليهم، خلف الجدران، حتى تجف أجسادهم من الجوع والعطش، دون أن تترك وسيلة لإخراجهم غير تحطيم هذه الجدران الحجرية الصلدة، وهو ما لم يملك فعله .

إنه لن ينسى أبدًا مشهد ذلك الطفل المحتضر، المحاط بالحشرات، والذي تآكل جلد وجهه، وتيبست أطرافه، دون أن يريحه الموت الذي أخرته كثيرًا تعويذة الساحرة الأم .

جلس على مصطبة حجرية تم تغطيتها بصوف وعل جبلي مدبوغ، وقلبه يدق في عنف. منظر الطفل هزه من الأعماق وذكره بابنه الراحل، ومع عدم وجود ما

يملكه من أجل مساعدته، قرر أن ينجز مهمته في أسرع وقت ليغادر هذا المكان الملعون .

كسر ختم الصندوق الذي أخرجه من المخبأ السري، وأخذ يتصفح تلك الرقاع الجلدية، التي خطت فوقها الكلمات المحرمة بلغتها المندثرة، والتي لا يملك قراءتها إلا مجموعة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة في هذه الأصقاع النائية .

كان يتأملها بغير فهم، وبرغم ما تعلمه في المعبد خلال سنواته الثلاث التي زرعه فيها الذي لا اسم له بداخله، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها نقوشًا مماثلة. كانت أقرب للرسوم منها للكتابة، وكأن من خطها طفل لا يعلم أي شيء عن الحروف .

ولكنه لم يكن ليعجز أمامها؛ فكل شيء مدروس ومنظم، وهو يتحرك وفق خطة مدروسة يحفظها عن ظهر قلب، فقط لو كانت تلك الأدوات السحرية أقل تعقيدًا، لكان الأمر أيسر وأسرع .

وبهدوء، تناول من حقيبته الكتانية، جهازًا لوحيًا مصنوعًا بالكامل من ألياف الكربون، وعلى جانبه شعار شركة (آبل) بتفاحتها المقضومة، في تعارض صارخ، مع بدائية المكان والزمان الذي تواجد فيهما .

تعامل مع الجهاز اللوحي بحذر ولكن بمهارة، قبل أن يفتح التطبيق الخاص بالترجمة، وبمجرد أن مرره على الكلمات، اقشعر جسده، وشعر ببرودة هائلة تغزو أطرافه .

لم تكن الكلمات التي تراصت على شاشته الشفافة إلا النطق الصحيح، لاسم واحد من ألعن شياطين العالم السفلي، وأكثرهم خبثًا وشرًا .

لو كانت النقوش لتعويذة شيطانية، أو لعنة، لما اهتز إلى هذه الدرجة؛ إنه يدرك الآن أن روحه لن تلعن فقط، بل ستتعفن في أعماق الجحيم .

إن النصوص المقدسة تتحدث عن أن هذا الشيطان الخبيث هو الحارس الأوحد لمخطوطة ابن الشيطان

التي تحتوي على كل علوم السحر الأسود، وعلى كل أسرار الكون التي غمض تفسيرها عبر الزمن، وأن من يستطيع نطق اسمه يحصل على ولائه وعلمه .

ولوهلة داخله القلق الممتزج بالهلع، خاصةً بعد أن رأى بعينيه كيف تطبق الأعمال السحرية. إن الطفل المسجون الذي جف جسده خلف الجدران ما زال حيًا، فأي هول تشتمل عليه تلك المخطوطة!؟ .

وبرغم ما داخله من روع، إلا أنه أكمل قراءة الرقاع، ثم قام بكتابة منطوقها بلغته الأساسية على رقاع أخرجها من حقيبته، ولم ينسَ أن ينقل الرسوم التي تمثل النغمات الصوتية التي يجب أن تصحب الكلمات في رقاع منفصلة .

وعندما انتهى، قام بصب سائل نفاذ الرائحة على الرقاع الأصلية، التي تشربته في سرعة عجيبة، وتركها تذوب في بطء .

كان الخوف يقتله، بعد أن علم بفداحة ما يقوم به .



هكذا أخبره عن نفسه عندما التقى به لأول مرة قبل ثلاثة أعوام، وهو على وشك الموت بعد إصابته الشنيعة جراء صراعه مع أسد جبلي غاضب حاول اصطياده ليقدمه كقربان أعظم للآلهة لعلها تستجيب لصلواته وتعيد إليه ابنه وزوجته. ساعتها ظهر الذي لا اسم له بثيابه العجيبة الضيقة، وقلادته المميزة، وقبعته الكبيرة، وعصاه ذات الرأس الفضي، ووعده بإعادتهما للحياة، لو التزم بالطاعة .

كان مخيفًا إلى درجة كبيرة، وكانت عيناه الثاقبتان تشعان شرًا كثيفًا، ولم يكن أمامه إلا الطاعة؛ فالأسد الجبلي قد مزق له جزءًا كبيرًا من ذراعه، ونهش جزءًا لا بأس به من صدره، وكان بالفعل يحتضر عندما أرسلت له الآلهة هذا الغريب المتسربل في السواد .

لقد ظنه في بادئ الأمر أحد تلك الأرواح الخبيثة التي ستصحبه إلى جحيم العالم الآخر كانتقام أخير منه على قتله ذلك الحيوان المقدس، ولكنه بعد حديثه معه، أدرك أنه طوق النجاة الوحيد الذي يمكن أن

يتشبث به؛ لينجوا من الموت الذي يخشاه كثيرًا، ويحقق أمنيته المستحيلة .

كانت لهجته غريبة، وصوته عميق وكأنه يأتي من قلب قبر مغلق، يلتف حول معصمه درع معدني غريب مليء بنقاط مضيئة لا يتوقف عن تحسسها، وعن طريق أداة لامعة ذات مقدمة مدببة قام بطعنه بها في جانب عنقه أعاده إلى الحياة .

لم يكن الأمر هينًا، بل كان مؤلمًا إلى درجة لا يمكن وصفها .

فبعد أن طعنه بتلك الأداة المدببة، شعر بحرارة جسده ترتفع، حتى وصلت إلى درجة مروعة وكأنه يسبح بقلب أتون من اللهب، دون أن يمتلك خفضها أو تقليل حدتها. وظل يعاني من آثار الاحتراق لعدة ساعات مضت عليه كقرون، قبل أن تنخفض حرارته بغتة ويعود جسده إلى طبيعته، بعد أن شفيت إصاباته، ورممت تلك الأجزاء المفقودة منه، والتي التهمها الأسد الجبلي، ليعود صحيحًا كجواد بري .

أمره الذي لا اسم له بأن يناديه بلقب (الساحر)، وهو لقب يليق به، وإن كان لا يليق بعظمته، فأطلق عليه بينه وبين نفسه اسم (الساحر العظيم).

كان عليه بعد أن أنهى مهمته، وتسلل خارج المعبد من نفس النفق السري الذي أعده الكهنة للطوارئ، أن يلقاه في الغابة القريبة من المكان، وهو لم يكن يشعر بالارتياح لهذا الاختيار .

إنه يخشى الاقتراب من تلك الغابة في وضح النهار، فما باله بالليل! إن تلك الغابة الخبيثة لعنتها الساحرة لتحمي حدود المعبد الجنوبية، لذا فأشجارها لا أوراق لها، ويخرج منها سائل أحمر يشبه الدماء .

وهو سائل شديد السمية، يكفي أن يلمسه الكائن الحي، حتى تحترق روحه، فيعاني آلامًا لا تطاق، وتتعفن خلايا جسده وهو على قيد الحياة، وتذوب فلا يبقى له أثر، وهي ميتة ملعونة لا يتمناها لنفسه .

إن كل شيء يتعلق بالساحرة والمعبد يفوح بالموت، فكيف توقع أن يهبا لابنه ولزوجته الحياة!؟ .

نبضت تلك الأداة الملفوفة حول معصمه فتحفز، إنه يسير ضمن الجدول الزمني الموضوع بدقة، وهذه النبضة معناها أنه سيلقى الساحر الآن، ليمنحه الرقاع التي تحتوي الاسم الملعون، ليتخلص من العبء الذي يثقل كاهله، وينفذ له وعده بإعادة ابنه وزوجته للحياة .

إن من يمتلك كل هذه الأدوات السحرية، وأعاد بناء جسده، واختطفه من بين أنياب الموت، قادر على إعادة الحياة لهما. إنه يثق به أكثر من الساحرة الأم، وآلهة المعبد أنفسهم .

كان متلهفًا إلى لقائهما، فأخذ يحصي الوقت الذي أخذ يمضي ببطء، وعلى غير العادة تأخر الساحر في الحضور هذه المرة، ومعنى النبضة الثانية من الأداة السحرية التي تحيط بمعصمه، أن عليه أن يغادر ليلتقيا في المكان التالي .

كل شيء محسوب بدقة، وله خطة بديلة .

وعندما هم بالتحرك لينفذ الجزء الأخير من مهمته، توتر الهواء من حوله، وارتفعت درجة حرارته، وشعر بالجو يشحن بطاقة عنيفة، وكأنما غص بالصواعق الرعدية، مما جعله يتقهقر إلى الوراء في قلق، وعيناه تتابعان المكان الذي تكونت بقلبه دوامة ضوئية مبهرة يتقافز بداخلها الشرر .

حاول أن يطمئن نفسه، ولكن شيئًا في أعماقه أخبره أن بالأمر شيء خاطئ؛ فما يحدث لم يكن في الخطة الموضوعة، لقد نبضت النبضة الثانية بالفعل ولم يظهر الساحر .

تلفت حوله في قلق يبحث عن أي علامة على حضوره دون جدوى، ليعود ببصره إلى الدوامة التي لم تستقر على هيئتها إلا ثوان معدودة، لتتشكل بعدها على هيئة بوابة ضوئية متماوجة، عبرتها بسرعة وبخطوات واسعة، امرأة فاتنة ترتدي زيًا عجيبًا لامعًا من قطعة

واحدة، وتحمل في يدها جسمًا اسطوانيًا عجيبًا يشبه الصولجان .

وقبل أن يتحرك أو يصدر عنه أي رد فعل، رفعت تلك المرأة الجسم الاسطواني نحوه، لينطلق من فوهته شبكة من سائل رغوي ثقيل، صعقه فور أنا لامس جسده قبل أن يحيط به يكبله .

وبكل هدوء اقتربت منه تلك الفاتنة ذات الملامح الصارمة، واستخلصت حقيبته الكتانية من بين خيوط الشبكة، وتفحصتها جيدًا، وعيناها تتألقان في ظفر .

لتخرج من طيات ثيابها خنجرًا ماضٍ، خضّبت حده بذلك السائل الدموي الذي ينز من أشجار الغابة من حولها، وطعنته به، لينتفض جسده للحظة، قبل أن يكسوه العفن، بسرعة جهنمية !.

لم تنتظر هي لتشاهد جسده وهو يتحلل، بل دارت وعبرت البوابة الضوئية في الاتجاه العكسي، ليبتلعها الضياء، وفي رأسها دارت الفكرة

(لقد قطعت الطريق هذه المرة على الساحر، لن يستطيع تتبعها بسهولة؛ خاصة بعد أن يتلاشى جسد ذلك المساعد الأحمق، فتنقطع صلته الروحية بالرقاع والكلمات).

وما أن عاد الظلام ليكلل الغابة، حتى ظهر الساحر في نفس المكان من قلب العدم، وقد اكتسى وجهه بقناع بارد، ليوجه حديثه إلى تلك الفتاة التي تصحبه، والتي كانت تملك وجهًا أكثر برودة، وكأنما قُدّ من ثلج، ليقول

- «هل تستطيعين قراءة عقل ميت؟ ».

أجابته الفتاة على الفور

- «لقد قرأته بالفعل ».

رمقها لوهلة قبل أن يقول بصوت هادئ

- «أكانت هي هذه المرة؟ ».

هزت رأسها بإيجاب قبل أن تقول

- «من غيرها!؟ إنها تستخدم البوابة الزمنية بكثافة. لابد وأنها يائسة».

نظر نحوها ثم قال

- «إنها فرصتنا الأخيرة للقضاء على تلك اللعينة. هل تستطيعين تتبع أثر البوابة الزمنية؟».

أجابت على الفور

- «لقد ذهبت إلى المستقبل.. لو تحركنا الآن سيفصلنا عنها خمس سنوات فقط».

وعلى الفور تحركا معًا، وعن طريق جهاز إليكتروني متطور ملتف حول ساعده، تكونت بوابة زمنية مشابهة لتلك التي احتوت المرأة الفاتنة، قبل أن تسبقه إليها الفتاة قائلة

- «لابد وأن لديك خطة؛ فما استولت عليه هذه المرة خطير للغاية».

ابتسم الساحر في ثقة قبل أن يقول

- «إنه طريقنا الوحيد إليها.. وإلى الطوطم !».

لم تبتسم الفتاة، ولكنها تطلعت للجثة المتعفنة، ثم إلى وشم دقيق لزهرة حمراء يكلل يدها، قبل أن تقول

- «وهذه المرة، لن يحز عنقها غيري !».

عبرت الفتاة البوابة الزمنية ليبتلعها الضياء، ليتبعها الساحر، وهو يتمتم في هدوء وهو يفكر في عمق

- «هي لكِ يا زهرة ».

تألقت البوابة، ثم اختفت، وعاد معها الظلام ليكسوا المكان، وبقلبه كانت تلك الجثة تتحلل ببطء، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تتلاشى تمامًا .

وعلى البعد حدث انفجار رهيب، أطاح بالمعبد وما حوله لمئات الأمتار، لتبدأ سلسلة هائلة من التغيرات

عبر الزمن والتاريخ، قبل أن يسود الظلام وتنتشر في المكان تلك الرائحة المزعجة .

رائحة الموت !.

(2)

المكان شمال أفريقيا .

الزمان 2150 ميلاديًا .

انطلقت صافرات عربات مكافحة الإرهاب الفضائي المدرعة، لترج فضاء ميدان العاصمة الإدارية الكبير، والذي تمت إحاطته بقبة كهرومغناطيسية عازلة فور ولوجهم إلى ساحته، وعلى الفور انتشرت القوات الخاصة لتعزل العشرات من المدنيين عن ذلك المتحول نصف البشري، والذي لم يتوقف لحظة واحد عن مهاجمة المئات من المحتجزين معه أسفل القبة، ليصيبهم بذلك الفيروس الفضائي الرهيب، والذي يحوّل من يصيبه إلى مسخ بشع شديدة القوة والشراسة .

كان إجراء العزل أمرًا حتميًا، ولكنه لم يكن صحيحًا في توقيته، ومن أمر به كان يدرك أنه سيكون له ردود فعل عنيفة لا يمكن توقعها على الرأي العام سواء

العالمي أو المحلي. إن الانتقادات لم تتوقف لحظة واحدة منذ تفجر هذا الخطر المروع في ربوع مصر، وتم إيقاف كل الرحلات البرية والجوية والبحرية منها وإليها، وصُنّفت كمنطقة معزولة شديدة الخطورة .

ومع بدء المواجهة الفعلية غير المدروسة، اتخذت حكومة الحزب إجراءات كارثية هستيرية؛ خاصة بعد تفشي تلك الكارثة في العاصمة الإدارية شديدة الازدحام، مع سعيها الدؤوب للسيطرة على الوباء الرهيب، الذي لم يعرف أي من المسؤولين كيف بدأ حتى هذه اللحظة .

كانت شاشات القنوات الفضائية الهولوجرامية المتصلة جميعها بالأقمار الصناعية، مسلطة على ذلك الحدث المخيف، وتتابعه لحظة بلحظة، فتحول الأمر إلى فضيحة عالمية مكتملة الأركان، خاصة مع تلك البلدان العدوة المتربصة بمصر منذ أكثر من قرن كامل، والتي أخذت تضخم في الأمر، وتسعى لإعلان مصر دولة غير آمنة؛ من أجل ضرب السياحة .

الهدف الأول والدائم لكل أعداء هذه الدولة الصامدة، عبر التاريخ، وعبر الزمن، رغم كم المؤامرات التي تحاك ضدها .

رصدت الكاميرات بداية ظهور ذلك المتحول الشرس ضخم الجثة، الذي كان يتحرك بسرعة مذهلة، وبعنف لا مثيل له، مع تعليقات المذيعين المصدومين من ذلك الكم من العنف الدائر أمامهم، ومن سرعة ذلك المتحول البشري، ودمويته، قبل أن تقطع القبة البث .

فهذه السرعة كانت نقلة نوعية عنيفة في طبيعة الكائنات المصابة بالفيروس، والتي أُطلق عليها في وسائل الإعلام المتنوعة لقب (الفومبي) نسبة إلى طبيعة الفيروس الفضائية، وهيئة المصابين الذين يشبهون الزومبي في أفلام الرعب التي لم تفقد بريقها بعد .

فكانت هذه الكائنات الشنيعة تتحرك بسرعة متوسطة نسبيًا فيما سبق، ولا تتفوق في سرعتها على سرعة شاب بشري ناضج، مما مكن جنود الجيش، ووحدة



غزوها للفضاء هو سبب تلك الكارثة؛ خاصة بعد العثور على أول الكواكب المأهولة في مجرتنا، مجرة التبانة .

وفي تلك اللحظة المرعبة، وبينما كان الجنود يواصلون انتشارهم في المكان، انقض ذلك المتحول الضخم الهيئة مشوه الوجه على طفلة في السابعة من عمرها كانت تتشبث بدميتها القطنية في هلع، ونهش عنقها في قوة وقسوة، ليشاهد جثتها تتكوم على الأرض أمامه بلا روح، لينتابه غضب شديد؛ فهو من أعماقه رافض تمامًا لما تقترفه يداه من إيذاء وإراقة الدماء، وبرغم ذلك يقوم به على أكمل وجه مستخدمًا كامل مهاراته وقدراته المتفوقة، ولم يستطع منع نفسه من مواصلته !.

لقد انتزع هؤلاء المخربون إرادته وبرمجوا عقله، وإن لم يمحوا ذاكرته أو يحيدوا وعيه، ليتعذب ألف مرة أثناء قيامه بمهمته البغيضة. إنه حتى هذه اللحظة لا يعلم كيف سيطروا عليه، دون أن يقاوم أو يقاتل !.

بل كيف توصلوا إليه وعلموا بوجوده!؟ إنه شبح، ولم يتم إدراجه في سجل رسمي واحد !.

كل ما يذكره عن تلك الفترة المشوشة، أنه استسلم لتلك المتوحشة ذات الوجه البارد بمجرد أن وقع بصره عليها، وكأنه كان ينتظر فقط أن تتجلى أمامه ليقدم لها فروض الولاء والطاعة. لقد سيطرت عليه، دون أن تحرك إصبعًا واحدًا، بطريقة مريبة لم يستوعبها حتى الآن .

لقد تصور بعد خضوعه لتلك التجربة العلمية المتطورة، وبعد العديد من الاختبارات الشاقة، أنه أصبح إنسانًا خارقًا منيعًا، بل أقوى إنسان على ظهر كوكب الأرض، تنقصه فقط القدرة على الطيران ليصبح سوبرمان هذا العصر، وكانت تلك الوسيلة التقنية متوفرة حتى للعامة .

وفي ضربة واحدة فقد كل ما كان يميزه، وأخطر ما فقده هو حريته وإرادته الحرة. لقد صار كالروبوت

ينفذ الأوامر دون أن يمتلك القدرة على الرفض أو المناقشة .

وبرغم رفضه الداخلي المتصاعد، كان حريصًا كل الحرص على أن يكمل مهمته التي بدأها منذ ثلاثة أيام، وهو يقوم بنشر الوباء في ربوع العاصمة الغافلة .

ومنذ ساعة تقريبًا، أتاه الأمر العقلي الجديد بلا مقدمات، ليستجيب له على الفور، بينما في عقله تدور التساؤلات كجرس إنذار مزعج: تُرى هل زرعوا في عقله شريحة اتصال نانومترية؟ وكانت الإجابة: غير مستبعد! فعقله قادر على مقاومة أي محاولة للسيطرة العقلية، مهما كانت قوتها أو تركيزها. إنه نسخة بشرية لا تقهر. أو كانت لا تقهر قبل مقابلته لتلك المتوحشة، التي مزقت بخنجرها فقط كل العاملين ورجال الأمن بذلك المختبر السري المقام بقلب الصحراء الغربية، قبل أن تأسره .

أما ما أثار دهشته في الأمر العقلي الجديد، هو كونه مخالفًا للأمر السابق، بل هو عكسه تمامًا! فعليه أن

يتخلى عن فكرة السرية التي حرص عليها طوال الأيام الماضية أثناء تنفيذ مهماته .

وليس هذا فقط، بل عليه أن يثير أكبر قدر ممكن من الذعر والهلع والبلبة في الميدان الذي يغص بالمواطنين والسائحين القادمين لرؤية مكتبة القاهرة الجديدة. والتي تم تشييدها بالقرب من المتحف، والتي تحوي تلك المخطوطات الفرعونية السرية، التي تم اكتشافها في غرفة الهرم الأكبر السرية، بعد أن توصل إليها العلم الحديث باستخدام تقنية روبوتات النانو، والتي تسجل تفاصيل أول اتصال فعلي تم بين الفراعنة، وبين مخلوقات فضائية ذكية، وكيف أن الفراعنة بعلومهم السرية المتفوقة، ساعدوا تلك المخلوقات ذات البشرة الخضراء والرؤوس البيضاوية في إصلاح مركبتهم، ومنحوهم خريطة كونية دقيقة جدًا استخدموها في العودة لكوكبهم، بعد فساد جهاز الملاحة الخاص بها، بل وكرموا أحدهم بتحنيطه ودفنه في إحدى المقابر، كما يحدث مع ملوك الفراعنة .

كان يعلم بالطبع كل تلك المعلومات؛ فجميعها مزروعة بعقله المتطور الموسوعي، ولكنها لم تكن تشغل فكره في هذا التوقيت الحرج؛ فكل ما كانت تتجه إليه إرادته، هو أن يقاتل ويقاتل ويقاتل، حتى آخر نفس يتردد في جسده. حاول أن يقاوم تلك السيطرة المريبة ولكنه فشل، حاول أن يقلل من عنفه وطريقته الدموية، ولكنه فشل أيضًا !.

ومع عدم سيطرته على جسده، ومع قوته المفرطة، أصبح عدد القتلى يتضاعف مع مرور الوقت، فوصلت نسبة نجاحه في نقل العدوى إلى خمسين بالمائة، وهي نسبة غير مقبولة بحساباته العسكرية الاستراتيجية. ولكنها كانت كافية لصنع جيش من المتحولين، قادر على التصدي للقوات المتواجدة معه أسفل القبة، والأهم كان إثارة الهلع والفزع في المكان .

لم يكن يفهم الغرض من كل هذه الضجة التي افتعلها، ولكنه يقوم بما تم تكليفه به رغم ما يعتصره من ألم .

كان بإمكانه خلال شهر واحد تحويل سكان العاصمة الإدراية جميعهم إلى مصابين بذلك الوباء الفتاك، الذي يشوه الملامح، ويعزز بداخل كل ضحية مشاعر العنف وشهوة الدماء، بعد أن يعبث بجيناتها وتركيبها الخلوي، فيحولهم خلال دقائق معدودة إلى مسوخ ضارية،

والآن بعد أن كان سلاحَ ردع للأعداء، تحول لسلاح اغتيال بين أيديهم، وعليه أن يواجه جنود بلده، وأن يقتلهم أو يحولهم لمسوخ فيقتلهم زملاؤهم .

ومن داخل إحدى سيارات المتابعة، والتي استطاعت الولوج إلى داخل القبة الكهرومغناطيسة مع حشد سيارات وحدة مكافحة الإرهاب الفضائي، التي تم استدعاؤها على عجل، قبل أن يعزل الميدان عما حوله، اتسعت عينا العميد سعد ماهر، وهو يقول في ذهول

- «يا إلهى! إنه رعد 514!! ما رصدته أجهزة التتبع حقيقي! ستكون مذبحة لم يحدث لها مثيل !».

قالها، وهو يسحب هاتفه المضاد للتجسس والاقتفاء قبل أن يستطرد

- «لجنودنا !».

انتفضت مساعدته في قوة وقالت

- «لابد من قدوم فرق القوات المدرعة جميعها! لابد من إعلان الكود 7 !».

لم يمهلها العميد سعد الوقت لتكمل، وخاطب عبر الهاتف رئيسه المباشر قائلًا

- «كارثة يا سيدي! رعد 514 أصيب بالفيروس الفضائي، وتحول لمسخ، ونحن نحاول أن نقلل من حجم الكارثة.. ومن الواضح أننا سنحتاج كل ما هو متوفر من قوات لردعه، ولا أعتقد أن إعلان الكود 7 كاف، و ...»

قاطعه رئيسه المباشر قائلًا عبر الهاتف المزود بتقنية حديثة تمكنه من التواصل رغم وجود القبة العازلة

- «الأمر أصبح كارثيًا بالفعل! لا مجال للاشتباك معه الآن قبل وصول الدعم. حاصروه! ولا تجعلوه يغادر القبة بأي ثمن! فقط أخّروا الاشتباك لآخر لحظة؛ كي لا تستنفروا من داخله قدراته المعززة ».

وهنا تردد سعد قبل أن يقول

- «والمدنيون؟؟ ».

أتاه الصوت البارد قائلًا

- «هؤلاء انتهى أمرهم بالفعل، المهم ألا يغادر القبة حيًا، ولو اضطررت لنسف الميدان كله بقنبلة ارتجاجية محدودة.. وهذا أمر مباشر ».

انتفض جسد العقيد سعد في قوة فور سماعه الجملة الأخيرة، وبرغم مشاعره المضطربة، لم يُضِع ثانية واحدة، ووجّه الأمر لرجاله ببدء تجهيز القنبلة، والاستعداد لخروج طارئ من تحت القبة .

وعلى الجانب الآخر من الميدان، وبقلب أحد الفنادق الشهيرة المعلقة، والتي تتألق كماسة مشتعلة في سماء القاهرة باستخدام مضادات الجاذبية الحديثة، وعن طريق بلورة كرستالية متألقة تشبه بلورات سحرة العصور الوسطى، كان يتابع ما يجري في الميدان باهتمام، شخص مخيف الشكل مكتحل العينين، يرتدي حُلّة سوداء أنيقة أشبه بحُلّات اللحادين تزينها قلادة ضخمة، ويقبض على عصا لها رأس فضية لامعة، وبجواره فتاة جميلة الملامح لها نظرات حادة، ترتدي زيًا حديثًا من قطعة واحدة زادها أناقة، وإن تألقت في عينيها رغبة وحشية لرؤية تلك الفوضى .

وكان من الواضح أن تلك الأحداث الدموية المخيفة تبهجهما إلى أقصى مدى، وكأنهما شيطانان يشاهدان في ظفر نهاية الجنس البشري .

الشيء المدهش والشاذ في جلستهما هذه، غير تلك البلورة الراصدة، هو تلك المبخرة النحاسية البادية القدم، والتي كان بداخلها كمية من الفحم المشتعل الذي تم حظر استخدامه منذ عدة عقود مضت. والذي

وضع فوقه نوع عجيب من البخور المخلط، كان يفوح برائحة نفاذة مزعجة، ويطلق أدخنة ملونة عجيبة، تتماوج فوق المبخرة، وكأنها أرواح معذبة يتم انتزاعها من قلب الجحيم. ولتكتمل الصورة المفزعة، كان ذلك الشخص المخيف، يتمتم بكلمات ذات وقع مفزع .

كلمات لا تتناسب مع هيئته، ولا هذا العصر الذي يتواجد فيه .

كلمات كانت تشبه الصلاة، ولكنها كانت مناجاة لبعض مردة الشياطين .

والشيء الأكثر غرابة أن الأمر لم يتوقف عند تلك الترانيم الخبيثة؛ فذلك الشخص المخيف كان يقوم بعمل غير مفهوم؛ فقد انهمك في صناعة العشرات من الدمى الورقية البدائية، وهو يتابع المذبحة الدائرة تحت القبة العازلة .

وبعد أن انتهى منها، بدأ يخط عليها بقلم بدائي، هذّب سنه بخنجره، ومن دواة تحتوي ما يشبه الحبر الأحمر،

خط عليها بعض الطلاسم والأسماء المحظورة لبعض ملوك الجن، ليجمعها بعدها، ويمررها فوق سحب البخور التي أصبحت حركتها أكثر توترًا، وكأنها تتفاعل مع ما يموج بروحه .

وفي نفس التوقيت الذي كان رعد يقترب فيه من تلك القوات المتأهبة لمواجهته، بدأ ذلك الشخص المخيف الملامح في حرق أول دمية ورقية، لتشتعل النيران دون مقدمات في ملابس وجسد العقيد أسعد، الذي أخذ يصرخ في هلع، والنار تلتهم جسده القوي دون هوادة، ليترك كل رجاله ما بأيديهم لنجدته .

ليشعل ذلك الشخص المخيف دمية ورقية أخرى، لتشتعل النار في جسد مساعدة العقيد الأولى، قبل أن يجمع بعض الدمى الورقية معًا، ويخرج من نطاقه خنجرًا رفيعًا حادًا، ليغرسه في موضع العين اليسرى لتلك الدمى الورقية، لتتناثر جثث مساعدي العقيد أسعد بداخل سيارة المتابعة المصفحة، وقد تفجرت عيونهم وانثقبت جماجمهم، ليتركوا خلفهم تلك القنبلة الارتجاجية، تعد عدًا تنازليًا مرعبًا .

كان الفزع واضحًا بشكل مفزع على أوجه المدنيين العزل المتواجدين خلف ذلك الساتر البدائي الذي أنشأته تلك القوات المحدودة باستخدام سيارتهم المدرعة، وأوقفوهم خلفها متحفزين، وكان من المؤكد أنهم سيكسرون أوامر منع الاشتباك .

بينما كان رعد يتحرك كحيوان ضار ببشرته المشوهة، وسرعته الكبيرة، وخلال دقيقة ونصف أطلقت فيها القوات مئات من حزم الأشعة القاتلة، كان قد أجهز على عشرين منهم، وخمسة وثمانين من المدنيين. وما هون الأمر على القتلى والمصابين منهم، أن الأمر تم بسرعة رهيبة لم تستطع عقولهم استيعابها، فلم يشعروا بأي ألم .

ومع كل قتيل يسقط كانت ابتسامة ذلك المخيف تتسع، وعندما اخترقت القوات المدرعة القبة لتساند من تبقى من القوات التي تخوض حربًا يائسة ضد رعد ومن اكتمل تحوله من المدنيين، أحرق ذلك الشخص المخيف ما تبقى من دمى ورقية لديه، ليتحول المكان إلى جحيم حقيقي، قبل أن تنهار القبة العازلة، لتنقل

عدسات الكاميرات المتحفزة المشهد المخيف إلى العالم كله .

وهنا انتفض جسد تلك الفتاة باردة الوجه جميلة الملامح، وهبت من مكانها وهي تقبض على خنجرها في قوة، وعندما همت بالاندفاع خارج المكان، أوقفها صوت ذلك الشخص المخيف قائلًا

- «حنانيك يا زهرة؛ لم يحن وقت اشتراكك في الأحداث بعد ».

وقبل أن تجيبه، دوى في المكان صوت أنثوي غاضب قوي

- «لن يذهب أي منكم إلى أي مكان !».

وقبل أن يتحرك أي منهم، تجسدت في المكان تلك القنبلة الارتجاجية التي أوشك عدها التنازلي على الانتهاء، قبل أن يستطرد الصوت الأنثوي الغاضب قائلًا

- «هذه هي نهايتكم الحقيقية ».

ومع نهاية جملتها، انفجرت القنبلة الارتجاجية، لتمزق جسد زهرة، وتطيح بالفندق كله، وتلتهم معها الميدان وكل المباني التي حوله، والتي لم ينجح رجال الأمن في إخلائها جميعًا .

ومن بين العوادم وسحب الدخان والأتربة التي ارتفعت لعنان السماء، تألقت تلك البوابة الزمنية بشكل مبهر، ليعبرها ذلك الشخص المخيف الذي أحاطت به هالة شفافة عزلته عن كل الدمار الذي يحيط به، تتبعه بعض تلك الأشباح الدخانية الملونة، التي كانت تطفوا بحجم مصغر فوق المبخرة، وهو يتمتم في قوة

- «الساحر لا يهزم أيتها اللعينة.. سأعود !».

ومن قلب العدم دوت تلك الضحكة الساخرة الظافرة في قوة، لتعلن نهاية تلك الجولة، في هذا الزمن المستقبلي العجيب .

(3)

المكان سفينة جوتفريد الدنماركية .

الزمان 1822 ميلادية .

رائحة اليود تصفع أنفه، كهرباء استاتيكية عالية تموج في الجو المنذر بلوثة الطبيعة القادمة، وجنونها العاصف .

السماء تكفهر كوجه عجوز متغضن، والرياح تزأر كليث جريح، والأمواج تلطم جانبي السفينة بقوة عملاق غاضب، وطاقمها المحدود منهك، ومنهمك في صراعه مع البحر الثائر، يحاولون بكل طريقة ممكنة المحافظة على توازن سفينتهم، ومقتنياتها التي لا تقدر بثمن .

بينما في القاع المظلم، ووسط التخبط والاهتزازات العنيفة، تحرك ذلك الشاب النحيل بين الصناديق الخشبية المختومة وقد ظهر على وجهه الغضب، وهو يدير عينيه الحادتين في أرجاء المكان، مقاومًا ذلك

الدوار المزعج الذي بدأ يكتنف رأسه، وهو شعور يمر به للمرة الأولى في حياته .

كان يبحث عن قلادة فرعونية أسطورية تقبع بين طيات إحدى تلك المومياوات المتناثرة في صناديقها حوله، كما أخبرته البردية التي قادته إلى هذا المكان .

تلك البردية التي كانت ملابسات عثوره عليها، تقع ضمن الأحداث فوق الطبيعية المفاجئة؛ حيث بدأ الأمر برؤى غامضة لم يمنحها أي اهتمام، تحولت الرؤى إلى أحلام يقظة، قبل أن تتحول إلى واقع مخيف على هيئة شخص يشبهه تمامًا .

ظهر له ذاك الشخص المريب أثناء محاولته تنفيذ إحدى العزائم ليفرق بها بين زوج وزوجته، ويعقد رباط المحبة على امرأة أخرى، في إطار محاولته لإتقان هذا الفن الغامض .

وعندما رآه لأول وهلة ظنه خادم التعويذة، ثم لاحظ الوجه المألوف، والجسد والعينين، ثم كانت لحظة

الحقيقة .

إنه يقف أمام نفسه !.

لم يكن في الأمر خدعة، ولم يكن ما يواجهه هو تجسد للقرين، أو عبث من أحد مردة الجان؛ هو يستطيع التفرقة بين كل هذه الأشياء؛ فبرغم حداثة عهده بتلك الفنون الملعونة، ولكنه يملك منه ما يستطيع أن يميز به بين التجسدات الحقيقية والخداع .

كان الأمر مخيفًا بالفعل. ولم يمنحه ذلك الشبيه أي فرصة لطرح الأسئلة؛ ففي لمح البصر كان أمامه ومس رأسه بيده، لتنفجر في عقله ألف ذكرى لا تخصه، قبل أن يعرف مهمته؛ أن عليه الحصول على البردية التي تقوده إلى القلادة.. عليه العودة لعرين معلمه الذي علّمه فنون السحر الأسود قبل أن ينبذه، بعد أن تسبب بجموحه في مقتل زوجته.. عليه أن يخترق القبو ويعبث في مقتنياته المحظورة، ويحصل على البردية !.

وتم الأمر بالفعل. تم بسهولة مريبة جعلته يشك في أن هناك قوة خفية تؤازره.. قوة لا تنتمي لهذا العالم !.

وعلى الرغم من قلقه، أكمل مهمته، فوصل إلى هذه السفينة المشؤومة، ثم إلى قاعها المؤمّن، وبلا كلل أو ملل انهمك النحيل في بحث محموم لعدة أيام، أفسد فيها العديد من اللفائف الكتانية المحيطة ببعض المومياوات. وعندما لم يعثر على بغيته، أيقن أنها موجودة بقلب الصندوق الجرانيتي الكبير .

ومضى يوم كامل بعد أن توصل لاستنتاجه، قبل أن يستطيع التسلل للمكان مرة أخرى .

وها هو في مواجهة التابوت الأحمر يقاوم الدوار الذي اكتنف رأسه، والذي أخذ يتزايد مع اهتزاز السفينة، وقد بدأ يداخله شعور عاتٍ بالقلق، وبأنه زج بنفسه في فخ قاتل .

تأمل الصندوق الأثري العملاق المصنوع من الجرانيت الأحمر، والممتلئ بالنقوش الفرعونية والكتابات

الهيروغليفية، وعندما مسه بيده بدأ تاريخه يتدفق إلى عقله! إنه يمتلك هذه القدرة بالفعل !.

كان الصندوق مستخرجًا من حفريات منطقة سقارة، باسم الملك الألماني)فريدريش فيلهلم الثالث) ملك بروسيا، بتصريح من محمد علي باشا الكبير، حاكم مصر في ذلك العهد والذي استغرق من عمال مينوتولي

-مبعوث ملك بروسيا الألماني-البالغ عددهم مئتين نحو ثلاثة أشهر لاستخراجه؛ فالتابوت كان كبيرًا وغير عادي !.

اهتزت السفينة وتعالى صوت الموج كقصف مدفع فرنسي قديم. تفادى بعض الفازات الفخارية التي هوت على القاع لتتهشم؛ فقد كان القاع المظلم يغص بتلك الأثار الفرعونية الثمينة، والتي لم تكن جميعها من حفريات سقارة، كما علم عندما لمسها. بعضها من الأقصر، وبعضها من مناطق متفرقة أخرى، وكانت شديدة التنوع والندرة. كان من بينها قمة أحد

الأهرامات من سينيت، أحجار باب منقوشة، مومياوات حيوانات، معادن، وألواح من مواد مختلفة مكتوبة بالهيروغليفية، وفازات من الفخار ومن الألبستر .

وتلك القطع الثمينة كانت قد قطعت مسافة هائلة بمقاييس هذا الزمن من مصر إلى تريست، حتى وصلت إلى برلين عبر الطريق البري، وكان هو يصحبها في طريقها دون أن يشعر به حماتها، مستخدمًا بعض الحيل السحرية التي يجيدها، حتى وصل به الحال ليكون أحد المسافرين على سطحها، في رحلتها النهائية نحو هامبورج عن طريق بحر الشمال .

كنز كامل تحمله السفينة سيغادر أرض الفراعنة إلى الأبد .

لقد عانى كثيرًا حتى وصل لهذا المكان البعيد، وما يثير حفيظته أنه حتى هذه اللحظة لم يصل لمبتغاه، مما جعله يتساءل عن حقيقة تخلي تلك القوى الغامضة التي كانت تسانده عن مؤازرته في تلك المرحلة الشائكة .

واصل بحثه، عندما شعر بجنوح السفينة .

وهنا دوت الفكرة في عقله

إن السفينة على وشك الغرق !.

بل هي تغرق بالفعل !.

كانت الصناديق السبعة وتسعون تتحرك بعشوائية، ومعها تتهشم آثار لا تقدر بثمن، ولم يأبه هو بها؛ لتذهب الآثار كلها إلى الجحيم، لقد ارتبطت نجاته فجأة بالقلادة، وكأنما نبعت الفكرة من العدم وسكنت كيانه .

أصابت موجة عنيفة السفينة، فعادت الصناديق، والتابوت، والمقتنيات الأثرية، إلى حركتها العنيفة، وعاد هو لألعاب الحواة ليقفز ناجيًا بروحه .

وأثناء تفاديه لمومياء مبتلة، شاهد القلادة تتألق بقلب العدم .

لا يعرف من أين ظهرت، ولا كيف؛ فقط كل ما فعله هو أنه انقض عليها ولف عليها قبضته، ليبدأ الهول !.

فمن قلب الفراغ، ظهر أمامه دون مقدمات، عجوز حاد النظرات، يلف جسده بحرملة حريرية سوداء، ويقبض بيده على عصاه الفضية، ويتحرك ببساطة، وكأنما السفينة التي على وشك الغرق لا تعنيه، واهتزازها لا يؤثر على حركته، قبل أن يصفع صوته العميق أذناه

- «أخيرًا !».

تجاوز صدمة ظهور العجوز بسرعة، وصاح وهو يتحسس خنجره

- «من أنت!؟ وكيف وصلت إلى هنا!؟ ».

تلقى الجملة العجوز كلاعب ماهر، ورد عليها بمهارة

- «هل يمكنك أن تخمن!؟ ».

التصق النحيل بأحد أعمدة السفينة وقال

- «أنت من أتباع معلمي ».

ابتسم العجوز ابتسامة باهتة ليرد قائلًا

- «بل إن معلمك هو أحد أتباعي. أنا صاحب البردية الأصلي.. أنا من منحها لجده الأكبر قبل مائتي عام؛ كي تصل إليك في الوقت المناسب ».

رمقه النحيل بنظرة قلقة، وهو يشاهد الماء يتسرب إلى داخل السفينة بغزارة، قبل أن يقول

- «إنك عجوز بالفعل.. ولكنك لست بهذا العمر الذي تدعيه.. لا أعتقد أن الخداع يجدي معي. ألا تحبك قصة أكثر منطقية!؟ ».

وفي تلك اللحظة اقترب منه العجوز ومس رأسه بيده، فشعر بصدمة عاتية، قبل أن تتدفق في رأسه سيول الذكريات، ليصرخ النحيل قائلًا

- «أنت مجددًا!!؟ ».

رد عليه العجوز في ثقة

- «لقد ميّزتني هذه المرة بسرعة ».

تساءل النحيل بسرعة

- «إذن لماذا تطاردني؟ !».

صمت العجوز لدقيقة كاملة، وكأنه يزن الأمر في رأسه، قبل أن يقول

- «بل أنت من أتيت إليّ.. كل شيء في رحلتك كان يقودك إلى هذا اللقاء، و ...»

قاطعه صائحًا

- «أتعني أن القلادة زائفة، وسرها وهم!؟ ».

أجابه في هدوء

- «بل أعني أن كل شيء حقيقي، ولكن ليس كما تراه ».

رد النحيل في حيرة

- «أنا لا أفهم شيئًا !».

صمت العجوز مجددًا، ثم قال

- «عليك أن تتبعني لتصل إلى السر ».

صاح النحيل

- «ولماذا علي أن أصدقك!؟ إن كل شيء فيك يوحي بأنك مخادع ».

رد العجوز في نفاذ صبر

- «لا تجبرني على استخدام الوسائل العنيفة معك! ليلين عقلك قليلًا وسأقودك إلى السر ».

رد النحيل بعناد

- «ولكني لا أثق بك ».

أجابه على الفور

- «ونصيحتي لك ألا تثق في أي كائن حي آخر» .

صمت النحيل وكأنه يعيد تقييم الموقف، قبل أن يسترجع تلك الذكريات التي بثها لعقله الساحر، ليشعر معها بحميمية عجيبة. وعندما تردد السؤال بداخل عقله دون صوت أجاب

- «من منا لا يريد أن يكون في مكان لم يخطُ إليه أحد من قبل!؟ ولكن ما تبثه في عقلي أيها السيد يتعدى الجنون بمراحل كثيرة! لا يوجد مكان على الأرض لم يكتشفه السحرة بعد. العالم كله أصبح كتابًا مفتوحًا، نقلب صفحاته طوال الوقت».

وهنا جاءته الإجابة المدهشة

- «أنا لا أتحدث عن مكان مادي. أتحدث عما خلف الحواس».

رد بسرعة

- «هل تعني رحلة تخيلية عقلية؟».

أشار بيده الخالية للهواء، فتوتر الهواء وكأنه صحفة ماء، لتتكون فجوة في فضاء السفينة، أظهرت جزءًا غامضًا من اليابسة، قبل أن تتلاشى، ليقول الساحر العجوز في اهتمام

- «بل أتحدث عن الأثير، والبعد النجمي حيث تتحرر الأرواح ».

نظر نحوه النحيل وقد ضيق عينيه وقال :

- «لا أفهمك.. هل تتحدث عن العلم أم السحر؟ ».

أدار الساحر عصاه بحركة مسرحية ليجيب

- «بل أتحدث عن المعرفة الشاملة ».

وكأنما تحرر النحيل من سيطرة ما، فعاد له عناده مع غموض حديث العجوز، فتوجه نحو الدرج الذي يقود إلى سطح السفينة التي مالت بزاوية حرجة وهو يقول

- «إن حديثك مليء بالألغاز، وأنا لا أحب هذه الطريقة. ليذهب كل منا في طريقه؛ فما أبحث عنه، ليس ما تبحث عنه ».

قال العجوز

- «لابد وأنك مخبول.. ألم يقتنع عقلك بما رأيت!؟ ».

- «بعض الجنون ضرب من التعقل، أنت خطر ومخادع، ولا أعتقد أن طريقنا واحد. لن أكون مجرد جسر لتعبر عن طريقه إلى السر ».

وهنا تلاشى الساحر العجوز من أمامه، وظهر خلفه، قبل أن يقبض على عنقه من الخلف ويدفعه بعنف ليلتصق وجهه بجدار السفينة التي مالت بشدة، وهو يقول في غضب

- «أنا هنا من أجلك.. ألا تفهم أهمية هذا!؟ ».

تنفس النحيل في صعوبة، وهو يشعر بضغط خشب السفينة الرطب على وجهه، ليتساءل بصوت متحشرج

متألم

- «وأي أهمية أُمثّلها لشخص مثلك!؟ إن من هم في مكانتك لا يروننا إلا كحشرات. هل تظن أنك خدعتني بادعاء كونك ساحرًا عاديًا!؟ لقد حذرني معلمي من أمثالك. إنك من الموصومين، الذين وصمهم الشيطان بنفسه؛ ليصنع منهم جيش الظلام القادم، الذي سيقود العالم للهلاك ».

ابتسم الساحر العجوز، ثم قال وهو يخفف قبضته على عنقه

- «تسعدني قوة ملاحظتك، كما يسعدني أن أخبرك أن بعض الحشرات تمتلك القدرة على حفر النفق إلى المستقبل ».

رد في يأس

- «أي مستقبل وأنا لص هارب!؟ هل تعتقد أن معلمي سيغفر لي فعلتي!؟ إذن أنت لا تعرفه ».

أجاب العجوز بهدوء

- «غدًا ستكون الحاكم ».

تساءل النحيل في سخرية

- «حاكم لأي شيء!؟ للفراغ والعدم!؟ » .

- «بل حاكم للعالم ».

- «أي جنون هذا!؟ ».

- «هو الجنون الذي يحوِّل الأحلام لحقيقة ».

- «لابد وأنك أسرفت في الشراب ».

- «الشراب لا يؤثر في أمثالي ».

نظر نحوه في قلق، وقد بدأ صدره يضيق بكل هذه المباراة الكلامية، وقال

- «ومن أنت أيها العجوز؟؟ ».

جاءته الإجابة الصاعقة

- «أنا هو أنت بعد أن اغتصب الزمن عمري، وصحتي، وشكلي ».

رد بغضب

- «بل أنت عجوز مخرف! لا أعتقد أني سأكون بمثل هذا القبح أبدًا! إنك شيطان لعين، ملامحك وحدها دعوة للفرار من السفينة كلها ».

- «لا أحد يحب نفسه عندما تتشوه ».

- «ولكني لم أتشوه بعد !».

- «أنا هنا لأنقذك وأنقذ نفسي من هذا المصير ».

- «ولكنك تشوهني بمجرد وجودك بالقرب مني ».

- «عليك أن تتعلم كيف تصنع جمالك الخاص.. عليك أن تتعلم كيف تُفني كل الأشياء من أجل أن تصير

أفضل.. عليك أن تتعلم مني، وبعدها.. سيركع لك العالم.. بل كل العوالم ».

يصرخ في وجهه

- «إن ما تقوله كفر ».

يشير له بعصاه، فتحيط به هالة شفافة، قبل أن يقول

- «غدًا ستكون أنت مصدر الكفر والإيمان ».

ينظر نحو الهالة في رعب، ويصرخ

- «لا أريد منك أي شيء.. أريدك أن تبتعد أو سألقي نفسي في البحر. أنت شيطان.. اترك لي ما تبقى من روحي! لا تلوثني بوجودك؛ فأنا لا أرى نفسي فيك ».

يشير إلى الهالة التي بدأت تتألق في قوة، ثم يقول

- «السفينة ستغرق الآن.. تهديدك لا معنى له، ولولا وجودي معك لكانت النهاية والهزيمة. لا تتخلَّ يومًا عن القلادة، ولا تسلك طريق البحر مرة أخرى. لا تكن

عنيدًا، وستتعلم رغم كل شيء، وستصير أنت الكمال ذاته !».

نظر النحيل للعجوز الذي بدأت خلايا جسده تتذبذب، وبدأ يتحول لشبح شفاف، سرعان ما تلاشى في العدم كما ظهر من العدم، قبل أن تهتز الهالة وتتألق القلادة، وتزأر العاصفة، لتغرق السفينة تدريجيًا .

توهجت الهالة في قوة .

أغمض عينيه ليقيها الضوء المبهر .

شعر بجسده يتفكك، وبخلاياه تنسحق، ثم أظلم كل شيء !.

وعندما فتح عينيه، وجد نفسه على اليابسة، وأمامه تتألق بوابة ضوئية مبهرة، تلمع بقلبها الشرارات اللامعة .

وقف أمامها حائرًا، وعندما هم بعبورها، تردد الصوت في عقله



(4)

الزمان غير معروف .

المكان قارة بانجيا Pangaea.

انقشعت السحب الدخانية، بعد أن بددتها الرياح الباردة التي عصفت بالمكان طوال الساعات الماضية، وعلى إثرها تطلعت تلك العيون القلقة نحو السماء، وقد اتسعت في دهشة وذهول عندما ظهرت لهم النجوم في غير مواضعها التي اعتادوا عليها، وكأنهم في كوكب آخر غير كوكب الأرض، مما ضاعف خوفهم، فتشبثوا جميعًا ودون اتفاق بأسلحتهم المتطورة والمتعارضة بشدة مع تلك الأجواء البدائية المحيطة بهم .

كانوا يرتجفون جميعًا من البرد والقلق، لذا ظلوا كامنين خلف صخرة عملاقة تطل على الأرض الخراب التي امتدت أمامهم إلى مدى البصر. تلك الأرض التي كانت منذ فترة لا تتعدى إشراقة ثلاثة شموس واد

خصيب مفعم بالحياة، والعشرات من الفصائل الحية العملاقة، التي تميز تلك الحقبة التاريخية السحيقة .

الرائحة الخانقة انتشرت في فضاء المكان رغم تبدد السحب الدخانية الملونة لتعصف بتوازنهم العصبي. رائحة تلك التربة التي فقدت بكارتها وخصائصها مع تلوثها بتلك المادة الفسفورية المشعة الناجمة عن الانفجار .

الأشجار العملاقة نالها النصيب الأكبر من الهول، فتحولت لأكوام من الرماد، لتصير شواهد عملاقة على حجم الكارثة التي أصابت المكان .

بينما الهياكل العظمية العملاقة التي قاومت شدة وحرارة الانفجار؛ تناثرت مهشمة عبر المكان، وقد غاص بعضها في باطن الأرض كدليل حي على أن الديناصورات مرت من هنا ذات يوم .

الوادي أصبح مقبرة جماعية، غطاها الموت بسحبه، فظهر كئيبًا قاتمًا خربًا، وكأنه لم يعرف الحياة يومًا .

لا أصوت.. لا حشرات.. ولا أي شيء يدل على نشاط حقيقي في المكان .

الدقائق تمر عليهم كالقرون وهم في حالة ترقب وصدمة .

كانوا ثلاثة، فتاتان في مقتبل العمر وشاب وسيم، وكان من الواضح أنهم في حيرة عظيمة، وأن الهلع قد استعمر قلب الفتاة الأصغر التي قالت في جزع

- «لم أعد قادرة على تحمل كل هذه الأمور الغريبة. لو كانت نهايتي الآن فلن أقاتل أكثر. أنا مجرد صحفية هُزِمت في كل معركة خاضتها في حياتها، ولن أبحث الآن عن نصر. أنا لست مؤهلة لمثل هذه المواقف الجنونية !».

رد عليها الشاب الذي حاول أن يبدو أمامها أكثر تماسكًا، وهو يربت على يدها قائلًا في صوت فشل أن يجعله خاليًا من الاضطراب

- «تجلدي يا رنا. إن الموقف مخيف بالفعل، ولكني لا أعتقد أن مايا ستتركنا هنا نواجه الموت و ...»

قاطعته رنا قائلة

- «هل أنت معتوه يا أميرا؟ ألا ترى ما حولنا من خراب!؟ إننا في زمن مجهول، يسبق لحظة مولدنا، بل لحظة مولد البشرية، حتى الجهاز الذي منحته لك مايا لم يستطع أن يحدده، لقد رأيت الديناصورات بعيني قبل أن يمحوها الانفجار! إننا هالكون لا محالة !.

وهنا قاطعتهما الفتاة الأخرى قائلة

- «ألن تكفي عن هلعك هذا أيتها الصحفية الخرقاء!؟ إن كنتِ جاهزة للموت، فموتي بلا ضجيج. كان من الخطأ من البداية ضمك للفريق؛ إنها مهمة تحتاج لمن يمتلك قلبًا ميتًا، وأنتِ مجرد حمقاء قادها القدر إلينا لتزعجنا ».

سبق أمير رنا بالرد وقال

- «كُفي عن طريقتك هذه يا زهرة! إننا في موقف لا نحسد عليه. لقد استهلكنا آخر سلاح رادع كنا نمتلكه، ولم نواجه الخطر الحقيقي بعد».

انفعلت زهرة وقالت

- «نحن سجناء في هذا المكان، بل في هذا الزمان المجهول والذي يسبق التاريخ نفسه، نهرب من خطر رهيب، والعجيب أن هناك من يؤمن أننا قادرون على إحداث فرق !».

رد أمير في حدة

- «نحن بالفعل قادرون على إحداث فرق، لقد كسبنا كل الجولات السابقة بالفعل، و ...»

قاطع نقاشهما صوت رنا التي قالت في حسم

- «وخسرنا المعركة».

استدار ليواجه رنا صارخًا

- «لماذا هذه الروح الانهزامية!؟ ».

وهنا أجابت عنها زهرة قائلة

- «لأننا منفيون في هذا المكان المخيف الذي لا يعلم عنه أحد شيئًا، ولأننا مطاردون من ساحر لا قلب له، يستخدم فنون السحر الأسود بجدارة، ويمتلك كل المعارف والعلوم المحظورة، وسر السفر عبر الزمن، ويسعى لفناء العالم. إن نهايتنا مسألة وقت لا أكثر !».

اختنق الكلام في صدر أمير، ولكنه في النهاية حرره بصعوبة ليجيبها

- «لا شيء عشوائي في هذا الكون، ومهما كانت نظرتنا لأنفسنا، ومهما حسبنا أننا غير مؤثرين في هذه الحياة، فإن لنا دورًا نلعبه. ومهما كانت ضآلته فهو أمر حتمي؛ لتستمر الحياة ولا يحدث اختلال في قوانين الطبيعة والفيزياء، مما يجعل المتغيرات تتراكم، فتدب الفوضى في الكون، ليفنى في النهاية ».

تدخلت رنا في الحديث بعد أن أثار الحديث في روحها شجونًا خاصة، فقالت

- «ولكن الكون خلق للفناء بالفعل، والبشر جميعهم أتوا إلى الحياة ومعهم حكم مؤجل بالموت. فما فائدة ما نقاتل من أجله!؟ ».

صمت أمير للحظات قبل أن يجيب

- «الأمر لا يدور حول الفائدة أو المكسب والخسارة؛ الأمر يدور حول الإيمان والطاعة ».

مطت رنا شفتيها وقالت

- «الإيمان بماذا!؟ والطاعة لأي شيء!؟ ».

ابتسم أمير ابتسامة باهتة قبل أن يجيب

- «هل ستجريني الآن للحديث حول المعتقدات، وحقيقتها من عدمها!؟ ألم تنتبهي بعد لحقيقة موقفنا المعقد!؟ لقد قمنا منذ وقت قصير بمحو منطقة كاملة

من تلك الغابات، والتي كانت تحتوي على العديد من فصائل الديناصورات، ومعها ما لا يمكن حصره من الحشرات والطيور والهوام. لقد غيرنا بنية المكان والزمان! لقد أفسدنا كل ما حاولنا أن نحافظ عليه! إن كنتِ تعتقدين أنه الوقت المناسب لتثبتي نظرياتك الإلحادية العتيدة، فأنا أخبرك بكل بساطة أن فكرتك عن الموت وقتل نفسك، هي فكرة خلّاقة، لأنني قد سئمت من هذا النقاش العقيم ».

أنهى حديثه، فران على المكان صمت عظيم، وهم يتابعون في حسرة آثار جريمتهم، قبل أن تقول زهرة في حيرة

- «لماذا اخترت هذا الزمن في رحلة هروبنا من المشعوذ يا أمير!؟ لابد وأن هناك شيئًا علينا فعله أو إيجاده. إن من برمج تلك الأزمنة لم يكن يعبث ».

وهنا نظر نحوها أمير في جزع ثم قال

- «من أين أتت لك هذه الفكرة يا زهرة!؟ لقد حاولتُ بالفعل تفعيل آلية الانتقال الزمني لأؤمن فرارنا، ولكن الجهاز لم يستجب، إن وجودنا هنا تم بفعل قوى أخرى، و ...»

تردد، فحثته رنا على الحديث، فقال

- «كما أن تفجير القنبلة لم يتم بواسطتي، و ...»

ظهر التردد مجددًا على صوته، فواجهته زهرة وقالت بصوت متفاجئ

- «وماذا يا أمير؟؟ وماذا؟؟ ».

تلعثم أمير وهو ينظر نحو المدى المحترق وقال

- «ورأيت الملائكة !».

وهنا هبت رنا من مكانها لتقول في سخرية

- «هل اصطدمت رأسك أثناء الانتقال أم ماذا!؟ لقد انتقلنا سويًا فلماذا لم يرهم سواك!؟ ».

قال ببساطة وضيق

- «لأنكما لم تنظرا إلى الاتجاه الصحيح، أو بالزاوية الصحيحة ».

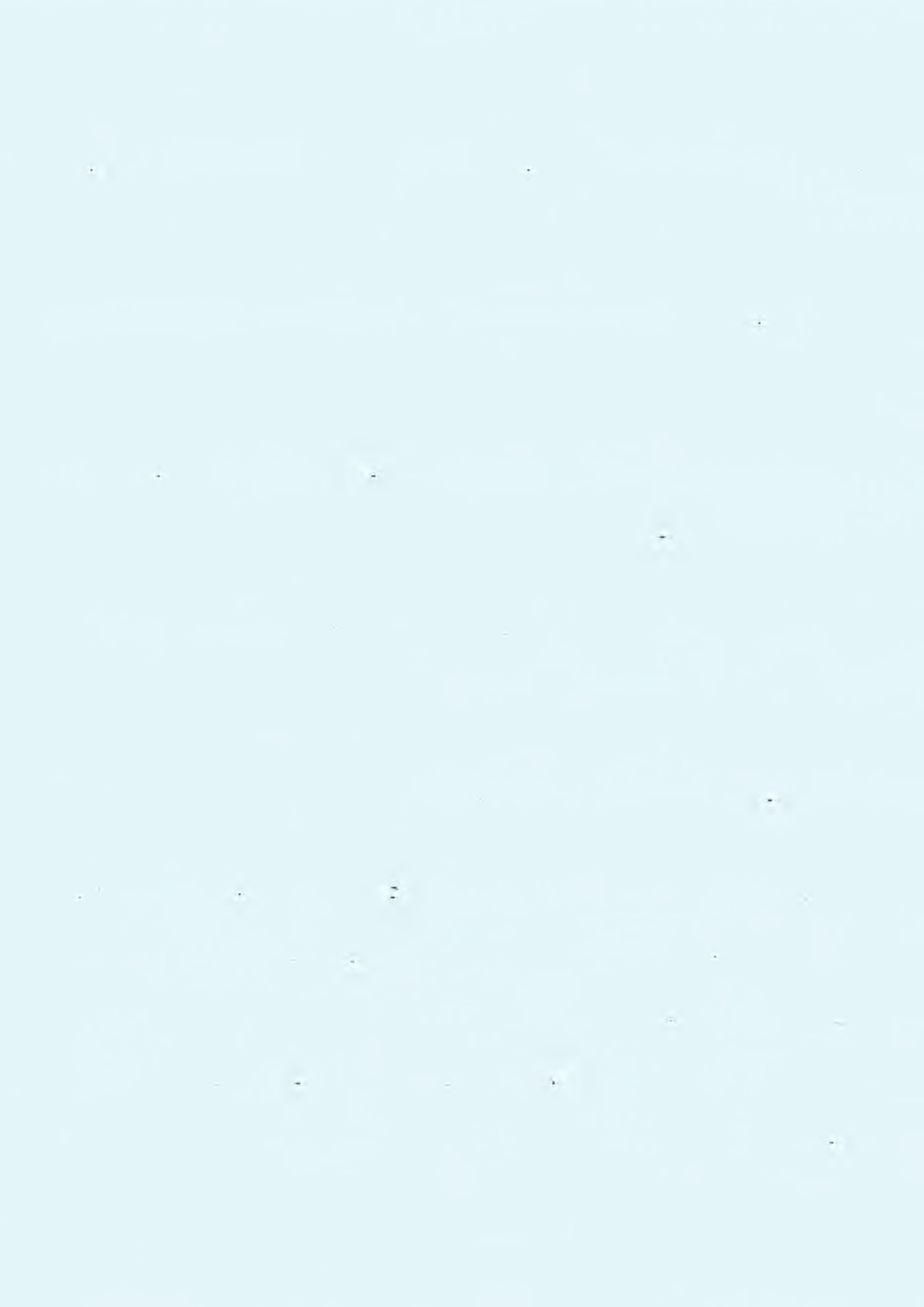
وهنا تسلطت أنظارهما عليه، فأشار إلى السماء، تحديدًا إلى اتجاه الجنوب الشرقي، حيث تألق القمر على البعد وقال

- «إن كنتما لا تصدقاني، فلم يفت الوقت بعد ».

وعندما رفعتا عينيهما إلى السماء، شهقتا سويا .

فعلى البعد، ظهر كيان عملاق أخفت هيئته وتفاصيله السحب، والتي ظهر من بينها سمته الشفاف، وجناحاه اللذان غطيا مساحة هائلة من السماء، لترتجف الفتاتان من وقع المفاجأة، قبل أن تردد رنا

- «مستحيل! مستحيل !».



قال أمير بهدوء وهو يتطلع لذلك الكيان العملاق المجنح في رهبة

- «ومن رأى الملائكة جميعهم رؤي العين ليجزم بشكلهم أو هيئتهم!؟ ».

قالت رنا في عناد

- «كل الكتب السماوية ذكرت أنهم خلقوا من نور ».

رد في هدوء

- «ونحن خُلِقنا من طين، فهل هو جزء واضح من بنيتنا وتركيبنا؟ وهل ستكذبين عينيك؟ ألن تكفي عن التشكيك في كل شيء!؟ أفيقي يا رنا؛ أنت قلتِها.. نحن عبرنا الزمن نحو الماضي، وقاتلنا ساحرًا مخيفًا تحدى الإله، إن ظهور الملائكة الآن لابد وأنه شيء منطقي ولا يدعو للعجب ».

أشاحت رنا بيدها، وعندما هم بالاستطراد، ارتفع صوت أزير حاد نبع من كل مكان كظاهرة مدهشة، لا تقل في

غرابتها عن ذلك الضوء المبهر الذي أعمى عيونهم، وشوّش على تلك الأجهزة التي يحملها أمير .

وبرغم حدة الضوء، إلا أن القلوب قد نبضت في سعادة، وكأنها كانت تنتظر ذلك الحدث بالذات وأنه لم يفاجئها .

فلابد وأنها مايا وأتت بالنجدة .

انخفضت حدة الضوء العاصف، لتكشف عن تموج كبير في بنية المكان، نتج عنه ما يشبه بوابة ضوئية مهتزة تلمع بداخلها شرارات كهربائية عجيبة، سرعان ما استقرت لتنزلق عبرها زلاجة معدنية مصنوعة من سبيكة لا يمكن أن تتكون في ذاك الزمن بأي حال من الأحوال، وفوقه استقر جهاز أسطواني له قلب نبّاض، ارتبط بجهاز عد تنازلي حديث لن يتواجد على هذه الأرض قبل مئتين وخمسين مليون عام أو يزيد قليلًا .

رصدت العيون المتفائلة ذلك الجهاز الذي لم يكن إلا قنبلة إشعاعية تفوق تلك القنبلة المحدودة التي

استخدموها في الإطاحة بالديناصورات عشرة آلاف مرة؛ لتنقلب الفرحة إلى صدمة عنيفة !.

ومع صوت العد التنازلي الذي أصبح يدوي في المكان بطريقة مخيفة ومريبة، انقبضت القلوب، وبدون ترتيب مسبق، قفزت إلى عقولهم صورة الساحر الرهيبة، وتردد في عقل أمير تلك العبارة التي قالتها رنا منذ دقائق

«وخسرنا المعركة ».

وعلى الرغم من دقة الموقف، والمصير الأسود المؤكد الذي ينتظره، ابتسم أمير ابتسامة ساخرة، وهو يتخيل حبيبته نوال التي هجرته، ومنال الخادمة التي طالما طاردته، وتخيل نفسه يخبرهما أنه سيموت في زمن الديناصورات، سيموت قبل أن يولد، بواسطة سلاح مستقبلي تم اختراعه بعد موته بخمسة قرون .

كانت فكرة مجنونة وهزلية !.

تأمل وجه رنا الممتقع، وملامح زهرة الباردة، ثم فلتت أعصابه فراح يقهقه في قوة، في نفس الوقت الذي دوى فيه صوت الانفجار الرهيب، ليطيح بكل شيء أمامه، ويبخّر أمير ورنا وزهرة في طريقه .

لتبدأ بعدها الأرض في التشقق، والألواح التكتونية في التحرك، لتنفصل القارات، وليخفي صوت الانفجارات المتتالية، مع تفجر بعض البراكين التي نشطتها قوة الانفجار، خفقات أجنحة ذلك المخلوق العلوي العملاق، الذي سلك طريقه عبر الغلاف الجوي نحو السماء، وخلفه أخذت الأرض تتشقق وتحترق، وكان من الواضح أنه لن يكتب لمخلوق واحد بعد ذلك الحياة على سطحها .

(5)

المكان لم يتواجد بعد .

الزمان لم يتواجد بعد .

للمرة الثالثة بعد الألف، يشير المؤشر إلى الزمن صفر .

لقد وصل مجددًا إلى تلك النقطة التي تسبق الانفجار الكبير وانبثاق الضوء الأول في الكون .

كان الأمر صادمًا بالنسبة له .

كان يتوقع أن يصل إلى لحظة تجلي الخالق على الكون .

لم يكن يتوقع أن يكون للزمن الماضي حد !.

كان يتوقع أن يكون الماضي أزليًا، ويغوص فيه بلا توقف .

ولكنه يدرك أن الزمن في النهاية هو وصف لحالة الحركة التي بدأت مع نشأة الكون الذي نعرفه، وليس جزءًا من المنظومة نفسها .

توقف الحركة يعني توقف الزمن .

الأجهزة تعمل بكامل طاقتها بحثًا عن زمن بديل

بحثًا عن الماء الذي سبق الخلق، والعماء الذي احتوى القدير بين هواء وهواء

عن السماء التي التصقت بالارض قبل تفتقهما

كل شيء متوقف

كل شيء ثابت

المؤشر في حالة جنون

يرى النور الأول

يرى انقشاع الظلام



لقد وصل مجددًا إلى تلك النقطة التي تسبق الانفجار الكبير وانبثاق الضوء الأول في الكون .

كان الأمر صادمًا بالنسبة له .

كان يتوقع أن يصل إلى لحظة تجلي الخالق على الكون .

للمرة التاسعة بعد المليون، يشير المؤشر إلى الزمن صفر .

لقد وصل مجددًا إلى تلك النقطة التي تسبق الانفجار الكبير وانبثاق الضوء الأول في الكون .

كان الأمر صادمًا بالنسبة له

ثم لا شيء .

حياة جديدة

(1)

لم تفزع لوجودها بقلب ذلك الظلام الدامس، بقدر ما فزعت من كل هذه الذكريات التي رجمت عقلها دون هوادة، ورأت فيها نفسها في مختلف الأعمار والأماكن والأزمان، ورأت موتها فيها عدة مرات، وإن أصابتها حيرة شديدة؛ لأنها لم تعرف في أي جانب هي، وأين الخير وأين الشر !.

اختلطت الذكريات وتشوشت، وعاد الظلام .

شيء ما بأعماقها أخبرها أنها مرت بهذا الظلام من قبل، نفس هذا الظلام الدامس المريح، وأن الوضع آمن، ولا يدعو للهلع .

لم تتشبث بالذكريات التي تبددت في قلب الظلام وأصبحت كحلم بعيد، وتجاوبت مع ذلك الإحساس المطمئن، وتركت جسدها الذي لم يكتمل نموه بعد يسبح بقلب السائل الدافئ في هدوء .

وجودها بداخل رحم أمها وبالقرب من قلبها، كان أفضل شعور مر عليها منذ تشكل وعيها في هذه الحياة، وهذا جعلها أكثر هدوءًا وسكينة .

كان المكان برغم ضيقه مريحًا، كما أنها لم تكن في عزلة كاملة، بل كانت ترصد كل شيء حولها.. صوت دقات قلب أمها، والضجيج الدائم المحيط بها. التفاعلات والتغيرات التي تحدث لجسدها من الداخل، ولا تدرك عنها شيئًا، وكل موقف كانت تمر به في عالمها الخارجي .

الزمن أثناء وجودها بأحشاء أمها، كان مجرد لحظة ممتدة وثقيلة وخانقة، وهو شعور أكبر، وأكثر وعيًا، وإدراكًا، ونضوجًا من كل الأجنة في مثل عمرها .

فأصبحت تكوّن انفعالات خاصة تجاه الأشخاص كالحب والكراهية. بل وميزت الأصوات والكلمات، والألحان والنغمات، بدقة مذهلة لم يحظَ بها جنين من قبل. فكانت تسبح بقلب السائل الأمينوسي، كشخص بالغ مدرك لديه وعي وأفكار وردود فعل .

بل وتتفاعل بعنف، ووعي كاف مع كل المستجدات التي تطرأ على حالة أمها النفسية والعصبية، وكانت ركلاتها العنيفة لها، تعبيرًا مبكرًا منها عن غضبها واعتراضها على وضع لم يكن لها يد فيه .

وما أدركته وهي في هذه اللحظة المبكرة من خلقها، أنها بداخل رحم يكرهها ويكره وجودها ويتعجل كل لحظة تغادره فيها؛ فكيانها يتشكل بقلب رحم أم قاسية تعتبر طفلها، غلطة، وهَمًّا، ومسؤولية، ووصمة عار لابد من التخلص منها في أقرب وقت، وربما في أقرب صندوق قمامة .

فقط لم يحن الوقت لرد الفعل القاسي هذا بعد؛ لأسباب فسيولوجية خارجة عن إرادتها، ولو أن الأمر بيدها لشقت رحمها وأخرجتها .

مأساة تتشكل بقلب رحم يكرهها .

عذبتها تلك المشاعر، كما دمرتها نفسيًا تلك الخبرات المقززة، التي تمر بها بلا انقطاع أثناء ممارسة أمها

للعلاقة الحميمة؛ فمن تحملها في رحمها، تتنقل من رجل إلى رجل بنفس بساطة تناول الطعام. والمضني لها أنها تمارس هذا الفعل معظم الأوقات بمشاعر كارهة، ومشمئزة .

فهي تقوم به من أجل المال لا المتعة، مما كان يصيبها بنوبات من الجنون فلا تتوقف عن ركلها لتعلن اعتراضها على كل هذا القرف المحيط بها .

وعندما رأت أمها فيما بعد، تعجبت من هذا الإقبال المريب عليها، خاصة وهي تتحرك بذلك التكور العملاق في أحشائها، بملامحها الشرسة الوقحة، ولسانها الذي يشبه أفعى سامة لا تكف عن بخ سمومها وحقدها على العالم طوال الوقت، ثم أدركت أنها كانت بالنسبة للرجال مجرد وعاء لإفراغ الشهوة، بسعر في متناول الجميع .

وفي الشهر الأخير للحمل كانت الكارثة الكبرى. لقد قرأت عقل أمها، ولعنت في سرها ذلك الأحمق الذي أخبرها أن كثرة ممارسة الجنس في هذه الفترة،

يساعد على الولادة الطبيعية، وكأنها كانت تنتظر نصيحة مماثلة !.

مرت عليها تلك الأسابيع كالجحيم. أما ما عذبها أكثر كان تلك الذكريات التي كانت تعود كل فترة لتحتشد في عقلها دون هوادة، ودون أن تجد بينها رابطًا واحدًا، وكأنها قبل وجودها في هذا الرحم، عاصرت ألف حياة! شيء مخيف أن يتمخض عقلها عن ذكريات لم تعشها، ولا تنتمي لها، وتغص بأشخاص لا تعرفهم ولا تعرف علاقتهم بها. شيء يشبه تناسخ الأرواح، ويختلف عنه في أنها لم تولد بعد !.

كانت تتمنى عودة ذلك الظلام الدامس البكر الذي وعيت عليه؛ لينقذها من ذلك الضغط العقلي المستمر الذي يسببه تدفق تلك المشاهد الدموية الرهيبة لعقلها، وظلت في هذه المعاناة حتى حان وقت المخاض .

وعندها تنبهت أن الموعد حان لتعبر البرزخ إلى واقع مختلف، ومخيف، ومزدحم. ومن وقتها أصبحت أكثر توترًا وحركة، مع رفضها التام لهذا الجسد الضئيل

الهش الذي يحتوي وعيها، والذي لا يتناسب مع إدراكها، ولا مع المجهول الذي ستواجهه .

وبالتالي لم تكن سعيدة، لمعرفتها أن حياتها الجديدة قد شارفت على البدء .

مرت ساعات المخاض والولادة مرهقة وعنيفة، مع كل الهستريا التي قامت بها أمها. وكانت أصعب لحظة مرت عليها خلالها، هي لحظة الشهيق الأول، أول نفس لها في هذه الحياة .

الهواء البارد سحق رئتيها، وكانت صرخة إعلان وجودها على قيد الحياة، هي أول لحظة ألم تكابدها، وأول صفعة حقيقية في هذا العالم الرهيب .

صورة المكان حفرت في تلافيف عقلها. كل تفصيلة فيه.. المصباح الأصفر الشاحب، الطلاء الأخضر المتسخ، والملاط المتآكل، المروحة المغطاة بالأتربة، وجه أمها المكفهر المتعرق، وغير السعيد بتلك الهبة الثمينة التي لا يدرك قيمتها الحقيقية إلا من حرم منها،

وتلك السيدة البدينة التي التقطتها لتغمرها بالمياه الساخنة، ورائحتها الخبيثة الخانقة، ونظراتها المشمئزة .

كان مذاق اللبن المنهمر من ثدي أمها مالح على غير العادة، ولكنه كان لذيذًا في نفس الوقت. إنها ليست المرة الأولى التي تمر فيها بطور الطفولة لذلك تعرف الفرق جيدًا.. كانت تشعر بجوع غريب، فأخذت تعب من لبنها، حتى تلاشى وعيها في ملكوت النوم .

مرت ساعات النوم هادئة بلا منغصات، قبل أن تتنبه حاسة السمع لديها، على حديث النساء، الذي فهمته دون مجهود. لقد عبر وعيها سنوات من التعلم والفهم، والاستيعاب، والتفاعل. هي تدرك الآن السبب في أعماقها .

إنها تلك الذاكرة الجمعية المذهلة، التي تحتفظ بالذكريات والخبرات البشرية منذ بدء الخليقة، وتنقلها عبر الأجيال، والقليلين من البشر من يستطيعون استعادتها والتفاعل معها، وكانت هي واحدة منهم !.

صفع أذنيها صوت المرأة البدينة (القابلة) التي أشرفت على ولادتها

- «ماذا ستفعلين في هذه المصيبة يا سناء؟؟ هل تعرفين من أبوها؟ »

ظهرت ملامح الضيق على صوت سناء -وهو اسم أمها- فردت بلا مبالاة

- «ليكن أي ابن حرام فمن سيهتم!؟ إن هذه البلوى لن تكون في حوزتي فور امتلاكي القدرة على السير. إنني لا أجد الطعام ولا الوقت لأحتفظ بمن يشاركني فيهما ».

رمقتها المرأة البدينة بنظرة باردة بعد أن رأت نظراتها الكارهة. ومطت شفتيها، وتمتمت ببضع كلمات غير مفهومة، لم تسمع منها الطفلة إلا كلمة (الشيطان الرجيم)، قبل أن تنهرها الأم قائلة

- «ارفعي صوتك أيها الحيزبون! ولا داعي لهذه البرطمة التي لا معنى لها ».

كسى صوت المرأة البدينة بعض الاضطراب، وقالت بتردد

- «لقد خيِّل إلي لوهلة أن هذه الصغيرة تنصت لحديثنا، ثم إن عينيها ...».

صرخت بها الأم، وكأنها لا تطيق أن يكون من خرج من رحمها معيبًا؛ حتى لو كانت قد عزمت النية على التخلص منه، فتساءلت في مقت

- «ما لها عيناها أيتها اللعينة!؟ ».

تلعثمت البدينة قبل أن تقول بصوت مرتجف

- «إنها مخيفة، وواعية أكثر من اللازم ».

مطت أمها شفتيها قبل أن تقول

- «ربما كانت ابنة ذلك الحيوان فريد؛ فعيناه تحملان تلك الصفات. ملعونة هي كأبيها ».

وفي هذه اللحظة شعرت الطفلة بغضب شديد .

رضيعة لم تتجاوز ساعات يومها الأول، تشعر بالغضب. إنها مأساة !.

وعلى أثرها قامت بالبكاء، والصراخ، والنحيب؛ لتعذبها حسب قدراتها المحدودة .

أربع ساعات من البكاء المستمر دمرت أعصاب أمها تمامًا، وفي النهاية شعرت بإرهاق تام، فتعلقت بثدي أمها، ونامت .

مرت الأيام التالية بطيئة وثقيلة ومرهقة، اختبرت فيها الرضيعة جبال من المشاعر المقززة، وإن طفت الكراهية على سطح روحها المقهورة، فلم تتوقف أمها التي كانت تنام جل النهار، عن تعذيبها ليلًا بحديثها المشؤوم، وهي تقص على مسامعها حكايات يشيب لها الولدان من ماضيها المثير للحزن والاشمئزاز، قبل أن تلعنها وتسبها ثم تضمها إلى صدرها في حنان، لتبدأ بعدها في البكاء كسحابة خرقاء .

ومنها تعلمت العديد من الأشياء التي لم تكن لتختبرها قبل عقدين من الزمان لو كنت طفلة عادية. تعلمت أن العالم قاسٍ ولا يرأف بمن هم مثل أمها، وأنها لو لم تبع جسدها لمن يدفع لن تجد طعام اليوم التالي. كما أن سمعتها قد تدمرت فليس لها فرصة في الظفر بحياة حقيقية أو ظل رجل يتلقى هو صفعات الحياة بدلًا منها، أو بعضًا منها على الأقل.

لم تشعر نحو أمها بالشفقة؛ لقد كرهتها قبل الميلاد، وكرهتها أكثر بعد أن رأت ملامحها الحادة القبيحة، وسمعت صوتها الكاره المتورط، فقط شعرت بالشفقة على من سيقع تحت يديها في هذا العالم البائس الموحش فيما بعد.

وذات مساء كئيب، بلغت فيه حينها يومها السابع، وهو اليوم الذي يحظى فيه كل طفل طبيعي بعقيقة، أو سبوع حسب ميول والديه الدينية. وفي هذا المساء البارد، أقبلت أمها من الخارج، بعد أن تركتها وحدها لأكثر من ست ساعات ملقاة في غرفتها تتلوى من الجوع والغثيان، وتعاني من مخلفاتها. قالت كلمتين

عن الرائحة، نظفتها، ألبستها كافولة قماشية، ولفتها في بعض الملابس الثقيلة، وحملتها إلى سيارة أجرة كانت تنتظرها بالخارج .

احتضنتها أمها بطريقة حميمية، وحنان حقيقي، ميزتهما الرضيعة بقدرتها المتفوقة على رصد الأحاسيس، ولم تتفاعل معهما .

أنفاسها كانت كريهة، تصدر منها رائحة هي مزيج من تبغ وخمر رخيص، جعلت أنفاس صغيرتها تضيق. وقبعت هي على مقعدها في السيارة صامتة طوال الطريق، تتجاهل كلمات السائق البذيئة وإيحائاته الجنسية الفجة، وعيناها معلقتان بالأفق، وكأن لا شيء يشغلها غير متابعة الطريق شبه الخالي، حتى أنها ضربت يده بعنف عندما بدأ يعبث بجسدها .

كانت الصغيرة ترصد نفورها، وعصبيتها، وبداخلها تنمو مشاعر لا يمكن أن يحملها طفل في مثل عمرها، تتراوح بين التشفي، والكراهية؛ فبرغم كونها طفلة رضيعة، فهي لم ترَ من الحياة إلا كل شر .

استمر الأمر لنصف ساعة كاملة، ما بين تحرش السائق بها، وصدها له، وبين استسلامها وتجاهلها لما يفعله من تجاوزات، إلى أن وصلوا لباب ملجأ، فتوقف السائق على جانب الطريق يتفحص المكان بعين مغتصب يدرك فداحة ما هو مقبل عليه .

كان السائق الحقير يدرك أبعاد جريمتها، ولم يشغله إلا الثمن الذي سيحصل عليه من جسدها بعد عودتهم، رغم علمه بأنها في فترة النفاس !.

ظهر الشارع خاليًا لعينيه إلا من سيارة مرت ساحبة خلفها ضجيج الكاسيت المزعج. دون أن يلتفت ركابها إليهم، كانوا مجموعة ضائعة من الشباب الذي يمضي في حياته بلا رقابة ولا متابعة، كنواة لأجيال تمهد لمرحلة الانهيار الأخلاقي القادم، على صوت ذلك المطرب المثير للغثيان الذي يغني بعض أغاني الراب العربية، وفي الخلفية كان قرآن الفجر يأتي من مكان بعيد .

كانت أمها تعرف هذا الشارع جيدًا، وتدرك إن هي إلا دقائق قليلة، ويموج ذلك الشارع المحتوي على المسجد الكبير بالمصلين, لذا فإنها حسمت أمرها، وحملتها بين ذراعيها، بعد أن وضعت بداخل ثيابها بعض النقود، ولفت حول رقبتها سلسلة كانت ترتديها تنتهي بخرزة زرقاء لا توحي بهوية صاحبتها .

وفي فورة مشاعر مفاجئة، انهمرت دموعها لتغرق وجهها. وكأن هناك شيئًا غامضًا أحيا بداخلها مشاعر الأمومة، تغلبت هي عليه، قبل أن تقبلها قبلة أخيرة، لتتركها في مهد بائس أمام باب الملجأ، وسط الظلام، والبرد .

كانت أمها تدرك في قريرتها، أن الأطفال الرضع لهم سعر جيد في سوق التسول، يصل إلى ثلاثة آلاف جنيه، وربما أكثر، إلا أن شيئًا ما في أعماقها، ألهمها أن مستقبل طفلتها في الملجأ قد يكون أفضل لو تبنتها أسرة ميسورة الحال، عوضًا عن أن تكون مجرد جسد مخدر يثير شفقة المارة وإحسانهم، في محطات المترو، وعلى الأرصفة .

وعندما سمعت الطفلة صوت سيارة الأجرة يتلاشى، أدركت كم هي وحيدة وضعيفة في هذا العالم، فتكورت مكانها تترقب الخطوة التالية من ذلك العالم المخيف الذي لم تر منه خيرًا قط؛ فلم يستجب لبكائها إلا مخلوق من ذوات الأربع. ومن قراءتها لعقله، أدركت أنه لن يرأف بعجزها أو بضعفها، فتحفزت .

القط كان جائعًا، ووجودها العاجز أثاره .

وعندما اقترب منها، ليحظى بعشائه الدسم، هوت على رأسه صاعقتها العقلية، فلم يفهم أو يستوعب إلا أن هناك من ركله، ليصطدم بباب الملجأ المعدني المتآكلة حوافه مصدرًا ضجة محدودة .

وساعتها دار القط حول نفسه في عصبية، وقد انتفش فرائه ليواجه مهاجمه الغامض، فلم يجد إلا الظلام .

وعندما خفتت حدة الألم، هزم نداء الجوع مخاوفه، فاقترب من مهدها مجددًا، فشمت رائحة أنفاسه النتنة وهي تصطدم بوجهها، وسمعت صوت لهاثه الشره وهو

يتفحصها في حذر، قبل أن يصدر مواءً متوترًا، ويدفعه الجوع القارص لمعاودة الكرة، ومحاولة نهش وجهها .

وعندما شُقت حنجرته فارق الحياة على الفور، قبل أن يمتلك أي إجابة عن عدوه الخفي الذي انتزع منه أرواحه السبعة في غمضة عين .

فقط عندما تناثرت دمائه على وجهها أطلقت ضحكة جزلة، وحركت كفها الصغير في سعادة، وأدركت من وقتها أن هناك شيئًا وحشيًا يسكن أعماقها.. شيئًا أصابها هي ذاتها بخوف شديد. إنها قادرة على مواجهة هذا الواقع المفزع، بل وقادرة على هزيمته !.

مرت الدقائق التالية بطيئة، قبل أن يلفت انتباهها صوت صرير الباب الخارجي للملجأ وهو يفتح، فأدركت أن النجدة قادمة، قبل أن تسمع الشهقة، وصوت ذلك الشاب المرتجف يقول بصدمة

- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! ما هذا الذي أراه!؟

»

وهنا دوى من خلفه صوت محمل بانفعالات مختلفة

- «انصرف يا رمزي قبل أن يراك أي شخص ويـ ...»

قطعت صاحبة الصوت حديثها بشهقة أخرى، تبعتها صرخة مكتومة، قبل أن تستطرد بصوت كاره

- «إنه يوم أسود! لقيط آخر غارق في الدماء!؟ وجثة قط مشقوق الحنجرة!؟ إنه يوم أغبر لن ينتهي على خير !».

قاطعها صوت رمزي في اضطراب

- «هل أساعدك في ...»

وهنا وكزته بقوة، وهي ترمقه في مقت

- «اختفي من وجهي الآن يا ابن الأفاعي! لن أختم هذا اليوم الأسود بفضيحة! اذهب وساعد نفسك أولا أيها العاجز ».

وهنا كسى وجه رمزي بعض الضيق، قبل أن يلتقط أذنه صوت المؤذن الذي رفع أذان الفجر، ليسلم ساقيه للريح ويختفي بقلب الظلام قبل أن يرصده أحد، في حين ركلت هي جثة القط في اشمئزاز لتبعدها عن المدخل، وسحبت تلك الطفلة من المهد الغارق في الدماء، لتسقط تلك الأوراق المالية التي تركتها أم الطفلة بين طيات ثيابها على الأرض، لتجمعها في جشع وهي تتمتم

- «يبدو وأنه لن يكون يومًا سيئًا في النهاية. كفاني ما وجدته مع هذا العاجز من عناء».

وهنا قامت الطفلة بقدراتها الذهنية بتحريك تلك القلادة التي تخص أمها، والتي تنتهي بالخرزة الزرقاء اللامعة، داخل ردائها الصغير، وأخفتها تمامًا دون أن تمسها.

كانت تحافظ على أول ممتلكاتها، ورابطتها الأخيرة بأهلها؛ فيومًا ما قد تحتاج للعودة إلى الجذور، وهذه الأشياء الرمزية قد تمنحها بعض العزاء.

وعزاؤها الآن، أن قدراتها تتطور، وتصبح أقوى مع مرور الوقت. إنها ليست ضعيفة، حتى لو قرر لها العالم ذلك !.

تعالت أصوات خطوات المرأة وأنفاسها اللاهثة لتصدم أذنيها، وخلال دقائق قليلة كانت في داخل ذلك المكان الرهيب .

لتبدأ حياتها الجديدة كما سطرتها الأقدار .

(2)

عندما غادرت السرداب الواقع أسفل قصرها، لم تكن تشعر بتلك الحيوية المعتادة التي تعتريها كلما هبطت إليه، بل على عكس كل مرة، كانت تشعر بإنهاك وتعب شديدين، بعد أن استنفذت طاقتها في صنع ذلك الوهم التفاعلي الدائم، الذي أغرقت فيه عقل ذلك الكاتب قليل الموهبة، الذي انتهى من أداء مهمته الدموية، وتركته وحيدًا في سجنه العقلي الأبدي، يتعذب كمصاصي الدماء .

لم تكن تشعر بذنب أو بتأنيب الضمير بعد أن تركته خلفها، ولكنها كانت تشعر بغصة في حلقها، وبضيق شديد في صدرها، وكأنها ابتلعت طن كامل من الغبار أو الرمال الجافة. لقد نفذت حكمًا عادلًا في شخص فاسد، ولكن من قال أن العدالة هي قمة الإنسانية!؟ من يمكن أن يحكم بحكم أبدي على مجرم مهما كانت فداحة جرائمه!؟ .

الأبدية في الأحكام جائرة وظالمة؛ لابد من حد تقف عنده قسوة الأحكام !.

صعدت الدرج بخطواتها الأنيقة، فتبدلت هيئتها، وتغير لون جلدها إلى الرمادي اللامع، ولون عينيها إلى الأخضر الباهت، دليلًا على الضيق .

قطعت الممر الجانبي المضاء بإضاءة خافتة مريحة للأعصاب، وعقلها ما زال يئن من المجهود. وصلت لباب غرفتها الخشبي الأنيق المزين بنقوش غامضة، دفعته ودخلت وهي تتنفس هواء غرفتها المنكه بعمق، واستلقت على الفراش، لتبدأ جلسة تدليك مسائية، تحتاجها بقوة .

كانت رائحة البخور الهندي المُخلط ببعض العطور والمواد النادرة تفعم الأجواء، لقد أعدت هذا المزيج بنفسها، لتصل لكنُه تلك الرائحة الأخاذة أو أقرب ما يكون لها، بعد سعي ومجهود رهيب اعتمادًا فقط على الذاكرة، وبعض الذكريات التي تعود إلى زمن سحيق،

وفي النهاية نجحت ليخرج هذا المزيج الساحر المنعش .

ومع تلك الموسيقى الأوبرالية المتصاعدة من جرامافون عتيق يحتل أحد أركان المكان شبه المظلم، شعرت بأن روحها تسافر إلى السماء، وأن أعصابها تصير أكثر هدوءًا .

ومع تلك اللمسات القوية التي يقوم بها المدلك لجسدها المنحوت الخالي من العيوب والدهون، تحرر وعيها وسبح إلى عالم آخر. أغمضت عينيها لتتلاشى من ذهنها صورة تلك الممسات القوية، التي يستخدمها خادمها المتحول في تدليكها؛ فبرغم مظهرها المقزز إلا أنها تمنحها شعورًا ونشوة لا تقاوم، وعادت ذاكرتها إلى زمن بعيد، وكانت أولى الكلمات التي طرقت وعيها

- «(ماي.آر) هل استيقظتِ!؟ ».

نظرت ماي آر إلى أمها ببرود قبل أن تجيب

- «أنا لم أنم كي أستيقظ يا أمي! هل تنام الشاة التي تعرف موعد ذبحها!؟ ».

منحتها أمها نظرة لائمة، قبل أن تقول بغضب

- «هيا انهضي يا سليطة اللسان وارتدي ثيابك؛ لن يسر الكهنة بتأخرك عن المراسم، ولن يكون جيدًا لمكانة أبيك أن تتخلف ابنته الكبرى التي أفسدها التدليل، عن طقوس البعث ».

منحتها ماي آر نظرة باردة، قبل أن تقول

- «طقوس البعث!! أما زلت تؤمنين بهذا الهراء!!؟ ».

ظهر الغضب على وجه أمها، الذي شحب وتبدل لونه، ليصبح كجثث الموتى، قبل أن تقول

- «لولا أن اليوم محرم فيه كل أنواع الإيذاء، لوضعتك في الحفرة مع الشنغار لتتهذبي وتتعلمي الطاعة، واحترام عقيدة الأجداد ».

ابتسمت ماي آر في سخرية، وقالت

- «وماذا عن الحرب الضروس الدائرة خارج حدودنا!؟ ألا تعد نوعًا من الإيذاء، أم هي ترضي أرواح الأجداد، التي تباركنا، ولم تستطع مباركة أنفسها، لتمنع عن نفسها الموت ».

ضجت الأم بحديث ابنتها وتمردها، فأشارت لها لتنهي ارتداء ثيابها، بعد أن أعتمت وعيها كي لا تقرأ ما يدور في رأس ابنتها المتمردة؛ لأنها في هذه الحالة لن تستطيع السيطرة على نفسها لتفسد قدسية ذلك اليوم
.

لقد دللها والدها حتى فسدت تمامًا، وصارت تسخر من كل شيء حتى المقدسات، والثوابت الدينية، ولهذا ستكون لها معهما، وقفة كبيرة بعد انتهاء المراسم، لو لم ترحمها الآلهة، ويختارها الطوطم لخدمته .

تنفست بعمق لتسيطر على أعصابها، وهي تفكر :

- «هذه هي جريرة الأم التي تترك أبناءها تحت رعاية زوج يحمل في رأسه عقلًا فاسدًا كعقله. إنها تستحق الجلد على فعلتها، والجلد أهون مما تكابده الآن ».

نهضت ماي آر بتثاقل، وأخرجت رداءها الجلدي المدبوغ، والذي زين بالعديد من الأحجار الثمينة البراقة، من خزانة مصنوعة من مزيج عجيب من الصخور وخشب الأبنوس، وأخذت ترتديه في بطء ليكسو جلدها الرمادي في انسيابية. قبل أن تتأمل نفسها في مرآة معدنية مصقولة، وتغمض عينيها للحظة، ليتحول لون جلدها الرمادي إلى لون أزرق داكن لائم الرداء الجلدي في أناقة. فصارت كجنية فاتنة مع شعرها الأسود الذي انساب على كتفيها، لترتدي قرطًا من أسنان الحوت الأزرق طُعّم في منتصفه بماسة سوداء متوهجة .

كانت متوترة ومتهيبة من حضور تلك المناسبة الكئيبة، التي سعت إليها بجد طوال الأعوام السابقة، ورغبتها العارمة في عدم حضورها هذه المرة، مع قلقها مما سيترتب عليها من كوارث لا يدرى عنها سواها .

وبرغم ذلك لم تتخل عن أناقتها؛ فما زالت وحدها متربعة على عرش الأنوثة والفتنة، ومازالت تحتفظ دون منافس حقيقي بلقب ملكة جمال الكوكب، والفارسة الأولى .

كان اليوم هو الخامس من تيفور، لذا كان عليها أن تذهب إلى الميدان الكبير لتشترك في طقوس البعث الوثنية، وتقدم نفسها كقربان للطوطم الأعظم .

ما يفزعها، أن يقع عليها الاختيار في اختبار الراهبات لهذا العام، فتتحقق تلك الرؤى المخيفة التي تحاصرها منذ عدة أيام. والتي تظهر فيها ملامح كارثة عظمى على وشك التحقق .

إن عليها منعها.. ستقتل نفسها لو كان هذا هو الثمن، ولكنها سترجئ قرارها حتى تلتقي بأبيها، الذي أعاقه منصبه عن الحضور إلى بيته منذ عدة أيام .

خرجت من غرفتها، التي أظلمت تمامًا بعد مغادرتها لها في استجابة سريعة لإشارتها، وتوجهت صوب القاعة

التي يجتمع فيها كل أفراد أسرتها، و .

قطع حبل أفكارها وأعادها إلى الحاضر، تلك اللسعات الكهربية المتتابعة التي نبهت عقلها وحفزت وعيها، وأخرجته من حالة الشرود التي حاصرته على غير العادة، مع وخز تلك الممسات لعضلات ظهرها، فاستنشقت هواء المكان المعبق بالروائح في بطء وهي تهز رأسها لتتخلص من مصيدة الذكريات، التي أحكمت قبضتها عليها .

حاولت أن تصفي ذهنها المكدود من كل الأفكار وأن تسترخي أكثر، إلا أن رغبة عارمة قاهرة نبتت بأعماقها، وأخذت تدفعها مرة أخرى إلى الماضي، كمغناطيس ذي قوة عظيمة، لا سيطرة لها عليه. وفي النهاية استسلمت للنداء القاهر، وسبحت لأعماق الماضي والذكريات .

برغم اتساع المكان، والحضور الذي تجاوز الخمسين ألفًا، وهو رقم كبير خاصة مع تلك الاضطرابات التي تسود منذ فترة في أنحاء الكوكب، وتحذيرات

المسؤولين عن الأمن، بأن التجمعات المماثلة لن تكون آمنة بنسبة مئة في المئة، وشبح الموت الجاثم فوق صدر المنطقة الوسطى، إلا أن رائحة العطر القوي المختلط برائحة الخشب المحترق، كان يمنح للمكان حميمية محببة .

نفس الرائحة التي كانت تنبعث من البخور المخلط الذي يعبق غرفتها، أو هي قريبة منها إلى حد كبير. وتلك الرائحة هي الشيء الوحيد الذي لم تنفر منه ماي آر في المكان؛ إن لديها ارتباطًا قويًا مع الروائح الزكية .

كل شيء آخر كان يمثل لها ضغطًا عصبيًا إضافيًا جعل عينيها تتحولان من اللون الأخضر الزرعي إلى الأخضر الباهت مجددًا، وبرغم ذلك لم تتوقف العيون الوقحة، والفضولية، والراغبة، والمتهيبة، عن تتبعها، وكل ما كانت تفعله هي أن تتجاهل كل شيء .

حاولت أن تنعزل عن التواصل الجمعي، أن تعتم وعيها كي لا تتشارك مع من حولها في تلك الأفكار التي كان

يبثها الطوطم، ولكنها فشلت، وظل يتردد في خلفية أفكارها، تلك النصائح التي تم توارثها عن الأجداد، خاصة الجد الأكبر الذي وحّد القبائل (ري جار)، في العصور الغابرة .

- «الجد الأكبر ري جار يطلع على قلوبكم، فلتكن بيضاء كالثلج ».

- «الجد الأكبر ري جار يعلم ما يقلقكم، فلا تترددوا في طلب مساعدته ».

- «الجد الأكبر ري جار يؤمن أن أهم العبادات هي العمل، فليكن جزء من عملكم للمعبد المقدس ».

- «الجد الأكبر ري جار تسكن روحه الطوطم، فليكن الطوطم قبلتكم ».

- «الجد الأكبر ري جار يؤمن بالوطن، فلتكن دماؤكم فداءً الوطن ».

- «الجد الأكبر ري ....».

- «سحقًا للجد الأكبر !».

قالتها ماي آر في سخط، وهي تتأمل المكان الذي تحول لسيرك كبير تؤمه المخلوقات من جميع الدول، والممالك، والإمبراطوريات، والكواكب القريبة .

كانت تكره تلك الطقوس البالية، التي تحاول بجهد صفيق المحافظة على تراث الأجداد، والذين برغم موتهم ما زالوا يصرون على مد أنوفهم النخرة في الحاضر رغمًا عن الجميع .

كل هذا والحرب الضروس مستعرة في الخارج، وتلتهم خيرة شبابهم، وتطلب المزيد دون هوادة. تلك الحرب التي لا تعرف حتى هذه اللحظة سببًا حقيقًا مقنعًا لاندلاعها .

كانت تؤمن بأنه لا يوجد دعوة لإله أو دين حق، تتم على أسنة الرماح ونصال السيوف، أو هدير البنادق، ودانات المدافع، وراجمات الصواريخ، ولا بطاريات الليزر الجهنمية، كما كان يحدث عبر القرون الفائتة .

إراقة الدماء فعل همجي لا يتسق مع روح الأديان التي تدعوا للسلام .

إن ما يحدث هو مؤامرة كبرى تراق فيها الدماء، لتبرير الباطل وجعله حقًا، بنسج كذبة عملاقة حوله، وصنع عداء وثأر، يلهي الجميع عن حقيقة ما يحاربون من أجله .

كل شيء زائف، ولكنه مرتب ومنظم بدقة، لذا لا يمكن التشكيك فيه، وهذه هي مهمتها الحقيقة؛ أن تميط اللثام عما يحاولون إخفاءه عبر الزمن .

تجاهلت كل شيء، واتجهت صوب أبيها، بعد أن حددت موقعه بغريزتها المتفوقة. كان يقف كالطود الشامخ بقلب حلقة نقاش يحوطه فيها ما لا يقل عن عشرة من المخلوقات المتباينة في الأشكال والأحجام؛ فالتنوع الحيوي في عالمها جعل الأحياء فيه ممن يحوذون ذكاءً وحضارة يفوقون الألف فصيلة، إلا أن جنس البشر كان يتخطى في تعداده ثلث عدد هذه الفئات، فله الغلبة في ذلك الزمن الغابر .

هي نفسها تنتمي لأب من البشر، ولأم من المتحولين، وهم جنس كالحرباء، يستطيع التشكل في أشكال المخلوقات الأخرى، كما أن له القدرة على الاختفاء بتغيير ذبذبة جسده، وقد جمعت هي أنقى الصفات الوراثية من الجنسين، بالإضافة إلى الذكاء الخارق والقدرات العقلية المتفوقة .

وقف أبوها بوجه أحمر منتفخ يشرح لشريحة منهم جزءًا من تاريخ المكان، ويضيف إليه بطريقة ذكية، أو خبيثة لو أردنا الدقة، بعضًا من آرائه وأفكاره الثورية بطريقة خفيفة الظل، جعلت الجميع ينصتون له وينبهرون به، فذكرها بالرسول السابع الذي مجدّه المستنيرون، ورفضه المتعصبون، وحارب أفكاره الكهنة، رغم أنه كان واحدًا منهم، والذي اختفى في ظروف غامضة، كما كان ظهوره .

كانت تريد التحدث معه بشدة، لذا وقفت على بعد عدة خطوات منه مترددة؛ فمن البروتوكولات التي تربت عليها ألا تقاطع حديثًا مماثلًا. وفي هذه اللحظة كان من يتحدث، شخص ملتح ذو وجه ناري، ورأس

صلعاء مليئة بالنتوء تشي بانتمائه لمملكة الشمال، وهو يشير معارضًا

- «لا يمكن أن نسمح لهذه الحرب بالانتهاء قبل أن تحقق هدفها! لا يمكن أن نترك أوغاد مين بار يتحكمون في منابع الكردون؛ إنه مصدر الحياة لعشيرتنا، كما أنه المكان الذي تجلى عليه الطوطم لأول مرة !».

وهنا رد عليه أبوها بدبلوماسيته المعهودة

- «أنا لا أعترض على قرار الحكماء، ولا حكمة أن يتجلى عليه الطوطم ليتقدس إلى الأبد، ولكننا لن نفنى لو جف الكردون نفسه؛ لدينا مصادر أخرى للمياه غيره، فلماذا ندفع هذا الثمن الباهظ من مواردنا وأرواح شبابنا، ونستعدي من كانوا ذات يوم حلفائنا!؟ هناك الآبار، والعيون، والمياه الجوفية، ومعامل تكثيف المياه من الهواء، والمطر الكيميائي الصناعي. إن الأمر يبدو مريبًا، وكأن وراءه هدفًا آخر ».

ظهر الغضب على وجه مخلوق ذو وجه خشبي، له رأس شفاف تتحرك بداخله سوائل حيوية داكنة، ينتمي لإقليم الشرق، قائلًا

- «إن لم يكن هذا تشكيكا، فكيف يكون التشكيك!؟ لا توجد أمة تفرط في أحد مصادر حياتها كالنهر، أو تتركه لتتحكم فيه أمة أخرى، إلا وكانت أمة خائنة لكل المبادئ والأعراف! سيبقى نهرنا المقدس جزءًا لا يتجزأ من أمننا، ووطننا، وقيمنا، وسنفديه بالدماء ».

رد أبوها في غضب

- لا يتخلى أحد عن جزء من وطنه إلا وكان خائنًا، لا يوجد جدال في ذلك، ولكني أقول أن الحروب ليست وحدها الوسيلة الفعالة لإنهاء الصراعات، كما لا يجب أن يتم خلط العقائد بالسياسة، ليدفع الشباب وحدهم في النهاية الثمن بالدماء !».

ابتلع ريقه ثم أكمل

- «إن أعلى درجات الوطنية أن تحافظ على أرضك ووطنك، والأعلى منها أن تحافظ على شبابه لأنه من غيره لا وطن ولا مستقبل، والعقيدة التي تدعوا للدمار وسفك الدماء عقيدة فاسدة ».

احتدم النقاش، فقررت ماي آر أن تتدخل، كي لا تفلت أعصاب أبيها أكثر فتكشف عن مكنون صدره، فيصل لجواسيس الكهنة أو الحاكم. كما أن اقتراب موعد المراسم كان يعصف بتركيزها. وبكل رشاقة قطعت المسافة الفاصلة، وتجلت عليهم بجمالها الباهر. وهنا حدثت المعجزة، وتبخرت من رؤوس الجميع كل الأفكار، إلا الانبهار بتلك اللوحة الكونية المذهلة، التي تتحرك وتبتسم، وتقترب منهم .

كانت ماي آر تدرك عمق وقوة تأثيرها على الذكور من جميع الأجناس والعشائر بهيئتها الهجينة الفاتنة، لذا فإنها تجاهلت الجمع الغارق في التسبيح بجمالها، واقتربت من أبيها لتقبل الأرض بين يديه، قبل أن ينهضها، وهو يقهقه قائلًا

- «لم يعد أحد يستخدم هذه التحية القديمة يا ماي آر، ولكني والحق أقول إنها ترضيني.. ترضيني كثيرًا ».

قالها ثم ضمها إليه، وهو يشير لأصحاب العيون الشاخصة، مكملًا حديثه

- «ابنتي ماي آر، إلهة الجمال على كوكبنا، أتت اليوم لتشاركنا طقوس البعث، وتقدم نفسها لخدمة الطوطم ».

وهنا صرخ شاب متحمس قائلًا

- «إنها خلقت ليخدمها الجميع، لا لتخدم أحدًا مهما كانت قدسيته ».

أعجبها التعبير برغم دقة موقفها، فابتسمت له ابتسامة باهتة، قبل أن تلمح صديقه، يقبض على ذراعه، ويهمس له بصوت مسموع

- «حنانيك أيها الأحمق! العيون والآذان مترصدة حولنا! لا تجعل حماقتك ترغمك على قضاء يوم البعث

في زنزانة باردة بتهمة الهرطقة وإهانة الطوطم !».

وهنا سحبها والدها من ذراعها، وهو يحادث الجميع

- «المعذرة لكم جميعًا، ولكني بحاجة لتناول شراب منعش مع ابنتي قبل أن أصحبها لحضور المراسم؛ فربما لن أراها قبل عام كامل ».

لم ينتظر إجابة منهم، وهو يضم ابنته في حميمية إلى صدره، وخلفه تتصاعد همهمات المصعوقين بفتنتها، متوجهًا صوب إحدى البنايات الضخمة، التي تبدو كملهى ليلي، وهو يقهقه قائلًا

- «أنت الفتنة تسير على قدمين يا ماي آر. من أين حظيتِ بكل هذا الجمال وهذه الروعة!؟ ».

كانت تعشق جملة أبيها هذه، ولا تمل أبدًا من سماعها، لذا فإنها أخفت قلقها بأعماقها، وهي تجيبه بردها المعتاد

- «من تكون ابنتك لن تحظى بشيء أقل من هذا ».

عاد يقهقه، وهو يرى النادل يترك زبونًا آخر، ويعدو نحوهما ليجذب المقعد من أمام الطاولة، ليسمح لها بالجلوس .

يعاملها الجميع كملكة، لذلك كانت كل العيون التي اتسعت انبهارًا لا تحرك في رأسها شعرة واحدة. تجاهلتهم باعتياد والتفتت بكامل مشاعرها صوب أبيها، قبل أن تقول بضيق وتردد

- «أبي، هناك شيء خطير يجب أن تعلم به ».

نظر لها والدها باهتمام وقلق، وكأنه يحثها على الاستطراد، فقالت باضطراب :

- «أبي، لا يجب أن أشترك في طقوس البعث هذه العام. إن الأمر خطير جدًا، وعليك أن تساعدني ».

وهنا أربد وجه أبيها، ليقول بصوت محتقن منفعل حذر

- «أي جنون هذا الذي تتفوهين به يا ماي آرا؟ نحن ننتظر هذه اللحظة من عام لعام! نحن نجازف بكل

شيء من أجلها ».

تبدلت ملامحها، وتحول لون عينيها إلى اللون الزيتي، قبل أن تقول بحنق

- «أنت لا تدري يا أبي عمّ تتحدث. أنا لا أتنصل من مهمتي؛ فأنت تعلم كيف أنشأتني، ليست ماي آر من تهرب من ميدان المعركة. لكن الثمن فادح، أنت لا تعلم ما أعلمه، لقد غبت هذه المرة كثيرًا، فلم تحط بالمستجدات ».

كادت ملامحه أن تلين بعد حديثها المبهم، ووقر في نفسه أنها خائفة من شيء مجهول، مما جعله يتساءل في نفسه عما تبدل في شخصية ابنته خلال الفترة البسيطة التي قضاها في قصر الحاكم. إنها ليست المرة الأولى التي تخوض فيها الاختبارات، فلِمَ كل هذا القلق!؟ لذا فإنه حسم أمره، وقال

- «أهذا مكان يصلح لحديث مماثل أو توقيته!؟ هل أصابك الجنون يا ماي آر!؟ إن كل العيون ترصدنا!

ولكن أخبريني هنا، لماذا ترفضين هذه المرة بشدة!؟ وما الذي تعلمينه ولا أعلمه؟ نحن لن ننتظر عامًا آخر، من أجل هستريتك. لابد وأن تخوضي المراسم؛ فلن تذهب كل الجهود والنفقات والإعدادات سدى، إنني ومن معي حـ ...».

قاطعته قائلة

- «لقد أتتني رؤى مظلمة يا أبي! رؤى أدركت منها أنني لو خضت هذه المراسم لن أراكم مجددًا !».

تجلى الغضب في وجه أبيها قبل أن يقول

- «أي جنون هذا الذي تتفوهين به!؟ إنه عام فقط، ثم تعودين لأحضان أبيك، محملة بالمعلومات المطلوبة. نحن مستعدون لتلك اللحظة تمامًا، وما هذه الرؤى إلا تفاعلات عقلك مع الحدث الخطير المقبل. مارسي رياضتك العقلية لتتغلبي عليها، لقد دربناك جيدًا ».

وهنا تبدل لون عينيها للأخضر الباهت قبل أن تقول في توتر



لم يستطع أن ينطق، وكأن ذكر اسم صاحب الرؤى أعلى من قدرته على التفوه به، فهزت رأسها بالإيجاب في رهبة، قبل أن تقول في اضطراب

- «كنت أتمنى ألا يكون هو.. ولكن كل المؤشرات تخبرني أنه هو، وهو غاضب، بل يستعر غضبًا، إنه مقيد غير قادر على التحرر، ولكنه سيفني كل شيء، ليبدأ الزمن من جديد. هو لن يمل البحث عن حريته والانتقام ».

ظهر الفزع على وجه أبيها، فلم تكن رؤاها هي الوحيدة خلال هذه الفترة العصيبة، برغم أنها المرة الأولى التي يسمع بها منها .

المخيف في حديثها، أنه كان يعتقد أن أمر الرؤى المظلمة كان يخضع للسرية المطلقة حتى أخبرته عنه. ولولا منصبه، وقربه من الحاكم، والصداقة التي جمعتهما طوال عمرهما، لما علم به أبدًا .

إن الرؤى المظلمة بدأت تطارد الحاكم، ومجموعة منتقاة من السياسيين، في محاولة منها لقلبهم على الكهنة، لتعود من جديد لتتصدر الصورة أسطورة الرب المكبل، ونهاية الزمان .

كان من أعماقه يدرك أن دين الطوطم دين زائف، والإيمان به مصطنع، ومعجزاته كلها ملفقة، ولكن ما يخيفه ويقض مضجعه، أن يكون ما أفشاه الرسول السابع للطوطم حقيقة؛ فهو شيء لا يمكن تصوره ولا تخيله .

كيف يمكن لقوة ما أو جهة ما أن تصل للكائن الأسمى، لخالق الكون، وتقاتله في ملكوته الأعلى، بل كيف يمكن لها أن تهزمه، وتأسره، وتقيده وتسجنه!؟ .

لو كان دين الطوطم زيف، فكل هذا تجديف وكفر بين، ويناقض حتى المنطق والعقل !.

صحيح أنه دفع ابنته دفعًا للقيام بمغامرتها هذه، وزرع رجاله بجسدها وعقلها آليات متطورة ذات قدرات

فائقة، ستساعدها في رصد وتسجيل كل ما تمر به، قبل أن يمحو الكهنة ذاكرتها في نهاية خدمتها للطوطم، كما يحدث كل عام مع الفتاة المختارة، فتكشف لهم سر قوة الكهنة، وطول أعمارهم، وحقيقة الطوطم، ولكنه لم يصدق لحظة واحدة كل هذا الدجل الدائر حول الإله المكبل !.

لقد كان ممن آمنوا بمعظم ما جاء به الرسول السابع، فجعل كل ثروته في خدمة البحث عن حقيقة ادعاءاته، ولم يكن وحده من آمن به؛ فعبر التنظيم السري الذي يقوده استطاع أن يستقطب عددًا لا حصر له ممن آمنوا بالرسول السابع، حتى أصبح يقود تنظيم قوي ومتشعب، يمتلك موارد بلا حدود .

وبرغم عددهم الهائل، وإمكاناتهم التي بلا حدود، لم يصلوا لشيء جدير بدعم ادعاءات الرسول السابع وحقيقة الإله المكبل، أكثر من تقنيات الإيمان المزيفة، والبث الفضائي المشفر. وكانت مغامرة ماي آر القادمة، هي السبيل الوحيد لكشف سر الطوطم والكهنة؛ لأنها

ستكون جاسوستهم المجهزة التي ستحيا لعام كامل بين الكهنة، وفي عرين الطوطم .

فكر للحظة وقلبه المنهك ينقبض في عنف، قبل أن يتغير لون وجهه، محدثًا نفسه: «طالما ذكرته، فلا يمكن أن تكون توهمته، وهذا نذير شؤم كبير؛ فالأساطير لا تبعث هكذا دون مقدمات، لذا لا مناص من تعكير اليوم بإلغاء الطقوس، لا يمكن أن يجازف بكل شيء ».

وبكل توتر وجه حديثه إلى ابنته قائلًا

- «الأمر بالفعل خطير يا ماي آر. لستِ وحدك من رأى تلك الرؤى، الحاكم وبعض السياسيون عانوا منها، ولكنكِ الوحيدة التي تواصلت معها، حتى أدركتِ سر التواصل، وكون تتوجيك كما تدعين هو بداية النهاية، فلابد أن تجهض هذه المراسم، لا أدري إن كانت الأسطورة صحيحة أم لا، ولكن من الواضح أن هناك خطرًا داهمًا يتهدد الجميع، وواجبي أن ...»

قاطعته ماي آر وقالت

- «إن الأمر مفزع بالفعل يا أبي، لولا تلك القوة المظلمة التي تحجبه لتواصلت معك ذهنيًا لتراه. إن العلامات تحتشد، والتتويج هو نقطة النهاية. هو نفسه أخبرني بهذا وكأنه يتحدى أن يتمكن أحد من إيقافه هذه المرة، لقد علمت هذا بشيء أعلى من الكلمات والاتصال العقلي، وأنا أعلم أن الكهنة لن يستمعوا لك أو للحاكم، ولن يجهضوا المراسم، ولو احترق الكوكب كله، إنك بهذا تطعن في عقيدتهم، وتهين طوطمهم، و ...»

قطع حديثها قدوم النادل الذي ناول لأبيها كأسه المحتوي على السيرمون، المشروب الوحيد المسموح به في هذا اليوم المقدس، ليتلقفه الأب في سرعة ليتجرع الكأس، ويتبعه بكأس ابنته دون وعي، ويطلب غيرهما، قبل أن يعود ببصره إليها، ويقول

- «لابد من إيقافها يا ماي آر، لابد من ...»

وقبل أن يتفوه بأي كلمة إضافية، دوى البوق المقدس ليعلن للجميع أن المراسم أوشكت على البدء، فنظر حوله بفزع. كان عليه أن يقابل الحاكم، لا أحد غيره قادر على التواصل مع الكهنة لإيقاف هذه المراسم، ولتذهب خلافاتهم العقائدية الآن للجحيم؛ فالحياة نفسها في خطر. عليه أن يمنع تحقق رؤى الفناء، إنها مهمته الآن !.

وعندما هم بالتحرك، لمح زوجته بوجهها المكفهر تظهر في المكان، وتقترب منه بسرعتها المعهودة، والتي يتميز بها بني جنسها، وكأنها تحمل في جعبتها مصيبة. وقبل أن يحرك طرفًا واحدًا من أطرافه، غامت الرؤية أمام عينيه لتظلم تمامًا، ليذهب في سبات عميق، بعد أن خدره المشروب الذي أعدته له زوجته في غفلة من النادل بعد أن استخدمت قدرتها على المحاكاة والاختفاء، وللمرة الأولى ضد زوجها، لتتلقف رأسه بين يديها، وتريحه على المقعد، قبل أن توجه حديثها لابنتها كي تخرج إلى حارسيْ المعبد اللذين ينتظرانها بالخارج لاصطحابها لتلحق بالمراسم .

كانت الزوجة تدرك مدى تأثير ابنتها السيئ على أبيها، وحماقته في التعامل معها، لذا فإنها قررت أن تتولى الأمر هذه المرة في مخالفة واضحة لتقاليد عشيرتها والتي تعتبر الخروج على الزوج إثمًا عظيمًا، تستحق فاعلته العقاب. والجلد أقل عقاب لتطهيرها من فداحة هذا الجرم، وكانت هي مستعدة لتلقي العقاب مهما كانت قسوته؛ فالمهم ألا يشاع عن أسرتها أنها أصبحت تجمع بين فروعها أيًا من المتمردين، أو المستنيرين، أو عصاة الأجداد .

لن تنتهك قدسية اليوم بسبب أحد أفراد عائلتها، ولو نالت غضب زوجها، وعشيرتها، وكل أفراد أسرتها. وبكل غضب نظرت لها ماي آر وقالت

- «لن أسامحك أبدًا على هذه الفعلة المشينة يا أمي! ولتعلمي شيئًا واحدًا فقط. أنكِ جلبت الخراب على الجميع !».

أدارت أمها وجهها حتى غابت عن بصرها، وجلست بجوار زوجها لدقائق معدودة، كانت كافية لتضمن

وصول ابنتها إلى حيث تقام المراسم. لتخرج زجاجة بلورية من طيات ثوبها، لتضعها تحت أنف زوجها، الذي انتفض في عنف متسائلًا عن ابنته في فزع، قبل أن يتنبه للرائحة القوية التي تزكم أنفه، لينظر لها في هلع قائلًا

- «ماذا فعلت أيتها الحمقاء!؟ لقد أضعتِ كل شيء !!».

لم تجيبه زوجته، بل تجاهلته، ونهضت من مكانها، وغادرت الملهى بكل إباء لتلحق بالمراسم، وهي تعنفه برسالة عقلية غاضبة، لم يسمعها غيره

- «الحماقة هي إغضاب الأجداد في مثل هذا اليوم. هلم لتلحق بالمراسم قبل أن يلحظوا غيابك؛ فعيونهم في كل مكان ».

ثم انصرفت في كبرياء واعتداد، وهي تشعر في قرارة نفسها أنها قد أدت مهمتها نحو عائلتها ونحو الطوطم، وتركت زوجها خلفها في حالة تامة من الانهيار، والتشتت، والهلع، وهو يردد في هلع

- «لابد أن أمنع إتمام المراسم بأي ثمن !».

وعندما غادر كان قد اتخذ أخطر قرار في حياته !.

(3)

كان يوم أمير من تلك الأيام البائسة التي تزيد صاحبها كرهًا للعالم والحياة. تلك الأيام التي نشعر أنها ممتدة إلى الأبد ولن تنتهي، مهما حاولنا أو عانينا، أو رغبنا في إنهائها .

سوء الحظ ظل يلازمه طوال هذا اليوم المقيت كظله. ولا شيء يسير أبدًا كما يتمنى. السيارة التي ورثها عن أبيه تتعطل للمرة الأولى في تاريخها، ينسى مفاتيحه التي تحتوي على مفتاح خزانة الملفات، التي بها ملف يحتاجه رئيس التحرير، فيضطر لكسر قفلها، ليكتشف أنه نسي الملف في المنزل! يتشاجر مع رئيس التحرير، ومع الميكانيكي، ومع سائق الميكروباص !

وكما ترون هو يوم مناسب لكل شيء سيئ. والأشياء السيئة لا تأتي وحدها؛ إنها كالقطيع، عندما يصيبك أحدها، يهرول باقي القطيع عليك، ليسحقك بعنف .

لذا مرت عليه ساعات النهار ببطء شديد، وهو جالس في مقر عمله يصحح مقالة تافهة لكاتبة شابة، تعمل معه في نفس الجريدة متوسطة الشهرة، وتخطت مكانته في العمل برغم حداثة عهدها به؛ لمجرد أنها شابة وجميلة، وتروق لرئيس التحرير، وإن كان عملها لا يرقى لكونه موضوع تعبير وليس مقالًا صحفيًا .

تابع قراءة الهراء المكتوب وهو ينقحه واختناقه يتزايد، قبل أن ينحيه جانبًا، ويبدأ في كتابة الموضوع من البداية، وهو يلعن تلك الصحفية الضحلة، ورئيس التحرير الشهواني، ومهنة الصحافة قاطبة .

ولنصف ساعة ظل منهمكًا في الكتابة، وعندما أنهى المقال، طلبت منه تلك الصحفية السخيفة، أن يكتبه لها على الكومبيوتر لأنها بطيئة في الكتابة باللغة العربية، ورئيس التحرير متعجل عليه .

شعر للحظة أن الدنيا تميد به، وبأن أعصابه تشتعل. قرر أن يثور ويرفض ويعنفها، ويدخل لمديره ليلقي

في وجهه استقالته، ثم ليمنحه صفعة أو ركلة لو سنح له الوقت .

إنه لم يعد يتحمل كل هذه الإهانات! إنه لن يكون لعبة يتبادلها الجميع في أوقات فراغهم! إنه يقوم بكل شيء في المكان! لم يتبقى له إلا أن يقوم بعمل القهوة والشاي وينظف المكتب، ويحضر الخضار لزوجة المدير، و .

يفكر للحظة.. لقد قام بكل تلك المهام بالفعل من قبل! ليس بشكل واضح ولكنه قام بها! وعند هذه النقطة شعر بالضآلة، فانكمش في نفسه، وبدأ في الكتابة. كادت دمعة ساخنة أن تفر من عينيه، ولكنه خشي على مظهره أمام تلك الفتاة الرخيصة، وأن تنتزع عنه آخر ورقة احترام تستر كبرياءه .

أنهى العمل المطلوب، وناولها الورق المطبوع، لتختطفه منه وهي تعدو نحو غرفة المدير دون حتى أن تمنحه كلمة شكر، وكأنها تحمل بين يديها خلاصة فنون وعلوم وآداب العالم، ليسمع بعدها صوت المدير

الأجش يثني على عملها، قبل أن يصفع أذنه صوت الباب يغلق بالمزلاج الداخلي. لابد وأنها ستشكر المدير بطريقتها الخاصة .

لعن كل شيء، وهو يحصي تلك الدقائق المتبقية على انتهاء الدوام، وروحه مثقلة كقلب عاص، والحياة في عينيه لا توحي بأمل قادم. الانتحار كان فكرة مقبولة بالنسبة له في هذا التوقيت النفسي، بل جديرة في طرحها، ولكنه أجبن من أن يخرجها من حيز التفكير .

صداع عنيف يفتك برأسه، زاد مع معاناته في وسائل المواصلات،

ولأن اليوم أصر أن يكون عاصفًا، ورفض إعلان الهدنة بينهما، مر بمحاولة تحرش بائسة حدثت له من فتاة – «لابد وأنها نشالة»- في أحد أتوبيسات النقل العام. وعندما حاول أن يردعها، كاد أن يتلقى علقة ساخنة بعد أن اتهمته هي بالتحرش بها .

وعندما وصل إلى منزله، وجد أن المالك ترك له رسالة معلقة على باب شقته كتبت بخط رديء، يخبره فيها أنه ينوي طرده لو لم يسدد الإيجار المتأخر، كما وجد أن الطعام الذي أعدته له منال، وتركته تلك الحمقاء على باب شقته، قد التهمته القطط الضالة. وفي المطبخ، لم يجد قطرة ماء ليصنع قهوته المعتادة، بالإضافة لعدم وجود بن من الأساس؛ لقد انتهى منذ يومين!

حمد الله أنه لم يتزوج بعد، وإلا لكان اليوم انتهى بجريمة قتل؛ فمن مثله لن يوقعه حظه العثر إلا في زوجة تمتهن النكد، ولا يثنيها عنه إلا طعنة نافذة في قلبها .

أنفاسه تضيق أكثر.. يفكر في مغادرة المنزل لأن جدرانه تضغط على روحه.. يحصي الجنيهات القليلة التي لم تتبخر بعد، والتي ترقد في حافظته كمريض بفقر الدم، فيزداد اختناقه .

المبلغ لن يكفيه بالكاد إلا يومين.. يا ليته طلب سلفة من رب عمله قبل تلك الإجازة، التي تمتد لأربعة أيام يليها يوم الجمعة! يعاتب نفسه وكأنه لم يفكر في هذا الحل وجبن عن تنفيذه .

العيد على الأبواب ولكنه لا يهتم؛ هو يوم كباقي الأيام بالنسبة له، فمع من سيحتفل، وهو المقطوع من شجرة لا طفل له ولا زوجة. إنه يعيل نفسه بالكاد، فلماذا يتحمل مسؤولية وهم جديدين!؟ الزواج لمن يقدر عليه، والزواج ليس مشكلته الآن؛ المشكلة الكبرى في الإيجار الذي كُسر عليه لثلاثة أشهر، أربعمائة وخمسون جنيهًا في الشهر، أي أن المستحق عليه الآن ألف وثلاثمائة وخمسون جنيها، والشهر الرابع أوشك على الانتهاء، وهو مبلغ فادح حقًا .

فكر في أصدقائه، ليكتشف أنه ذئب وحيد، لا يوجد في حياته شخص مقرب أو يمكن وصفه بهذه الصفة. وإن لم يجد من يقرضه في القريب العاجل سيضطر، آسفًا، أن يفكر في حلول أخرى غير مشروعة .

الفكرة تلقى هوًى في نفسه؛ ربما لسهولتها، ولكن هل يمتلك الشجاعة الكافية لينفذ ما يفكر به حقًا!؟ الحياة ليست بهذه البساطة؛ لن يصدق تينا ترنر طبعا في أغنيتها (البساطة أفضل)؛ فلا شيء بسيط في هذه الحياة المقيتة. هي نفسها كانت تعاني من عنف زوجها وإدمانه للمخدرات !.

يشعل سيجارته الخمسين لهذا اليوم، يُخرج مع دخانها بعض غيظه، تنتهي موجة غضبه على لاشيء، وفي النهاية يرتدي ثيابه ويهبط إلى الشارع ليختلط بالناس، وعلى مقهاه المعتاد يجلس، ليحضر له صبي المقهى الشيشة والشاي الثقيل كثير السكر، والذي لا تغير حلاوته مرارة الأيام .

يتابع المارة بأعين زائغة لا هدف لها وهو ينفث الدخان في الهواء. إنها تلك الحالة من القنوط التي تجعل عقله يتوقف من اليأس. ومشاعره تتيبس وتتبلد، فلا يجد حلًا لمعضلته إلا أن يموت أو تحدث معجزة، والحلان ليسا متاحين، ولا يملك من أمرهما شيئًا .

على شاشة التلفاز العتيق، تدور مباراة بين فريقين يحوذان شعبية عالية بين رواد المقهى. باله غير رائق ليتابع مباراة كرة القدم الدائرة، والتي يتقاتل عليها بعض المتواجدين حوله في عصبية .

يترك كل شيء ويتابع الوجوه الغائبة عن الدنيا في ملكوت المباراة، وبداخله تطفو ابتسامة مريرة؛ فهو يعرف جيدًا أن مباريات كرة القدم نوع من المخدر المؤقت الذي تمنحه النظم الحاكمة للشعوب، نوع من حائط المبكى ليفرغوا عليه انفعالاتهم، فلا تصل مع الوقت إلى حد الانفجار .

أذان العشاء يدوي في أرجاء المكان من ميكرفون قريب، ليذكر البشر بخالقهم -خمس مرات يدوي الآذان ليذكرهم خلال اليوم، ورغم ذلك ينسون أو يدعون النسيان-صوت المؤذن يخترق أذنيه، ولكنه لا يلامس روحه، فلا يتحرك.. إن هذا مؤشر مخيف حقًا !.

البعض يغادر للصلاة، والأكثرية باقون .

يتأمل حاله، يتحدث إلى نفسه في انزعاج

- «لماذا لم تقم لتصلي!؟ أنت في أحوج وقت لتكون بين يدي خالقك؛ لتطلب منه أن يساعدك في محنتك !».

يبحث في عقله عن ألف حجة، ويتذرع بمئات الأشياء التي لا جدوى منها، حتى يفوت وقت الصلاة. فيعود لينتقد نفسه في كراهية :

- «ليس منطقًا أبدًا أن تمتنع عن الصلاة لأنك تستحي من أن تكون حاجتك هي سبب عودتك إلى خالقك. منطقك مهزوز جدًا، ولكنك تتجاهل نداء الضمير ».

يشعر بأن روحه تجمدت، كل الأشياء تساوت في نظره. تأتى سيارة مسرعة لتنثر المياه الآسنة على وجهه وملابسه، فيخرج بركان غضبه في السائق الذي لم يبال ولم يتوقف .

يمسح ملابسه بمنديل قماشي بهتت ألوانه، ويغسل وجهه ليتخلص مما علق به بالماء الموجود في الكوب

الزجاجي الذي أمامه، والذي يأتي دائمًا بصحبة كوب الشاي. وعندما انتهى من حملة التنظيف التي زادت الأمر سوءًا، رفع رأسه ليجده واقفًا أمامه كمصيبة .

- «حضرتك الأستاذ (أمير نافع)؟ ».

ينتفض في مكانه، يسيطر عليه الاضطراب للحظات، قبل أن يقول :

- «نعم.. أنا هو.. ماذا تريد؟ ».

يشير نحو سيارة فارهة حديثة تقف في زاوية غير واضحة، ويقول

- «أنا لا أريد شيئًا.. هو من يريد ».

يرفع رأسه صوب السيارة ذات الزجاج الداكن، تدور في عقله أفكار مضطربة، ورغم ذلك يتوجه نحو السيارة بخطوات وئيدة؛ فماذا لديه ليخسره؛ كل شيء في حياته بلا قيمة !

وبعد مضي عدة دقائق بداخل السيارة التي لا يستطيع ذكر ثمنها قبل أن يصاب بسكته قلبية فعلية، يخرج منها بوجه مكفهر، بعد لقاء قصير مع ذلك الشخص الغليظ الملامح، الأنيق الثياب، ورأسه تنبض من كثرة ما يدور بداخلها من أفكار .

كان الأمر كله يكتنفه الغموض، وذلك الشخص المبالغ في أدائه يثير ريبته. لا يمكن أن يكون المتحكم في كل شيء، هو درجة سلم من تلك الدرجات الكثيرة التي تقود إلى الشخص الكبير. هناك شيء ما في وجهه وتصرفاته يخبرانه بأنه حلقة في سلسلة تقود لمن هو أكبر، إنه ليس الكبير دون شك، ورغم ذلك له هيبته، كما أن عينيه مخيفتان إلى حد كبير .

لم يتحدث إليه كثيرًا، ولم يفصح عن شيء، فقط أخبره أن يقرأ ما في المظروف جيدًا، ويرد عليه خلال ثلاثة أيام بالقبول أو الرفض، ولم يحدد مكانًا معينًا للقاء لأنه هو من سيعثر عليه .

دوت الكلمة في رأسه، ليغزوه القلق؛ فمعنى كلام هذا الغامض أنه مراقب، وربما منذ زمن بعيد، وهو شيء لا يبشر بأي خير .

يعود إلى المقهى بروح مثقلة، لا نية لديه لفتح المظروف الثقيل الآن، فليؤجل المواجهة حتى يكون وحيدًا .

يطلب حَجَرًا آخر، والآلة الحاسبة الموجودة بداخل رأسه تحصي النقود، وتخصم منها ثمن الحجر الجديد .

يدور بعينيه ليتأمل وجوه رواد المقهى، بعض العيون زائغة من أثر الحشيش الذي تعبق رائحته المكان، والأخرى معلقة بالاستوديو التحليلي للمباراة المنتهية، وعيون تتصفح الجرائد في روتينية مملة. يلمح اسم جريدته محدودة الانتشار، فيتذكر مقاله الأخير، (الفن في عيون الفقراء).

الفن في عيون الفقراء، سخف جديد يضاف لكل السخف الذي تحتويه الجريدة، وكأن الفقراء لديهم

الوقت للتمتع بالفنون في ظل هذه الساقية الدوارة، التي تلتهم أعمارهم وصحتهم وحيويتهم .

(الفن في عيون الفقراء).. تُرى ما الذي أوحى إليه بهذا المقال السخيف!؟ .

تطول جلسته، ويمضي الوقت بسرعة، والمظروف أمامه يتأمله في برود استفزه هو شخصيًا، حتى أنه تساءل في أعماقه: كيف تصبر على فض المظروف كل هذا الوقت!؟ كيف لا تهتم بشيء غامض كهذا!؟ .

إن روحه مهشمة بالفعل، فلم يعد هناك شيء يثيره أو يفاجئه، كل مصيبة تقود إلى أختها، والقطيع لا ينتهي .

الجوع يقرص أحشاءه فتبدأ الآلة الحاسبة في العمل، وينتهي الأمر بشطيرتي فول من فوق العربة الصغيرة التي تركن بالقرب من المقهى .

ينتهي من طعامه، فيتوجه صوب المنزل، تقابله منال الخادمة وهي هابطة السلم بسرعة، فتهدأ وتيرتها

عندما تراه، تحاول التحرش به، فيثني على طعامها الذي التهمته القطط لائمًا، لتعده بوجبة أخرى .

يداعبها ببعض الكلمات التي تحمل أكثر من معنى؛ هو فقط يحافظ على الحد الذي لا ينفرها منه؛ لأن الطعام الذي تعده له جيد في كل الأحوال، وهو كمعظم الرجال فاشل في موضوع الطهي هذا .

كانت كالعَلَقة التصقت به وهو في أسوأ أيامه، وكل ما كان يريده هو أن يعود لشقته. يتذكر انقطاع الماء فيتوتر وينتابه الضيق، إلا أن صوت ضجيج موتور رفع المياه يبعث في قلبه بعض الأمل. لقد عادت المياه أخيرًا! يتخلص من منال بصعوبة، وهو يتساءل بكل حنق

- «متى ينتهي هذا اليوم العقيم!؟ ».

تستقبله شقته الكئيبة بفتور.. يخلع ملابسه.. يتوجه إلى الحمام، وبعد دقائق يخرج منه، يخالجه شعور بأن همًا كبيرًا من الهموم الكثيرة التي ترهق كاهله قد غادر

صدره، وأن الحياة من الممكن أن تبتسم، فقط ليمنحها بعض الوقت. يرتدي منامته ثم يتوجه إلى المائدة التي تتوسط الصالة، وينظر إلى المظروف متسائلًا :

«ماذا تخبئ لي في جعبتك أنت الآخر!؟ ».

يتناوله بيده اليمنى ويهزه ليقيس وزنه، تضيق عيناه، ثم يفتحه، لينتفض جسده من المفاجأة !

عشرة آلاف من الجنيهات، أوراق نقدية جديدة لم تمس ولم تتداول، كأنها طبعت ووضعت في المظروف مباشرة! ومعها ورقة واحدة مكتوب عليها بالكمبيوتر وبالبنط عريض

«هل أنت مستعد لتفعل أي شيء مقابل المزيد من المال!؟ ».

سؤال غريب حقًا !!.

إنه يشعر من داخله، أنه مستعد للذهاب لأي مسافة في هذا الأمر، مقابل مبلغ آخر مماثل. فقط هو غير

مستريح، وتنتابه بعض الشكوك. كما أنه يفكر في الأمر والنقود أمام عينيه، هذا ليس خيارًا عادلًا أبدًا .

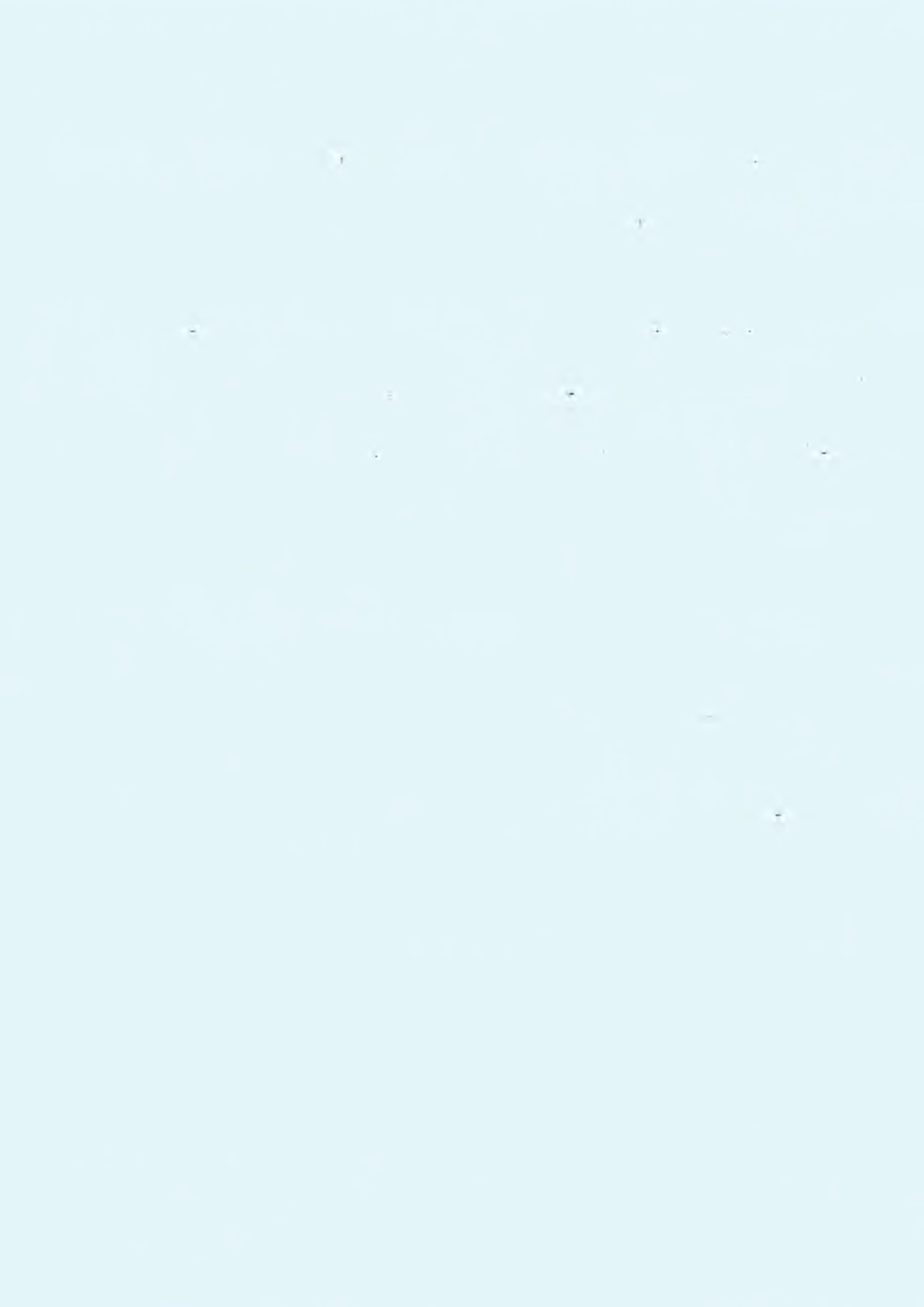
أي شيء مقابل المزيد من المال، وأي شيء لن تقال عن عمل أقل من القتل !.

ربما القتل ليس غريبًا عليه؛ فهو يمارسه يوميًا على صفحات جريدته الأسبوعية الصفراء بتسميم عقول الناس، ولكنه أثر بعيد لا يراه ولا يصطدم بتبعاته !.

الشيء الغريب أنه لم يكن متحمسًا لشيء من قبل؛ ربما لأن حياته كانت بلا هدف .

ولكنه يفكر الآن أن الكثير من هذه الأوراق النقدية قد تصنع له هدفًا جديدًا، ربما لن تعيد إليه نوال، ولكنها قد تصنع من أجله نوال أخرى .

يترك المظروف والنقود، ويقرر أن ينام قليلًا؛ بعض النوم قد يفيد، وقد يخرجه من حالته المترديه هذه .



(4)

- «الحالة انهيار عصبي كامل، مع آثار اعتداء عنيف ووحشي، أفقد الضحية عذريتها، مما نتج عنه نزيف تسبب في استئصال الرحم ».

هذا هو ما قرأته رنا في التقرير الطبي القديم الذي اختفى من ملف القضية التي تعمل عليها منذ شهر كامل، ودون أثر. بينما الصورة التي في يدها من التقرير الجديد تنفي كل ما ذكر من قبل، بل ويكذب ذاكرتها .

إن الأمور ستسير على وتيرتها المعتادة. لابد أن أحد الكبار تدخل في الموضوع، وحق تلك المسكينة الممددة على فراش المرض سيضيع، بعد أن ضاع حقها في أن تكون أمًا، وإلى الأبد .

وهي لا يمكن أن تسمح بذلك؛ فالصحافة هي السلطة الرابعة، وهي ضمير الأمة، كما أن ضميرها الشخصي



لديها طرف خيط واه، ولديها تلك الإشاعات المنتشرة في كل مكان، ولا شيء آخر مؤكد.. تتوقف عند الاسم المهيب، من يجرؤ على اتهام ابن هذا الرجل الكبير، دون أن يكون له يد فيما حدث بالفعل!؟ تفكر: الموضوع أكبر منها ومن قدراتها على البحث.. إنها تحتاج لشخص ما ليساعدها، إنها وحيدة حقًا، لا تعرف لماذا تذكرت في هذه اللحظة، صغيرها الذي اختطفه الموت قبل عدة أشهر، وعبارة زوجها، التي كانت السبب في الانفصال، والتي ظل يرددها حتى سممت حياتها

- «أبناؤنا لا يجب أن يموتوا قبلنا؛ إنهم بهذا يقضون على كل أمل لنا في الحياة ».

هو على حق في عبارته بالفعل، ولكن الحياة لن تتوقف لمجرد فقد ابن، ربما توقفت بالنسبة إليه لأنه كان الأضعف، إنما معها كل شيء مختلف؛ فكل مأساة شخصية أصابتها منحتها قوة إضافية، ووظفتِ هي هذه القوة في مطاردة القضايا والتحقيقات، حتى لمع اسمها في الجريدة .

هي بلا شك جريدة محدودة الانتشار، ولكنها خطوة هامة نحو صحف القمة؛ فلا أحد يبدأ من الأعلى؛ لابد من درجات كثيرة وعثرات، أو واسطة قوية تختصر كل هذه الخطوات، وهذا ما لم تكن تملكه بعد .

خدعتها دمعة ساخنة فرت من عينها دون أن تعي، فمسحتها بسرعة، وأشعلت سيجارة أخرى، رغم أن السيجارة السابقة لم تنتهي؛ التوتر يفعل أكثر من هذا. الآن يجب عليها أن تركز على قضية هذه المسكينة، إن قضيتها انتهت، وصدر فيها الحكم القاسي من زمن بالطلاق .

ماذا كان اسم هذه المسكينة!؟ .

(ندى)

حدثت نفسها في غضب

- «لا تنسي هذا الاسم يا رنا؛ لأنه سيكون الاسم المحوري في حياتك للشهور القادمة. ندى لن تكون أمًا أبدًا ولن تعاني الفقد، ولكنها ستعاني مشاعر أخرى

الموت بجوارها أهون. ستعاني الحرمان والشعور بالنقص، والانتهاك !»

غافلتها دمعة أخرى، فأخرجت مرآتها المحمولة، وأخذت تتأمل انعكاسها فيها قبل أن تسأل انعكاسها، وكأنه وجه شخص آخر يطل عليها من عوالم المرآة

- «لماذا لم تتزوجي يا رنا مرة أخرى!؟ ».

لم تأتِها الإجابة، فأكملت وكأنما أصابها مس من الجنون

- «تدعي أنكِ لا تعرفي الإجابة، ولكنك تعرفينها جيدا. إنك لا ترين من الرجال إلا زوجك السابق، ولم تسامحي نفسك بعد؛ كفاكِ إثمًا أنك تخليت عنه في ذلك التوقيت العصيب. نعم تخليت عنه لأنه دمر أعصابك وكاد يقودك للهلاك، ولكنك لن تتخلي عن ندى، وستفعلين المستحيل من أجلها، كفاكِ قضايا خاسرة في حياتك.. فكري أكثر.. أشعلي سيجارة أخرى لو أنها ستساعدك.. فقط فكري.. كفاكِ عبثا في

هاتفك المحمول، أعرف أنك تفضلين شاشته الكبيرة؛ لأنها تساعدك على الرسم. لم تتخلصي بعد من تلك العادة المشئومة؛ فها هو عقلك الباطن يدفعك لرسم تلك المنحنيات وشواهد القبور، وبعض القلوب المنكسرة.. هي عادتك منذ كنتِ تمارسينها على الورق، وحتى انتهت إلى الشاشة الرقمية والقلم الضوئي »

تأملت انعكاسها ثم أكملت حديثها الصامت :

- «إنك مرهقة.. فلِمَ لا تعودين إلى منزلك لتستريحي قليلًا، وتأخذي دشًا باردًا يزيح عن كاهلك غبار اليوم ورائحة العرق، ورماد الأفكار الحائرة ».

«أعرف كم تكرهين عودتك إلى المنزل، وكم تتجنبينها كالجحيم؛ فالمنزل أكثر مكان يحمل لك رائحة الذكريات. لا داعي للعناد؛ فأنت ستعودين في النهاية، كما تعود الطيور المهاجرة لأعشاشها، والأسماك إلى موطنها الأصلي ».

«برغم أن حالتك سيئة، إلا أن شقتك في أفضل حالاتها، وكأنك تسلمتِ مفتاحها من مهندس الديكور بالأمس، الانفصال لم يجعلك تفقدين لمستك الأنثوية بعد؛ بل على العكس لقد أصبحتِ أكثر تنظيمًا وترتيبًا وأكثر حرصًا على النظافة. الشيء الوحيد الذي أهملتِه هو الطعام يا رنا، لذا فإن نحولك أصبح ملحوظًا، وإن أكسبك جسدًا فتيًا وجميلًا، وكأنك لم تتزوجي وتنجبي، وما زلت عذراء».

«العمل ينسيك الكثير من الهموم، ولكن مهما طال الوقت ينتهي العمل وتظل الهموم راسية على صدرك كالجبال، فحاولي أن تنسي؛ فالنسيان نعمة البشر الكبرى».

«تحتاجين لدش مثلج، يعيد لك حيويتك المفقودة، تتذكرين المقولة الشهيرة عن أن الدش البارد يحافظ على شباب البشرة ويجعلها مشدودة. لقد قرأتِ عن هذا الأمر من قبل في تلك الرواية التاريخية الرائعة (سيدة تدعى ديانا) وهي لا تتحدث عن أميرة القلوب بالطبع».

تصففين شعرك الناعم بعناية، لا بأس من وضع ماسك مرطب لوجهك؛ فسعيك طوال اليوم في الشمس والطرقات أجهد بشرتك، ولا بأس أيضًا من التهام شطيرة من الجبن مع بعض الخيار، وكوب القهوة الأسود الثقيل. الآن فقط تستطيعين أن تفكري جيدًا ».

نظرت في المرآة مجددًا ثم قالت

- «عليك أن تعودي لمنزلك أولًا أيتها المجنونة؛ لم يتبقَ لك إلا أن تعيشي أحلام اليقظة. ساعدي نفسك أولًا؛ كي تستطيعي مساعدة ...».

- «ماذا كان اسمها؟؟ ».

تردد في يأس

- «ندى أيتها المخبولة.. اسمها ندى ».

اختمرت الأفكار في رأسها أثناء النوم، فقررت أن تلاحق طرف الخيط. أولًا يجب عليها أن تسلم مقالها

الجديد إلى الجريدة، لترثي أحد زملائها الصحفيين والذي قتل في ظروف غامضة. هذا هو الزميل الثاني الذي ترثيه خلال فترة وجيزة، لابد أن موسم حصاد الصحفيين قد حان !.

جلست أمام شاشة الكمبيوتر الشخصي، تدخل إلى موقع الفيسبوك لتبحث عن ذلك الوغد الذي انتهك براءة ندى.. باحث الفيس بوك غبي وعقيم، لذا تلجأ إلى باحث جوجل المتمرس، خيارها الثالث أظهر صورته وبياناته، وشخصيته الافتراضية في العالم الرقمي.. شاب مستهتر لا يقيم لأي شيء وزنًا أو احترامًا، لديه تسريحة شعر نسائية غريبة يطلق عليها الإيمو، وجميع صديقاته من النوع الذي لا يرتدي شيئًا تقريبًا، وجميع أصدقائه من النوع الضحل الذي يشبه شخصيته .

دخلت رنا إلى قائمة أصدقائه فوجدت ندى هناك، التقطت صورة لقائمة أصدقائه التي تحتوي صورتها، وبعض الردود والتعليقات، والتلميحات المتبادلة بينهما. هي الآن تمتلك بعض المعلومات، ربما يسهل

ضحدها بإغلاق الحساب أو ادعاء سرقته أو زيفه، ولكنه طرف خيط يكفيها لتتابع تحقيقها، بعد أن أنكر الوغد صلته بندى تمامًا، والآن ستستعين بحاتم رياض، أو حاتم باشا، صديقها الشرطي والذي تستغل صلتها به دون هوادة. الساعة الآن العاشرة مساءً، وقت مناسب جدًا للاتصال به؛ فمعظم مناوباته ليلية .

- «ألو.. حاتم باشا ».

- «صحفيتنا الجميلة، بنت حلال.. لو لم تتصلي الآن لاتصلت بك، يبدو أن حاستك الصحفية ما زالت يقظة !».

اشتعل حماسها الصحفي فقررت أن تستمع إليه أولًا، وهو لن يسمح لها أن تتحدث قبل أن ينتهي، هذا هو أسلوبه وهذه هي طريقته، وقد اعتادتها .

- «صحفي جديد قتل ».

صدمتها الجملة، فقالت بصوت منفعل

- «صحفي جديد!؟ هل أنت متأكد!؟ ».

قال بثقة مفرطة

- «دون شك، (نسيب إمام)، محرر صفحة الحوادث بجريدة اليوم ».

صدمها الاسم، ولكن عقلها لم يتوقف وقالت

- «محرر آخر في أخبار الحوادث!؟ أهو قاتل متسلسل!؟ ما الذي يربط بينهما؟ ».

انطلقت ضحكته عالية بما لا يناسب الوقت أو الموقف وقال

- «توقفي عن مشاهدة المسلسلات البوليسية، لا يوجد في مصر مثل هذه الأشياء . مري عليّ بعد ساعة في المكتب لأمنحك كل التفاصيل، ولا تنسي أن تحضري معك قهوتي المعتادة من ستار بكس، ولا تنسي، الكريمة مضاعفة ».

أنهت رنا مقالها بسرعة قياسية، وأرفقت معه خبر الجريمة الجديدة، ثم رفعته على بريدها الإلكتروني، وأرسلته إلى بريد الجريدة .

لم يكن لقاؤها بحاتم مثمرًا، وإن عزز في رأسها الشكوك، وفي النهاية طلبت منه المزيد من المعلومات عن الرجل الكبير؛ فقضية ندى هي القضية التي تشغل بالها الآن .

وعدها أن يزودها بها فور حصوله عليها، وطلب منها أن تكون أكثر حذرًا؛ فالعبث في جحر الدبابير لن يمر بغير أذى. وبالطبع لم تنصت لنصيحته، وبدأت بحثها الخاص .

الأيام تمر، وكل دليل تحصل عليه يقودها إلى طريق مسدود، هناك من يتابع عملها عن قرب، وربما يقرأ أفكارها أيضًا، هناك من يعرف كل خطواتها، حتى التي لم تقم بتسجيلها .

لقد نصحها حاتم بأن تغلق موضوع ندى؛ لأن هناك جهة سيادية سرية قد تدخلت في الأمر، وهم لا ينون تصعيده بأي حال من الأحوال، هذه قضيتها الأولى التي تخسرها، ويجب أن تخسرها بإرادتها .

كما أن منظر القط المذبوح فوق فراشها كفيل بأن يغير طريقة تفكيرها، وربما بعض ما تؤمن به. هي امرأة وحيدة، وهشة، ولا حول لها ولا قوة .

القشة التي قصمت ظهرها وجعلتها تقرر ترك هذا التحقيق الصحفي، هي تنازل ندى عن القضية، وتغييرها لأقوالها أمام القاضي، لتأتي متنافية مع الموجود بمحضر النيابة. من تدخل في هذه القضية يعرف جيدًا، كيف يخطو كل خطوة وكيف ينفذها.. إنهم محترفون دون شك .

قضت ليلتها باكية في صالتها الباردة، لم تستطع بعد العودة إلى غرفة نومها، رغم قيامها بتنظيفها من جثة القط. لقد شعرت بالهزيمة وتذكرت كل هزيمة تلقتها في حياتها.. إن الأيام تمضي ثقيلة، وتخذلها منذ موت

طفلها.. لابد وأن تأخذ هدنة.. إجازة!! ولكن أين ومع من ستقضيها!؟ إن طلاقها تسبب لها في معضلة بلا حل؛ فهي لا تقبل رجلًا غير زوجها، وفي نفس الوقت تحتاج صدرًا قويًا تستند عليه .

هل تطلب مساعدة حاتم!؟ بالطبع لا؛ إنه لن ينظر لها كصديقة في محنة، ولكن كفرصة يجب انتهازها؛ إن الواقي لا يغادر محفظته !.

هناء.. وضعت منذ أسبوع، ولم تعد هي بعد الزواج، إن أكثر موضوع يشغلها الآن هو سعر السكر والأرز، ولبن طفلتها غير المتوفر بالأسواق .

صديق، ما تحتاجه هو صديق، هل تخلو تلك الكرة الفاسدة المسماة الأرض من صديق!؟ .

إنها ستجن !.

(5)

بمجرد أن عبرت بوابة الملجأ المعدنية، باغتتها بشكل صاعق رؤيا مخيفة انقبض لها قلبها الصغير، وكأنما تعتصره قبضة قاسية .

لم تكن رؤيا عادية، بل كانت رؤيا مشتعلة، أبصرت فيها الملجأ يحترق بمن فيه، وهي معهم، حتى أنها كانت تسمع صراخهم، وصوت استغاثتها، فتمنت لو تركت ذلك القط البائس ينهش لحمها، لتتفادى ذلك المصير الرهيب، وكي لا يغلق دونها باب هذا السجن .

حاستها المتفوقة أخبرتها أن أيامها في هذا الملجأ ستكون قطعة من الجحيم .

لم تكن قد جربت بعد مفاهيم كالقهر والاغتصاب، ولكنها أيقنت من داخلها أن ما قهر أمها، هو نفس الشيء الذي اغتصب طفولتها المبكرة .

عبرت بها مدام حياة مديرة الملجأ الباب الداخلي -وهي معلومة سكبت بداخل عقلها دون مجهود-

فأصابتها بالدوار رائحة عرقها المختلط بذلك العطر الرخيص المنفر، والذي جعلها تدرك سبب عجز ذلك الشاب الذي فر منذ دقائق عن منحها ما تريد .

لا أحد يشم هذه الرائحة، ويكون لديه رغبة في المرأة التي تفوح منها .

إن نظافة المرأة نصف سحرها وأكثر عوامل جذبها، وهي كريهة الرائحة بشكل يصيب بالغثيان، وربما أيضًا لا تهتم بنظافتها الشخصية، وهو شيء لا يمكن استبعاده .

لم تكن قبيحة ولكنها كانت منفرة، تمتلك نظارة سميكة تحتجز خلفها عينين جاحظتين رماديتين، وكأنهما بداخل برطمانين زجاجيين. أنف حاد، وجسد نحيل لا يوحي بأنوثة، كما أنها ترتدي رداءً أسود وكأنها في حداد. الخلاصة: خيال مآتة يحمل وجهه بعض ملامح الأنوثة والقسوة .

الحقيقة أن الشهوة تحيل الرجال لحيوانات، يمارسون الجنس دون تمييز، من يرغب في مثلها لابد أنه بائس ويائس لأقصى حد .

تحركت حياة بجسدها الهزيل وعبرت بها إلى داخل مكتبها، ووضعتها فوق أريكة جانبية بلا مبالاة، وكأنها جوال من البطاطس لا يجب معاملته بحذر، وغادرت، بينما شرعت هي في تفحص الغرفة على ضوء النيون الباهت .

اصطدم بصرها بمكتب خشبي قبع في أحد الأركان محاولًا بصعوبة المحافظة على وقاره، تتراص فوقه كومة من الملفات المنثنية الأطراف، ويظهر من خلفه مسند مقعد جلدي حال لونه. الجدران ذات لون رمادي كئيب، نافذتها الحديدية المدعمة بالقضبان رسخت بأعماقها فكرة السجن، مما ولد بداخلها مشاعر مختلطة من الكراهية والنفور، جعلتها تتمنى لو أن ساقيها هما ساقا عملاق من عمالقة مارفل لتعلن عن غضبها كما كانت تفعل مع أمها، وتدك المكان على قاطنيه .

وفي النهاية اكتفت بالبكاء، وإغراق الأريكة بسائل كريه ودافئ تعرفون مصدره جميعًا؛ فما زالت برغم كل شيء طفلة غادرت طور الجنين منذ عدة أيام .

غابت حياة لعدة دقائق، قضتها هي في مص إصبعها من الجوع الذي بدأ ينهش أحشائها، فلم ترضعها أمها البيولوجية منذ عدة ساعات، وضنت عليها بتلك الهبة المجانية التي يموج بها صدرها .

دقائق من الصمت قضته في الاستماع لدقات قلبها، قبل أن يطرق سمعها ضجيج خطوات مدام حياة المزعجة .

عادت حياة إلى الغرفة وبصحبتها امرأة بدينة داكنة البشرة، تحمل مئات الأرطال من الدهون والشحوم واللزوجة، على وجهها نظرة كارهة للبشر والحياة، وعلمت على الفور ودون مجهود، أنها حكمت مشرفة الملجأ، أو (دادة حكمت) كما تصر على أن ينادوها، والتي نظرت نحوها كمن ينظر لكومة من الروث، لتقول في استهجان موجهة حديثها لحياة

- «أين وجدتِ هذه المصيبة يا حياة!؟ ».

كانت تحدث مديرتها بلهجة متعالية غريبة، وكأنهما ندان لا كما يعامل المرؤوسين رؤساءهم، والتفسير الوحيد هنا، أنهما متورطتان معًا في شيء غامض وقذر، ومع تلك اللهجة القاسية تلعثمت حياة، قبل أن تجيب بصوت حاولت جعله باردًا فزاد الأمور سوءًا

- «أمام باب الملجأ ».

مصمصت حكمت شفتيها، قبل أن تقول بخبث

- «وما الذي أخرجك يا سنيورة في مثل هذه الساعة!؟ أكنتِ تشمين الهواء، أم أن الهوى هو من رماك!؟ ».

خبطت حياة على مكتبها في قوة، قبل أن تضيق عينيها في غضب خلف نظارتها، لتقول بصوت حاد منفعل، مع حرصها على أن تضغط على مخارج حروفه

- «بل رماني الإهمال يا هانم! كفي عني لسانك أيتها السليطة! لقد خرجت وهذا شأني، ولولا تنكيس المنزل

ما بقيت يومًا واحدًا في هذه الخرابة، وهذا من حسن حظك أيتها الجاحدة؛ لأنقذك من مصيبتك وإهمالك ».

نظرت نحوها حكمت بغير فهم، فاستطردت

- «تلك الطفلة التي لم تجف دماؤها بعد، والتي سقط فوقها إناء الطهي الثقيل الساخن ».

ثم صمتت وغمزت لها

- « هل كنتِ تظنين أني لن أعلم بها، وأن جريمتك ستمر مرور الكرام يا ابنة الأفاعي!؟ هل تظنين أنني وحدي من لدي أسرار يمكن ابتزازي بها!؟ هناك بعض الأسرار تقود إلى زنزانة لطيفة بسجن النساء، ولكني سأكون أكثر كرمًا منك وآتيك بالحل على طبق من ذهب ».

ظهر الخضوع على وجه حكمت التي كانت منذ برهة تمتلك زمام القوة، بعلمها بعلاقة مديرتها حياة بذلك الشمام رمزي، وقالت بصوت ملهوف

- «أحقا ما تقولين يا مدام حياة!؟ هل يوجد حل قبل أن تأتي اللجنة؟ لن أتحمل الطرد أو قطع عيشي !».

جلست حياة على مكتبها، وفي عينها ملامح ظفر، قبل أن تقول

- «نعم أيتها المهملة، ولهذا ثمن ستردينه لاحقًا ».

زاغت عينا حكمت الضيقتين للحظة عندما جاءت حياة على ذكر الثمن، قبل أن تخبط بيدها المكتنزة على عنقها وقالت

- «برقبتي يا مدام حياة ».

في هذه اللحظة أشارت حياة نحو الصغيرة التي كانت تنصت لهما، وملامح الكراهية تغزو وجهها، وقالت

- «هذه الطفلة ستكون بديل لياسمين الفقيدة. وهكذا لن نحتاج للعبث في السجلات أو اتهامنا بالإهمال لفقدان طفلة في عمرها ».

لمعت عينا حكمت للحظة، قبل أن تخبو، وإن ظلت على صمتها فقالت حياة

- «هيا انصرفي؛ فلم أحظَ الليلة بساعة نوم واحدة! واحرصي على دفن جثتها في الحديقة دون أن يراكِ أحد؛ فأنا لا أريد المزيد من الإزعاج والمشاكل، وذكريني غدًا بأن أخرب بيت عبد الصبور، الذي غادر مكان خدمته، وترك الملجأ دون حراسة ».

غمزت لها حكمت بعينها، لتذكرها بسرها، وهي تقول

- «وهل تسبب إهمال عبد الصبور في تسلل شخص ما!؟ ».

أشاحت حياة بيدها في ضيق، فانقضت حكمت على الطفلة، وحملتها دون رفق، وروحها تكاد تزهق منها، وهي تتساءل في اشمئزاز

«ما بال هؤلاء النسوة في هذا المكان!؟ ألا يسمعون عن الماء والاستحمام!؟ ».

توجهت بها حكمت نحو مهجع نوم الفتيات، والمكتوب على بابه [عنبر 3] بخط سميك، وتسربت عبر الباب، ثم أيقظت إحدى الفتيات النائمات في غلظة، وقالت لها

- «ياسمين مسؤوليتك من اليوم يا سماح. اعتني بثيابها وطعامها ».

تناولتها سماح من يدها بعين يسكنها النوم وعدم الاستيعاب، وعندما وقع بصرها علي وجه الرضيعة، قالت بصوت مرتجف

- «ولكنها ليست ياسمين يا دادة حكمت! إنها تبدو أصغر، كما أنها خالية من الإصابات !».

جزت حكمت على أسنانها، وقالت بصوت خافت حريص على عدم إيقاظ النائمين

- «بل هي ياسمين يا عمياء القلب والنظر، وهي مسؤوليتك الآن، ولا أريد منك ثرثرة لا داعي لها، أم أن أنك تفتقدين قضاء بعض الوقت في غرفة الغسيل؟ ».

ارتجفت سماح عندما أتت على ذكر غرفة الغسيل القديمة الضيقة، المليئة بالهوام والحشرات، والتي يستخدمونها في الملجأ كوسيلة لعقاب المخطئين، والتي كان يطلقون عليها (الحبس الانفرادي).

كانت سماح تعرف أنها لم توكل لها هذه المهمة لثقتها فيها أو لأنها أجدر من يقوم بها، ولكن حكمت تدرك جيدًا أنها تخشاها كالطاعون وربما أكثر، وقررت سماح أن تقوم بالمهمة في صمت. ستكون هذه الطفلة البريئة ياسمين، ستكونها بأي طريقة.. وهكذا حصلت الصغيرة على أول أسمائها. اسم يخص فتاة ماتت من الإهمال !.

لم تكن سماح قد تجاوزت السادسة عشر، وكانت تحب الأطفال بالفعل، وتمارس الأمومة بفطرية وأريحية، لذلك قامت بهدوء، وأحضرت من أشياء ياسمين ثيابًا نظيفة لن تحتاجها ياسمين بعد الآن، وأعدت لها قنينة حليب، ألقمتها إياها، وأخذتها بين ذراعيها ونامت قبل أن تنام .

كانت مرهقة إلى درجة كبيرة، لذلك حرصت الصغيرة على عدم إزعاجها، والتصقت فقط بجسدها الممتلئ، ليعود لها بعض شعور الدفء، وإن لم يحضر الأمان .

وأثناء إصغاء الصغيرة لدقات قلبها المضطربة، غشيها شعور عجيب بأن قلب سماح ليس على ما يرام .

إنها مريضة! ووسط الإهمال الضارب في المكان، لابد وأنها لا تدري بهذه الفجيعة، لذا قررت مساعدتها؛ فهي تعرف عن يقين تام أن بإمكانها علاجها؛ لقد قامت بالأمر في حيواتها السابقة مرات لا حصر لها .

فقط لو تنجلي الذاكرة، لتعرف أكثر .

وبصعوبة حركت كفها الصغير ليلتصق بصدر سماح؛ فما زالت سيطرتها على جسدها المادي ضعيفة إلى حد. ثم أغلقت عينها، وركزت كل قوتها الذهنية على كفها، لتشعر بكيانها الطفل ينفصل عنها لبرهة، تألق فيها المكان بضوء متوهج، قبل أن يخبو ليسود الظلام

مجددًا، وعلى وجه سماح النائم ارتسمت ابتسامة جعلتها تبدو كالملاك .

لقد أحبت تلك الصغيرة سماح، شيء ما في روحها لمسها، نقاء لا تشعر به حتى بأعماقها، هي الرضيعة التي غادرت رحم أمها منذ أسبوع .

كانت تلك المسكينة مصابة بثقب في القلب يهدد حياتها، ولم تكن هي تعلم كنه المرض، فقط علمت أن في الأمر خطأ وأصلحته .

وبرغم قدرات الصغيرة التي تتنامى مع الوقت، فقد أغفلت أن هناك عينًا كانت تراقب ما فعلته لسماح.. عينًا رأت ما لم تستطع تفسيره، فقبعت في فراشها ترتجف حتى الصباح.. عين كرهت وجودها من اللحظة الأولى .

وفي الصباح.؟

- «من هذه الطفلة الكريهة يا سماح؟ ».

قالتها فيروز بصوت خافت، فنظرت نحوها سماح في تعجب وقالت

- «كريهة!؟ لماذا تنعتين طفلة لا حول لها بهذه الصفة!؟ ».

اقتربت منها فيروز أكثر، وخفت صوتها أكثر، قبل أن تقول بصوت مضطرب لاهث، وهي تتحاشى النظر إلى الصغيرة

- «إنها غير طبيعية يا سماح، غير طبيعية أبدًا؛ لقد رأيتها بالأمس، ذلك الوهج وهي تلصق كفها بصدرك.. و... لا أستطيع التفسير أكثر، إنها ليست ياسمين، إنها شيطان رجيم !».

وهنا شهقت سماح في قوة، وهي تتذكر.. تلك العلامة الباهتة التي كانت تشبه الكف الصغير، والتي شعرت ببعض الآلام مكانها، والتي كانت ظاهرة وبشدة على جلد صدرها. ولم تستطع أن تفسرها حين رأتها، خاصة

وهي تتلاشى مع الوقت، ولكن كلمات فيروز تكشف لها السر الآن !.

تضاربت الأفكار بداخل عقلها، وفي لحظة ما غزا عقلها إحساس دافئ بأنه ليس هناك ما يسوء، فابتلعت ريقها مغتصبة إحدى ابتسامتها،وقالت

- «لا تنامي عارية يا فيروز.. استخدمي الغطاء كي لا تصابي بالهلاوس ».

كانت فيروز في تلك اللحظة لا تنظر إلى سماح بل إلى الصغيرة، وظهرت على وجهها علامات خوف مريب؛ فالصغيرة اخترقت عقلها، وواجهتها هناك وهددتها، وعندما شعرت بأن خوفها بلغ مبلغه، بددت من عقلها تلك الذكريات التي تدينها، فنظرت فيروز نحو سماح وقالت

- «ماذا كنتِ تقولين!؟ ».

ابتسمت سماح في عبث وقالت

- «الغطاء.. استعملي الغطاء فالجو بارد ».

هزت فيروز رأسها في فهم، ثم غادرت .

وخلال عدة أشهر بداخل المكان، بدأت الصغيرة التي التصق بها اسم ياسمين تعرف كافة تفاصيل المكان، وكل أسراره. لم يكن المكان مجرد ملجأ يضم اليتامى وبعض المشردين، بل كان مستنقعًا آسنًا تنمو بداخله كل الأفكار السيئة ليتم تطبيقها على الفور .

نسخة مصغرة من المجتمع الخارجي، ولكنها نسخة أكثر شرورًا وتركيزًا. عليكم أن تتخيلوا كيف يعامل الناس الطبقات الدنيا من المجتمع، لتعرفوا كيف سيعاملون من لا أهل له خلف الغرف المغلقة .

كانت مدام حياة تتاجر بالأطفال تحت مظلة التبني، وكانت حكمت تساعدها مقابل نسبة مئوية، ناهيك عن مسؤول الشؤون الاجتماعية، وغيرهم .

فكم من طفلة حملتها أسرة أجنبية أو عربية لتعمل خادمة دون أجر، أو لتباع في سوق البغاء، أو لتكون

مجرد قطع غيار في سوق تجارة الأعضاء !.

لم تبدأ حياة في التجارة بالبشر مع تنكيس المنزل، بل بدأت عندما عرفت الطريق إليه عن طريق سمسار دولي صديق لعشيقها المدمن .

لم تقاوم حياة الفساد وكأنها كانت تنتظره، وربما عابت عليه لأنه تأخر !.

لم يكن هذا هو نوع الفساد الوحيد الدائر في أروقة الملجأ، بل كل ما يتخيله العقل من انحطاط كان يمارس في المكان

- «زنا، شذوذ، سحاق، تجارة مخدرات، تحرش، اغتصاب، قتل ».

المجتمع وتم ضغطه في مكان محدود، وكأنما فُطِر الإنسان على الشر، ويحارب ليخدع نفسه بمفهوم الإنسانية والأخلاق !

كانت قد بلغت الثالثة من عمرها، وفي ذاك الوقت المبكر، كان وعيها يتمدد بطريقة عجيبة، شيء ما في طبيعة المكان، كان يصقل قدراتها وينميها، فصار وعيها يحتوي الملجأ بمن فيه من نزلاء، ومشرفين، وحيوانات كامنة، ونباتات .

وفي تناغم عجيب، كانت تتابع قاطني المكان بلا ملل، وكأنها تشاهد مئة قناة تلفزيونية كلا منها بوعي منفصل.. ولم ترهقها متابعة كل هؤلاء في آن واحد، بل كانت مستمتعة جدًا، أكثر من مشاهدتها تلك البرامج السخيفة التي تذاع على شاشة التلفاز لتشوه طفولة الصغار. ونتيجة لقدرتها الفريدة هذه أصبحت على علم بأسرار الجميع، ومخاوفهم، وطباعهم، وأحلامهم، عدا شخص واحد ظل بمنأى عن مدى سيطرتها وقدرتها .

وهو علوان

اسم عجيب لطفل في مثل عمره .

كان علوان ضئيل الجسم، دائم الصمت، متقوقع على نفسه، وبرغم ذلك لم يجذب أشرار المكان للاستهزاء به، أو استغلاله، حتى حكمت الدادة كانت تتجاهله، ولم تكلفه بأي من المهام القذرة التي كانت تكلف بها غيره من الأطفال .

الجميع يتظاهر بكونه غير موجود، وكأنه يفرض حول نفسه سياجًا عازلًا .

لم تستطع ولو مرة واحدة التقارب مع روحه، أو معرفة ما يدور في عقله، كان بالنسبة لها كثقب أسود معتم ظل يستفز روحها لاكتشافه. وعندما عجزت، قررت أن تواجهه .

كان الفضول يقتلها لكشف سره.. لذا بحثت عنه حتى وجدته في الصالة الرئيسية يجلس أمام التلفاز القديم، وعندما اقتربت منه وجدته مستغرقًا في مشاهدة قناة إخبارية تذيع فيلمًا وثائقيًا عن معاناة الأطفال في دول العالم المختلفة، وما إن لمحها، حتى أشار للتلفاز وقال

- «ألا يرى الرب الأطفال الذين يحترقون من دانات المدافع، ويسحقون تحت عجلات القطارات، ويولدون معاقيين، ومشوهين، ومرضى، وينتهكون طول الوقت، بل ويُستخدمون كقطع غيار بشرية، أو يجبرون على ممارسة الدعارة!؟ ».

كان السؤال مفاجئًا وصادمًا، ويدل على وعيه بما يدور حوله في المكان، وأنه يحاول أن يصنع به إسقاطًا أكبر لم تفهم مغزاه على الفور، ولا مغزى أن يوجهه لطفلة مثلها في الثالثة من عمرها. وهذا جعلها تتساءل: «هل يحيط علمًا بحقيقتها؟؟ ».

أثار الأمر فضولها، فتمادت أكثر وأجابته

- «الله يعلم كل شيء، وكل شيء لحكمة ».

نظر لها ببرود ثم قال

- «هل وجودك هنا لحكمة؟ ».

هزت رأسها بالإيجاب، فقال

- «أي حكمة في وجودك في هذا المستنقع!؟ هل الحكمة في أن يغتصبك أحد هؤلاء الحشرات!؟ أو تباعين كالرقيق لمن يستخدمك كخادمة أو جارية!؟ أم تقرري الانتحار في النهاية ليكون مصيرك الجحيم!؟ ».

ثلاث سنوات وسط مستنقع القاذورات هذا، الذي يطلقون عليه اسم ملجأ، غير تلك الذكريات الشنيعة التي تطاردها، والتي تركت بصمتها السوداء على روحها، وكادت أن تورثها الشيب طفلة، جعلتها تدرك الهدف من ألعابه الكلامية ومغزاها. إلا أن ما حيرها ولم تجد له تفسيرًا فعليًا، هو ربط الخالق العظيم بكل هذه المصائب، ومقدار السخط في صوت علوان وحديثه، والذي عندما لم يجد منها استجابة، استطرد قائلًا

- «الله لا يعرف عنا شيء، وإلا لما تركنا في هذا المستنقع القذر نكابد ما نكابد. نحن وحيدون في هذا العالم القذر ».

حاولت اختراق عقله دون فائدة، كان حذرًا وحريصًا جدًا، لذا لم تكن هناك غير وسيلة واحدة لمعرفة سره، وهي تشتيته .

وبكل أريحية، تناولت من فوق المنضدة سكينًا حادًا تركه أحدهم هناك، ثم نظرت لوجهه شديد التأثر بلا مشاعر تقريبًا، وابتسمت وهي تقذف السكين الحاد نحوه بغرض إصابته .

وبالفعل نجح جنونها في تشتيته لثانية أو يزيد قليلًا، وهو يتفادى ذلك السلاح القاتل المندفع نحوه، ليتلاشى الظلام المحيط به لجزء من الثانية، لتدرك في لحظة واحدة حقيقة علوان !.

يقولون أن علوان أحد أسماء الشيطان .

وعلوان كان شيطانًا حقيقيًا قادرًا على التجسد، كل مهمته حفظ مستوى الانهيار الأخلاقي في المكان عند مستوى معين.. كانت مهمته، وكان جيدًا فيها .

يُطلق على أمثاله في هذا العالم (الحرس)، وتعلمت هي في سنها المبكرة هذه أن تبتعد عن أمثاله، وكانت حريصة طوال الوقت ألا تكون طرفًا فاعلًا فيما يحدث في أروقة الملجأ. كانت تتابع كل شيء بعين ضيفة ستغادر في أي وقت، لذا لم تعبث أو تغير في بنية المكان .

وبعدها بعدة أيام اختفى علوان، وعندما استجوبت حكمت كل من في الملجأ لتعرف أين ذهب كعادتها عند اختفاء أحد الأطفال دون معرفتها، وكانت إجابة الجميع صادمة وموحدة: إنهم لا يعرفونه، ولم يره أحد منهم من قبل !.

وحينها كادت حكمت تجن، وأفرغت غلها وعصبيتها في سعيدة، وهي فتاة بدينة لا ذنب لها إلا أنها تواجدت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ، ونالت عقاب جهل الجميع. وأدركت هي وقتها أن هذا الشيطان كان يلازم حكمت بالذات لأنها محور الفساد في المكان، وأنه اختفى بعد فضحها لشخصيته، وربما يعود ذات يوم، أو لا يعود، لا يهم؛ لقد بذر بذوره

الخبيثة في المكان، وطرحت جميعها أشجارًا قوية، ستتصدى لأي ريح تحاول أن تجلب معها نسائم الإصلاح. إن البشر في هذا العالم هم شياطين بعضهم البعض !.

أما ما حدث في اليوم التالي فكان عجيبًا .

متبنون جدد !.

وصلتها المعلومة ببساطة، عندما دخلوا منطقة وعيها، التي لا تتوقف عن التمدد، ورصدت تلك الذكرى القريبة الحزينة، التي قادتهم لهذا المكان الثقيل على أرواحهم، والتي كانت تدور في رأس الزوجة مدام إيناس كما نادتها حياة، وعلى لسان طبيب العائلة الخاص

- «أنتما الاثنان سليمان كالأحصنة، هذا ما توضحه كافة الفحوصات والتحاليل، ولا يوجد لديكما أي موانع للإنجاب، ولكنكما سويًا لن تنجبا، لو تزوج هو أخرى، وتزوجتِ أنت شخصًا آخر، فبإرادة الله ستنجبان.. هذا

هو قدركما، وإن كنتما تثقان في أن حبكما لن يتأثر بسبب هذه الهزة القوية، فأنصحكما بالتبني، آلاف الصغار بانتظار من يعتني بهم، ويمنحهم المأوى والدفء والأمان والاهتمام. فقط لتفكرا جيدًا وبعدها اتخذا قراركما ».

كانت هذه الذكرى تدور في رأس الزوجة دون توقف، بينما كان الرجل يفكر في شيء واحد فقط: الطلاق! ومن شخصيته أدركت أنه لن يقدم عليه أبدًا .

إنه رافض لفكرة أن يربي شخصًا لم يخرج من صلبه، بل كاره للفكرة عمومًا. ولكنه بدافع لا يفهمه أراد أن ينفذ رغبة زوجته بامتلاك طفل، وكأنه سيشترى لها هاتفًا أو لعبة جديدة .

ولو دخل هو عقلها، لعلم أنها لا تجد مبررًا حقيقيًا بداخلها لتبني الطفل؛ لقد عزمت هي الأخرى على الانفصال، وبدء حياة جديدة. إنها ستكون أمًا لطفل حقيقي خرج من رحمها بأي ثمن .

وهنا أحست أن في الأمر شيئًا مريب، حاولت تتبعه داخل عقولهم وفشلت. تخيل ألا يكون هناك بعقل إنسان بالغ غير ذكرى واحدة أو انطباع واحد، وكل شيء آخر محجوب !.

لابد وأنهما يخفيان سرًا رهيبًا !.

دارت دائرة الأوراق، والأموال التي ابتزتها منهما حياة كتبرع، وفي النهاية انتزعوها انتزاعًا من بين ذراعي سماح، وحملتها السيدة إيناس بين ذراعيها وتهيأت هي لتخرج من الملجأ برفقتهم، تصحبها دموع سماح، ونظرات باقي الأولاد، الذين يفكر معظمهم في نجدة مماثلة من قلب هذا الجحيم .

ولأول مرة منذ وعت على هذه الحياة ينتابها قلق عميق؛ خاصة بعد ما سمعته من تلك السيدة التي تبنتها منذ لحظات، وهي تهم بمفارقة الرواق المفضي إلى الخارج

- «سنذهب بك حالًا إلى أمك.. مدام مايا رشدي ».

وهنا دارت في رأسها ألف فكرة سوداء؛ فأي جنون هذا الذي تمر به!؟ هل هذه السيدة مخبولة ! ؟ .

وعندما حاولت أن تقرأ عقلها، أو تحدد مشاعرها، هي أو زوجها، أصبح عقلاهما مغلقين كالقبر !.

ولم يكن هناك غير ظلام تام !.

(6)

توجهت ماي آر إلى حيث ينتظرها الحارسان الملكيان المحظوظان بصحبتها في اعتداد وأنفة، لتغادر الملهى دون أن تمنح أمها أي فرصة لقراءة أفكارها أو ما نوت عليه، هي أو أبيها .

لم تكن تعرف وسيلة محددة لإفساد المراسم، ولكنها ستحاول رغم كل العقبات، ومن قلب الحدث نفسه، ولو كلفها الأمر حياتها .

تجاهلت كل العيون التي تعلقت بها، وقد تجمدت ملامح وجهها فزادتها فتنة، وارتقت إلى المركبة الملكية المكشوفة التي قادها إليها الحارسان، والمجهزة خصيصًا لنقلها إلى حيث تقام المراسم، وقد انضم إليها ثلاثة حوامات خاصة بحرس المعبد، ليصير موكبا مهيبًا .

كانت المرة الأولى في حياتها التي تُجبَر على فعل شيء لا تريده بهذه الطريقة الفجة، لذا كان وقع الأمر

عليها صادمًا. وبرغم ذلك حاولت تجاوزه بسرعة، ونجحت في مسعاها، فلم يشعر أحد من الجماهير التي اصطفت على جانبي الطريق لتحيتها، بما يستعر في أعماقها .

كانت قوية كصخرة، عنيدة كحلم مزعج، إنها من ذلك النوع الذي لو أخبروها بموعد موتها، لذهبت إليه بكامل أناقتها، وواجهته مبتسمة .

لذلك كان كل من يرى موكبها في طريقه نحو المسرح الكبير، يدعو الأجداد، والطوطم من أعمق أعماقه، أن يقبلوها اليوم لتنال شرف خدمتهم، كي ينكشف عليهم هذا السر العظيم الفاتن .

وكانت هي حريصة على ألا يقلل شيء من هيبتها أو مكانتها لدى كل هذه الحشود، فربما -وهو ما تشك فيه كثيرًا-تكون كل تلك الرؤى والمخاوف، مجرد أوهام، أو مبالغة .

أراحها إعتام عقلها من متابعة الأخبار والتدفقات العقلية التي أحاطت بها، مما جعل أفكارها الشخصية تجوب طرقات عقلها في حرية. وللحظة شردت مع ذكرياتها القريبة عن تلك الرؤى المظلمة التي آرقتها طوال الليالي الماضية، فأربد وجها وتغير لون عينيها، وهي تفكر في عمق: «لا يمكن أن يكون كل هذا ملفقًا، لا يوجد وهم له هذا الوقع الكبير على النفس، وهذه القوة الكاسحة المسيطرة، إلا لو كان ينبع من مصدر حقيقي ».

لقد رصدت بنفسها الاتصال الخارق خلال الثلاثة أيام الفائتة. إنه هو دون شك.. من غيره قادر على فتح نافذة الغيب والمستقبل أمام عينيها!؟ إن عقلها الهجين لا يمكن خداعه بسهولة، إنه المعظَّم الذي لا شيء يشبهه، ومن غير المعظَّم يملك تلك القوة الكاسحة، وذلك الحجم اللانهائي الذي لا يمكن لعقل استيعابه!؟ .

لا شيء على كوكبها، أو الكواكب المحيطة، بقادر على صنع وهم مماثل، إنها لم تسمع عن من يملك مثل هذه

القوة الهائلة إلا في الأساطير. والأساطير نفسها كان لها حد أقصى للجموح والشطط .

كيف كانت تتوقع من أبيها أن يتصدى لقوة مماثلة!؟ .

كاد عقلها يحترق من قسوة التفكير، وعندما حاولت أن تبدل أفكارها، تذكرت أمها ـ فكساها الغضب. لم تصدق أن يصل تعصب أمها للأجداد أن تتآمر عليها وعلى أبيها، لا مبرر مقبول لما فعلته مهما كان .

ليست هذه شخصية أمها، شيء ما بداخلها تبدل، شيء ما جعلها أكثر هوسًا، وقسوة. وهنا ومضت في رأسها فكرة مخيفة :

- «هل كانت أفعال أمها الخرقاء تنبع من قناعتها، أم أن هناك من دفعها دفعًا لذلك؟؟ ».

وهنا كانت الإجابة غير المريحة

- «لو كانت الرؤى صحيحة، فهي وأمها واقعتان تحت تأثير وسيطرة قوة كونية مروعة ».

إنها مرتعبة من أن تسمي هذه القوة الكامنة باسمها، وفي لحظة واحدة قفزت في عقلها النتائج

- «إنها هالكة! وليست وحدها؛ بل هي وشعبها بل وكوكبها، وربما الكون كله، لقد شاهدت المستقبل القريب والمفزع ».

إنه الفناء العظيم، كما قرأت عنه في المخطوطات القديمة .

لقد تحدثت المخطوطات، عن خمس دورات للزمن، فني فيها كل شيء، وامتزج الزمان بالمكان، قبل أن يتلاشيا ليصير الكون عدمًا، ليبدأ من جديد كل شيء .

وحسب ما ذُكر في المخطوطات القديمة، فإن ما يمرون به هي الدورة السادسة للزمن، وكل المؤشرات تقول أنهم في نهايتها .

في الخمس دورات السابقة، كان الخالق متواجدًا بقوة، بل وتجلى لمخلوقاته عدة مرات، قبل أن يختفي في الدورة السادسة، وأصبح السؤال عليه من المحرمات،

ولا يملك السر إلا الكهنة، الذين يَدَعون الاتصال به، ويحذرون دومًا من غضبه ومن الطوفان .

والآن هي تراه !

في موقف لا يصلح لإله، ولكن غضبته، وشره، كافيان لطي السموات والأرض، ولإفناء كل شيء،

من يمكن أن يمتلك كل تلك القوى المروعة إلا إله!؟

كل القرائن تدل على أنه هو، ادعائات الرسول السابع تدل على أنه هو، ما اكتشفه أبوها ومن معه من جماعة المتنورين من فجوات، ومغالطات لا حصر لها في أحاديث وتاريخ الكهنة، يدل على أنه هو .

غموض هيئة الكهنة يدل على أنه هو، بل يدل على ذلك بشدة؛ فالحاكم نفسه بكل ما لديه من نفوذ ومكانة لم يرهم ولو مرة واحدة .

فشاع عند البعض أنهم مخلوقات علوية، كالأنجيلو: وهي كائنات كونية شفافة كالماء، ذوات أجنحة

عملاقة، تظهر بشكل عشوائي في سماء الأرض لتتابع عن قرب الأحداث الفاصلة في حياة الشعوب، كالكوارات الطبيعية، والحروب، دون أن تتدخل لتغيرها أو لتحد من عنفها، أو تنهيها، وتم رصدها بمعظم كواكب المجرة .

والبعض قال أنهم كائنات ظلامية كالسفاريت: وهي مخلوقات شريرة تعيش بقلب بحيرات القار في المنطقة الجنوبية، ولا تتوقف عن التهام بعضها .

المقولتان دعمتا أسطورتهم، وعمقتا في قلوب مريديهم عبر الكون، أنهم مخلوقات أسمى من أن يتم رؤيتهم .

إلهام خاص تعلم الآن مصدره هو الذي كشف كل شيء، وهو الذي قاد أباها وجماعته، للشك في الكهنة، بعد أن تم رصد عبثهم، وعبث أتباعهم المتعمد بمخطوطات التاريخ القديمة، وقصص الأجداد المتواترة بطريقة جهنمية، أثبتت أن وراء الأكمة ما وراءها .

وكخطوة إثارية غير مسبوقة، ضمها أبوها للتنظيم، ورشحها لتخترق عرينهم، وتكون في خدمة الطوطم.. الطوطم الأكثر ريبة من الكهنة أنفسهم .

الطوطم الذي لم يظهر خلال خمس دورات زمنية سابقة امتدت في أقل التقديرات لمليار عام -حسب ما أكده الرسول السابع المنشق قبل موته- «وأصبح ما يمثل الإله على الأرض، قبل أن تمر القرون، ويطمس التاريخ وتضلل العقول ليصبح هو الإله ».

ولم يتوقف نفوذ الطوطم على كوكب الأرض، بل تمدد نفوذه وتأثيره لكل كواكب الكون المأهولة، سواء التي تغص بحضارات ذكية كانت أو همجية، أو بدأت ترتقي سلم التطور .

فظله الأسطوري يظهر بشكل دائم، في نفس الموقع، وبإحداثيات دقيقة في كل كوكب مأهول عبر الكون المنظور، بوسيلة مجهولة لم يتم فك شفرتها أو كشف سرها حتى هذه اللحظة، بينما يتألق مجسمه الأصلي

العملاق فوق قمة أعلى جبال كوكب الأرض، وأكثرها تحصينًا .

وخلال الثلاثة أعوام الماضية لم يقع اختيار الطوطم على ماي آر لتكون في خدمته، وفي كل مرة يتم فبها تهيئتها بدنيًا وعقليًا عن طريق أبيها، وتقنيًا عن طريق جماعته لتتجاوز سيطرة الطوطم والكهنة العقلية، تعود لهم خائبة الأمل. وهذا العام هي موقنة من اختيارها، وبأن اختيارها هو لحظة النهاية الكبرى .

إنها نذير الفناء العظيم !.

شعرت بالتوتر يرتسم على قسماتها، فتنفست بعمق، وهي ترمق الحشود المنفعلة التي أعتمت أذهانها كي لا يتم رصد أفكارها المشينة تجاهها، والمركبة تخفض سرعتها لتتوقف أمام نفق النقل الزجاجي، وفكرت: «لقد دارت الدائرة بالفعل ولا سبيل لوقفها، ولو كان في الأمر مؤامرة، فقد نجحت بالفعل؛ فهؤلاء المتعصبون من حولها، لن يوقفهم شيء عن إتمام

المراسم إلا الفناء. وهو قريب جدًا لو صدق حدسها، وثبتت صحة الرؤى ».

استقبلها في مدخل النفق العظيم، خمس من الوصيفات، كنّ بانتظارها بعد أن أبلغهن قائد المركبة بقرب حضورها.. كن يعاملنها بقداسة ومهابة وحبور؛ فبرغم كونها إحدى المرشحات لخدمة الطوطم، إلا أنها ابنة أحد أشهر نبلاء المنطقة الوسطى، كما أنها ملكة جمال كوكبهم، وفارستهم الأولى، لذلك كان احتفائهن بها مضاعفًا .

إن لها شعبية عظيمة، تجعل كل من يتعامل معها يوقرها ويجلها، والبعض يعتبر إيماءتها له جائزة كبرى .

قادتها الوصيفات نحو ممر آخر غارق في ضوء أبيض بارد، يقود إليه بساط معدني غمر بالورود، وعُطر بالعنبر. عبرت من خلاله إلى غرفة متسعة، وساعدنها على خلع ملابسها، وتعطير جسدها بالعطر المقدس،

وحملوها بعدها عارية في هودج زجاجي إلى غرفة التطهير التي صدمها حجمها .

كانت قد كونت فكرة عامة عما ينتظرها قبل خوضها المراسم، التي تدربت عليها بشكل مكثف طوال الأيام الماضية مع وصيفات المعبد، وأشرف عليها رابيد ران بنفسه. وأخبرتها الوصيفات أن ولوجها إلى غرفة التطهير ستكون خطوتها الأكثر أهمية، والتي عن طريقها ستطهرها من الآثام، ومن شوائب العالم الفاني، لتعدها للاختبارات المقدسة، ولزيارة قدس الأقداس .

فلم تتخيل ماي آر أن تكون غرفة التطهير بمثل هذا الضيق، كان عليهم أن يطلقوا عليها صندوق التطهير !

دخلت إلى الغرفة المعدنية الضيقة بتهيب بعد أن وأدت كل أفكارها، وأحلت محلها أفكارًا جديدة طازجة، تدربت كثيرًا على طريقة جعلها تطفو على سطح ذاكرتها، لتخدع أي رصد متفوق .

شعرت بجسدها كله يغوص بقلب مادة كالمخمل، قبل أن يسري في جسدها تيار بارد، وبعدها شعرت بحالة حادة من صفاء الذهن، وكأنها تقيأت كل أفكارها وذكرياتها بداخل الغرفة، وخرجت شخصية مختلفة .

الشعور الوحيد الذي وترها قليلًا، أنها أحست من أعماقها أنها لم تكن وحدها، وأن هناك يدًا خفية، ساعدتها على حجب أفكارها عن الغرفة، وعزتها ببعض الريبة إلى الآليات التي زرعت في جسدها .

خرجت من الغرفة، لتجد الوصيفات بانتظارها، وهن يحملن لها ثيابًا شديدة الأناقة، تحمل توقيع رابيد ران نفسه، لقد اهتم ذلك العبقري بكل التفاصيل، ساعدنها بكل سعادة وتهيب على ارتدائها، لتزداد جمالًا فوق جمالها، وبعدها اصطحبنها إلى ممر آخر يشع بضوء أزرق، عبرته إلى قاعة هائلة، علمت دون مجهود أنها تتواجد أسفل المسرح الكبير مباشرة .

أشارت لها الوصيفة أن تعتلي منصة ذات حجم متوسط تم تزيينها بأزهار ماسية متألقة، فظهرت بينها

كلؤلؤة بقلب محارة خلابة .

وعندما استوت في وقفتها، ارتفعت المنصة إلى أعلى، وقد انشق السقف، لتظهر على سطح المسرح الذي صار كتلة من الضياء، كأميرة أسطورية سرقت الاهتمام من منافساتها، قبل أن تتحرك بحركات رشيقة ومثيرة لتعلن بها عن نفسها. وتقف فوق منصتها الخاصة، مما ألهب حماس وعقول الجماهير، ليستقبلوها متغنين بترنيمة الجمال، التي نادرًا ما يتغنون بها من أجل إحدى المختارات قبل التصفية النهائية .

كانت تحظى بشعبية كاسحة، بعد أن أصبحت أكثر الوجوه المرغوبة خلال الثلاث سنوات الفائتة، كما أن جمالها الفائق كان مفتاحها لتحظى بحماس الجماهير التي غنت لها

كل القلوب تجلها

لا شيء يشبه حسنها

هي سيدة على جيلها

بأمر من الرب الأعظم

لأنها ابنة الطوطم

ستغيب عامًا كالشمس

وتعود عمرًا كالقمر

ستكون بهية كالشفق

وتفيض علينا كالشجر

بأمر من الرب الأعظم

لأنها ابنة الطوطم

عظموها ثلاث مرات

يوم يختارها الرب

يوم تغيب في الحجب

يوم تعود بالحب

لتنير لنا الدرب

بأمر من الرب الأعظم

لأنها ابنة الطوطم

كانت هذه الأغنية هي أغنيتها المفضلة، ولكنها هذه المرة كانت بالنسبة لها نذير شؤم .

لذا فإنها خطت فوق المسرح الأسطوري، وعقلها يكاد يتمزق من القلق، وحاولت أن تشغل فكرها، بالتأمل في تفاصيل المسرح المبهر .

هي لن تنكر أن رابيد ران كبير مهندسي المعبد فاجأها هذه المرة، وأن ما فعله بالمسرح هذا العام، يخرج عن التقليدية المعتادة، والتي كان يحرص عليها لتعميق قداسة الطقس في وعي المريدين، وكأنه علم بطريقة ما أنه العرض الأخير، فقرر أن يبذل فيه كل جهده وإبداعه ومهارته .

فهذه المرة زيّن رابيد ران المسرح بمجسم ضخم للطوطم، انتصب كجرم عملاق وسط خريطة كونية هائلة، هبطت منه عشرات من الشموس التي أحالت ليل المكان لنهار .

وعلى منصات من معدن مشع يشبه الكهرمان، وقفت ماي آر. وعلى مسافات متساوية منها، اصطفت خمس فتيات جميلات في نفس عمرها تقريبا، فتاة لكل دورة زمنية سابقة، وفتاة مختارة لتعبر عن الدورة الزمنية الحالية. واستخدم في الخلفية أضواء مهيبة تمثل قوس قزح .

لحظات ثم دوى البوق المقدس، ليسود الصمت التام، وتسجد الجموع الحاشدة، وكل منهم يتمنى أمنية أو يدعو دعوة يأمل منها أن تكون مستجابة .

فهذه اللحظة هي لحظة استجابة الأمنيات والتي يبدأ بها الحفل، والتي استمرت لدقيقة كاملة، قبل أن يتألق المكان كله بضوء هائل، جعل الجماهير ترتجف، بعد أن تجلى عليهم ضوء الطوطم ليعدهم بالإجابة .

ليهبوا بعدها منتصبين في صمت تام وقد ضم كل منهم قبضته، ووضعها على صدره، وأغمض عينيه، ليذوب مع تلك الموسيقى العذبة التي اختطفت الجموع من أمنياتهم وأفكارهم، ورغباتهم، وجعلتهم يذوبون جميعًا ككيان واحد .

كانت موسيقى مزلزلة، وخلابة، لا يمكن لمخلوق عادي أن يؤلفها .

لابد وأنها صُكّت في السموات العلا على يد مخلوق نوراني، أو ظهرت للوجود بأمر من الإله نفسه .

أسكرت الموسيقى الجماهير .

وبترتيب مذهل، تبدلت أضواء النجمات التي تضيء المسرح مع تدرج الموسيقى الملائكية الأخاذة، ومعها بدأت النبضات .

حاولت ماي آر أن تتجاهل تلك النبضات -التي أعلن دويها عن بدء مهمتها-ببعض الألعاب الذهنية التي تتقنها، ولكنها كانت تتسلل إلى وعيها رغمًا عنها .

لقد علمت منذ زمن بعيد الغرض من هذه النبضات، ووظيفتها الحقيقية، وهذه المعرفة كانت النقطة الفارقة في حياتها، والتي بدلت من تفكيرها، واهتماماتها، ورؤيتها للأمور .

فلم تعد على آثارها تنحاز إلى جانب أمها ضد أبيها وأفكاره الشاذة، وجعلتها تفسح المجال في عقلها للمزيد من التفكير؛ فلم تعد تتقبل النصوص المقدسة، أو أحاديث الكهنة على علاتها، لتتلقى الصدمة خلف الأخرى .

لقد بدأ الشرخ لديها من معرفتها كنه هذه النبضات الساحرة، وأخذ الشرخ يتسع ويتسع حتى ابتلع حياتها بالكامل .

فعبر النبضات، كانت العقول تتلقى إشارات فائقة القصر، رصدها أبيها مع جماعته من المستنيرين، وخلال عام كامل استطاعوا فك شفرتها المعقدة، التي تعود لتكنولوجيا تسبقهم بألف عام على الأقل .

واكتشفوا أنه عبر هذه الإشارات فائقة القصر، يتم بث تعليمات ومشاعر صناعية بوسيلة تكنولوجية جهنمية، تعمل على برمجة العقول دون أن يشعر متلقوها، خاصة مع دمجها مع مراسم الاحتفال، الذي يتم بثه عبر الكون المرئي بوسائل لم يتوصلوا لها حتى الآن .

ومع سحر الموسيقى، والهالة المقدسة التي تم فرضها على الحدث، كانت النبضات تمنحهم شعورًا عارمًا بالانتماء للطوطم. فكانت الأفكار التي تبث في العقول وتزرع في أعماقها، بمثابة المعادل الصناعي للإيمان الحقيقي .

ولأنها لم تكن تريد أن يبرمج وعيها، فإنها نفذت الجزء الأول من الخطة الموضوعة. وبكل هدوء وبحركات محسوبة غير ملحوظة تدربت عليها كثيرًا، تواصلت عقليا مع تلك الآليات الموزعة بأنحاء جسدها، فنبع منها تشويش محدود أفسد عمل الموجات فائقة القصر

.

وكرد فعل لذلك استطاعت إعتام ذهنها، وأصبحت أكثر وعيًا، إلا أنها استمرت في الادعاء والتمثيل، حتى أن من يراها سيجزم أنها بالفعل واقعة تحت رحمة النبضات .

تابعت كل ما يحدث بدقة كما فعلت في المرات السابقة، ولكنها هذه المرة، شعرت باختلاف رهيب .

هناك شيء ما يخترق عقلها !.

إنها تعرف هذه المؤشرات !.

إنها تخشاها !.

لقد انتزع هذا الشيء وعيها، لتتبدد من أمامها كل المشاهد. لم تستطع أدوات والدها أن تعيدها، ولا تمارينها الذهنية .

وفي لحظة واحدة، وجدت نفسها أمامه.. أمام الكائن الأسمى.. أمام المعظم !

حاولت أن تصرخ.. أن تهرب.. أن تقوم بأي رد فعل، دون جدوى .

كانت عاجزة، وأسيرة لسيطرته المطلقة.. كانت لا حول لها ولا قوة .

وفي عقلها دوت فكرة واحدة

(الفناء العظيم).

(7)

استيقظ أمير من نومه في موعد ذهابه إلى العمل وهو يشعر بإرهاق ودوار شديدين، وكأنما أمضى الليلة السابقة يركض دون توقف.. كان يلهث بطريقة عجيبة أقلقته هو شخصيًا، فأخذ يمارس بعض تمارين التنفس التي لم يعلم متى أجادها !.

ماذا حدث له أثناء النوم؟ هل ترك النافذة مفتوحة فأصابه البرد؟ .

نظر حوله في تشكك فوجد غرفته كما تركها قبل نومه، والنافذة مغلقة، اعتدل من رقاده وجلس، فأحس بشيء ما يضغط على معدته وكأنه تناول عشاء ثقيلًا .

تتقلص معدته .

الشعور بالغثيان يزداد، والرغبة في القيء لا تقاوم .

يختطف سلة المهملات الصغيرة من جوار الفراش، ثم يقيء كل ما في معدته، ليشعر بعدها ببعض الراحة..

ينظر لساعة الحائط وهو يجفف فمه بمنديل ورقي فيتوتر، لقد تأخر كثيرًا عن العمل !.

يتجاهل كل المشاعر المضطربة التي تموج بجسده، يهم بالتحرك من فراشه على عجل ليثبت حضور قبل أن يسجل له اليوم غيابًا، وراتبه لن يتحمل أي خصم منه الآن، ليتذكر على الفور أن اليوم بداية الإجازة، ولا مواعيد لديه تجبره على الخروج في هذا الوقت المبكر من اليوم .

يتذكر النقود التي حصل عليها مقابل أن يبيع روحه لشيطان بشري لم يقابله بعد، فيتغير تفكيره جذريًا، وبينه وبين نفسه قرر أن يستدعي منال الخادمة لتنظف له الشقة، ربما ليس التنظيف هو الغرض الأساسي من قدومها، ولكن من يقتل سيفعل كل شيء آخر .

نعم ..

قريبًا سيتحول لقاتل؛ فهذه النقود ثمن لدماء ستسفك دون شك .

والغريب أن الأمر لا يلقى نفورًا من ناحيته، وكأنما مجرد تقبله نقله لخانة المعتاد.. كما أنه سيتمسك بمبدأ :

«كل منا قد فعل في حياته ما يستحق عليه القتل »

هو الآن مستعد جيدًا .

الحياة تتخلى عن تعقيدها، وتنصت لـ تينا ترنر أخيرًا :

«فالبساطة أفضل ».

فقط لو يتوقف هذا الغثيان .

يتأمل ملابسه المنزلية في استهجان وإنكار؛ كيف كان يرتدي مثل هذه الأسمال البالية من قبل!؟ لابد أن يشتري بعض الثياب الجديدة، وربما يصلح سيارته، وأيضا سيدفع الإيجار وبعض الشهور مقدمًا .

وهنا تظهر له المشكلة الجديدة.. برغم أنه لم يكن يحلم بتحصله على مبلغ مماثل، إلا أنه لن يكفي متطلباته، التي طفت على السطح، بمجرد امتلاك المال.. إنه بحاجة إلي كمية من النقود لا تجعل تلك الآلة الحاسبة التي في رأسه تعمل بعد تنازلي محسوس .

وعلى إثر هذا التفكير، أيقن أنه بحاجة لأن يقوم بهذا العمل الذي لا يدري عنه شيئًا، ليجني ذلك المال الكثير المتواري خلف حجب الغيب .

إنه أكثر حماسًا الآن، وحاليًا هو لن يبدد نشوة حصوله على النقود بأن يفكر في اللحظة التي ستنتهي فيها .

سيحتفل الليلة.. اليوم طعام ونساء، وغدًا ليأتي كيف يشاء .

هاتَف منال، ورتب الموعد .

فكر في قائمة الأماكن التي حلم بزيارتها ليتناول فيها الطعام. ووقف عقله عند (فرحات).. إنه يصنع حمامًا

محشوًّا تحاك حوله الأساطير .

هو يذكر آخر مرة تذوق فيها طعامًا ذا قيمة. كان ذلك في الحفل الذي دعي إليه مع رب عمله لإنهاء صفقة إعلانية مشبوهة.. إن ذلك الحفل يضرب بجذوره لأعماق التاريخ، وكأن الأمر حدث في حياة أخرى، أو زمن آخر. ومعدته تريد للتاريخ أن يتكرر من جديد، وهو سيلبي النداء .

استقبله العامل في ترحاب وكأنه يعرفه، وهذا منحه إحساسًا بالغًا بالأهمية لم يشعر به من قبل، فشجعه على المضي قدمًا في احتفاله العظيم .

حماسه للطعام واحتفاء العامل به، جعله يلتهم وحده ما تلتهمه أسرة كاملة في نصف ساعة. لابد وأنه قضى على قسم كامل في مزرعة ما .

وبعد أن انتهى من ملحمته شعر بأنه عاد إنسانًا جديدًا، وبأن الغثيان والثقل الذي لازمه منذ الصباح انتهى.. لذا عندما أحضر له العامل قدح الشاي الثقيل الذي

طلبه منحه بقشيشًا سخيًا انتزع من العامل المرهق ابتسامة أنارت وجهه .

وعندما هم بالمغادرة، وجد العامل نفسه يناوله قداحة ثمينة، وسيجارًا في مغلفه لم يفتح بعد، وهاتفه المحمول قديم الطراز، وكيسًا ورقيًا به قميصان وسروال، وبعض الثياب المنزلية الجديدة من ماركة شهيرة .

وعندما استفسر منه عن ماهية هذه الأشياء، أخبره أنها أشياؤه التي نسيها بالمكان قبل عدة أسابيع.. قلب فيها، ثم أخبر العامل بكل أريحية أن ما يخصه منها هو الهاتف، وعندما ألح عليه العامل الذي ظن أنه يختبره، وبدأ الصداع يكتنف رأسه، أخذها وعاد بها إلى منزله .

كان ما في الكيس من ملابس يفوق ثمن الوجبة التي تناولها عدة مرات، كما أنها كانت ملائمة لذوقه وتناسب مقاسه .

إنه يوم سعده دون شك.. الملابس الجديدة أعطته الحيوية، والطعام منحه صفاء الذهن. وملمس النقود فتح أمام عينيه مغارة الأحلام .

رغب بشدة في قضاء ليلة في أحد الفنادق الفاخرة، ولكنه لن يجازف بضياع باقي النقود.. تكفي منال لهذه الليلة .

وقد كان .

غادرت منال منذ دقائق قليلة، وجهها مضيء كوجه عروس؛ لقد كان فرحات يبارك خطواته، وأثبت لمنال أن انتظارها له، لم يكن هباءً .

هو نفسه لم يصدق أنه يمتلك مثل هذه القوة ولا تلك الفحولة، إن ما يمر به هذه الأيام يخبره أنه حظه يتبدل بشكل كبير.. ليس حظه فقط؛ فجسده نفسه تحول بين ليلة وضحاها إلى الجسد المثالي الذي لم يحلم يومًا بامتلاكه، سواء من ناحية التناسق العضلي، أو نقاء البشرة .

رائحة عطر منال تغمر كل شيء، لم تكن منال بالسوء الذي كان يعتقده. أو ربما هو من لا يفهم في النساء، ولكنه يشعر برضا هائل يغمر كيانه .

يطفئ السيجار غال الثمن في حنق، فلم يكن ذا نكهة محببة؛ لقد قضت السجائر الرخيصة على حاسة التذوق لديه .

يشعل سيجارته القديمة، فيشعر بنشوة.. إنه الآن مختلف.. على الأقل يشعر بآدميته، ولو لفترة محدودة .

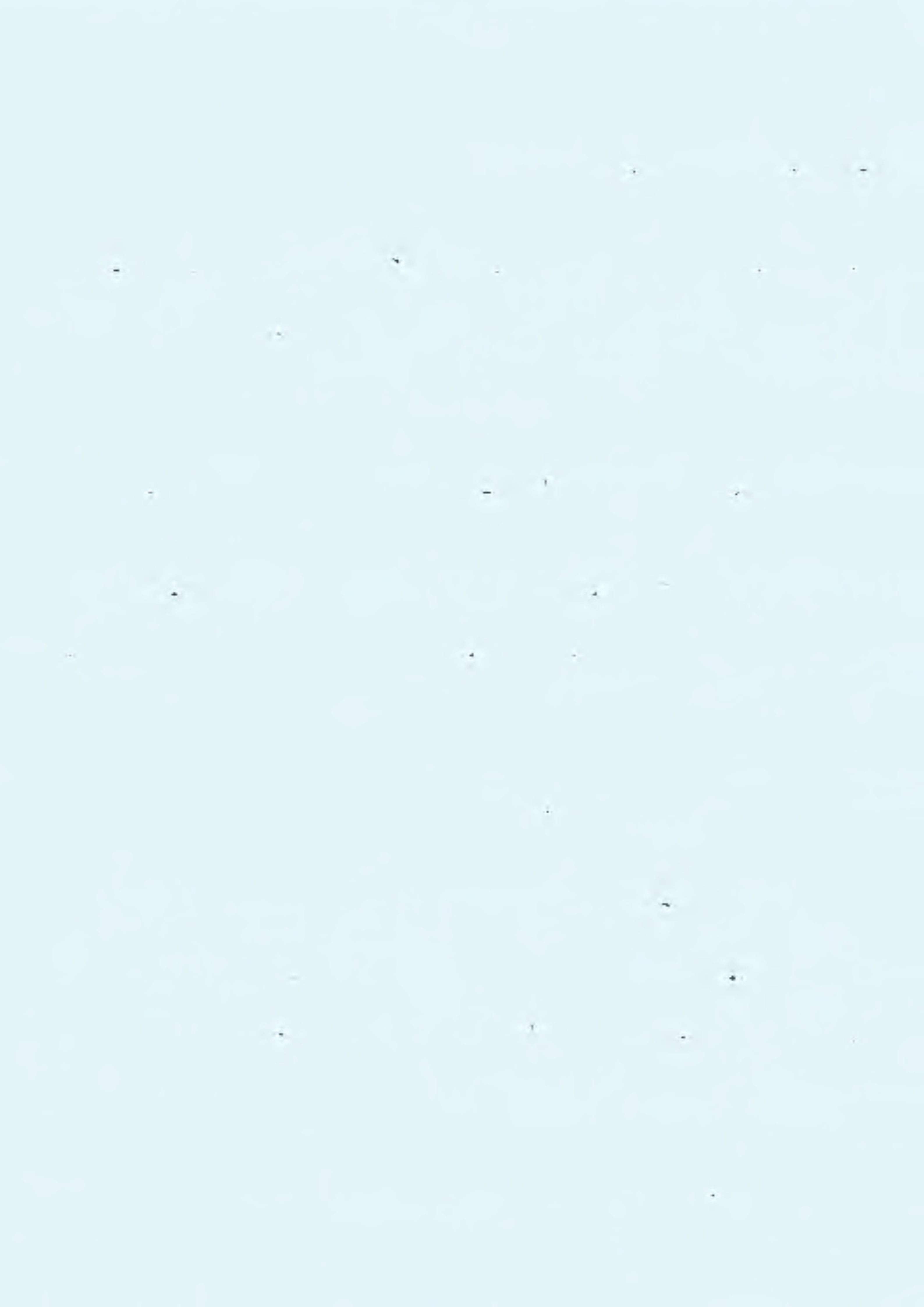
يدق هاتفه المحمول، ينظر إليه، ويقرر استبداله في أول فرصة بهاتف أحدث

على شاشته يتألق اسم رنا .

يتساءل في أعماقه: «هل يجيب؟ »

لِمَ لا!؟ .

إنها تريد لقاءه مساء اليوم التالي !!



ثلاثة أسابيع.. إذن من التي تحدثت معه بالأمس؟؟ .

تسطع في رأسه ذكرى جنونية

«أمير، كيف استطعت أن تخرجه من عرين أبيه ومن بين أنياب رجاله!؟ »

يستفسر من أمها عن اسم المستشفى، ليتلقى صدمة أكبر !

«ولكن هذا الوغد لا يجب أن يموت ببساطة.. دعيه يموت دون أن يدرك السبب ».

إنها محجوزة في مستشفى قريبة، ولكن ليس هذا ما صدمه .

«لا أعتقد أنها فكرة جيدة.. ذلك الحقير لابد وأن يعرف أنه يموت من أجلها.. من أجل ندى ».

فتلك المستشفى الشهيرة تهتم فقط بعلاج الصفوة، والسياسيين ذوي الوزن الثقيل، ورجال الأعمال،

ومحرمة على أمثالهم، فكيف وصلت إليها!؟

«رنا تلعق الدماء من فوق نصل خنجر حاد، ثم تُقبله ».

إن الأمور في مثل تلك الأماكن لا تدار بهذه البساطة، لو تركوها تموت ببطء خارج بوابتها، لكان الأمر أكثر منطقية، ثم إن المكان نفسه تكنة عسكرية، ويتم حراسته على مدار اليوم، فكيف سيصل إليها!؟ .

«إن لديها جسدًا مميزًا حقًا، ولكن رقصها فوق الدماء، وبين الأشلاء ساحر.. إن نشوة الثأر لا تفوقها نشوة ».

كانت الفترة بين تساؤله، وبين تسلله إلى غرفتها في المستشفى الكبير لا تتجاوز الساعة، فقط هو لا يذكر كيف تخطى رجال الأمن وكاميرات المراقبة، ليقف أمامها الآن .

«نحن كالأشباح، ولم يخلق بعد من يستطع إيقافنا ».

كانت رنا مسجاة على الفراش الطبي، غارقة في غيبوبتها. حاول إيقاظها فلم تستجب له.. شيء ما في



«الترانيم الهمجية تصفع روحه، فينتشي ».

وعندما تراه للوهلة الأولى يغزوها الفزع والهلع، وهي تتسائل عما يريد .

«أريدك..أريدك بشدة ».

دقائق أخرى يلتهمها الغموض، ولا تسعفه ذاكرته لمعرفة ما دار فيها من حديث، وكل ما يذكره منها، أنها قبل أن تفقد الوعي قد منحته بريدها الإلكتروني، وكلمة السر المكونة من ستة أحرف وثلاثة أرقام، وعنوان رسالة تحتوي على مرفقات خاصة عليه رؤيتها .

«الغثيان ثمن عادل لما حصلنا عليه ».

يتأملها في إشفاق للحظة، وهو يتفحص بعينيه تلك الكدمات الزرقاء التي رصعت وجهها، وتلك المشاهد الجنونية لا تتوقف عن رجم عقله .

«نعم يا رنا.. سنجهز عليهم الآن !».

تحرك عبر ممرات المستشفى بثقة وهدوء، تجاوز رجال الأمن ببساطة بأن عبر بينهم كطيف، وكان من الواضح أنهم يتجاهلونه أو لا يرونه، وهو شيء غريب وغير منطقي !.

«الجميع يراك، والجميع لا يراك، عقولهم تخضع لمشيئتك ».

يمر بجوار سيارة ذات زجاج داكن، يلتفت لاإراديًا ليتأمل جسده المشدود، فيبتسم .

«ألا تخافين من كل هذه التغيرات التي تجتاح أجسادنا؟ ».

يتابع طريقه صوب البوابة المعدنية. يغادر المكان ويقطع الشارع الرئيسي، ليدخل أول مقهى إنترنت قابله دون تردد، بعد أن حدد مكانه من الذاكرة، وإن كان لا يدري من أين نبت هذا المكان في ذاكرته، وهو لم يمر بهذا الشارع من قبل !

«لا أخشى شيئًا ما دمت بجواري ».

يجلس على جهاز كمبيوتر قديم إلى حد ما، ولكنه متصل بالإنترنت وهذا يكفيه في الوقت الحالي، دون أن يوقفه صاحب المحل أو يطلب منه أجرًا، ولم يشغل هو عقله بمثل هذه التفاهات .

يدخل إلى بريدها الإلكتروني

يفتح الرسالة المعنية، التي تم رفعها من نفس البريد الإلكتروني، إنها رسالة إليه من رنا نفسها، يبدأ في تصفح المرفقات، تفاجئه صورة حديثة له بثيابه الأنيقة، تأمل الصورة المألوفة لتتسرب لعقله ذكرى جديدة

«تحتاج منك هذه المهمة لتصريح خاص، لذلك سيلتقط لك مصورنا الخاص صورة سريعة ».

ولم تكن الصورة هي الشيء الوحيد الموجود في تلك الرسالة التي تغص بالمرفقات؛ فالمعلومات التي كُشفت أمامه من خلال تصفحه للرسالة، كانت دموية، ومخيفة، وموثقة بالصور .

أظهرت الصور عمليات اغتيال وحشية تمت ضد مجموعة من الصحفيين محدودي الشهرة، الذين اختفوا في ظروف غامضة على فترات متتابعة، وشغل اختفاؤهم الجهات الأمنية. قبل أن تنشغل عنهم بقضايا أخرى أكثر إلحاحا، ثم عادت لهم بعد ظهور جثث هؤلاء الصحفيين في حالة أقل ما يقال أنها بشعة .

كان من الواضح أن الضحايا عُذِّبوا بوحشية، وتم التمثيل بجثثهم حتى بعد أن فارقوا الحياة، وهذا النوع من الجرائم الطقسية له رائحة شيطانية مخيفة .

فالصور كانت تمثيلًا لطقس دموي همجي. وكان من الواضح أن من يرتكبها، يحرص على إظهارها كقربان لشيء ما خارج كادر الصور .

أخذ يقلب في باقي الصور، وللحظة تجمدت أصابعه على أزرار الفارة، عندما طالعته الصورة التالية. لم تكن دموية، ولا توجد بها أي مرحلة من مراحل عملية

القتل.. فقط كانت صورته، وهو يتلقى المظروف المتخم بالأموال من زاوية غير جيدة ولكنها واضحة.
إنه لن يتوه عن ملامحه أو ثيابه القديمة !.

هل يحاولون إلصاق تلك الجرائم به!؟ .

ماذا عن تلك الرؤى المخيفة التي يتقاسمها مع رنا!؟ .

إذا كانت رنا محتجزة في المستشفى، فمن حدثته من هاتفها بالأمس؟؟ .

لماذا يموت الصحفيون؟؟ ولماذا تتم الجرائم بهذه الوحشية؟؟ .

دق قلبه بعنف وهو يشعل سيجارة جديدة، أخذت تحترق كما تحترق روحه .

لتحتل رنا كل مساحة تفكيره

ليقرر أن يعيد زيارتها

شيء ما بأعماقه يخبره أنها تمتلك الإجابة عن كل أسئلته

تسطع في رأسه ذكرى أخيرة

«أصبح مصيرنا واحدًا الآن يا أمير».

(8)

بعد صدمتها من عجزها عن اختراق عقل إيناس وزوجها، وقبل مغادرتها الملجأ بلحظات، قامت ياسمين وعلى وجه السرعة، بمحو ذاكرة سماح تمامًا على عكس رغبتها، وإن تم بكامل إرادتها. لم تكن تريد لهذا القلب الطيب أن ينساها، وفي نفس الوقت لم ترغب في أن تترك بداخلها أحزان الوداع والفراق والحنين الذي لن ينقطع مع شخصية في براءتها .

إن جريرة سماح الكبرى أنها ولدت لتجد نفسها ملقاة في أحد الشوارع حتى ضمتها جدران الجحيم/الملجأ، وبرغم كل ما لاقته من أهوال إلا أنها حافظت على فطرتها، وروحها، وجسدها، بنفس النقاء الذي خلقت به .

كانت ملاكًا حكم عليه أن يعاشر الشياطين، فلم يصبح منهم .

كانت تلك العزيزة تعتبرها بمثابة ابنتها، وكانت على الدوام أمها، لذا فإنها حرصت ألا تعيش هذا النوع من

الحزن بسببها، ولو مجرد ذكريات؛ إنها الشيء الوحيد في هذا الجحيم الذي تعلم جيدًا، أنها ستحزن على فراقه .

- «وداعًا يا سماح.. وداعًا يا أمي ».

قالتها بصوت مليء بالتأثر .

أرادت أن تبكيها، وعصتها عيناها .

فجسدها لطفلة، ووعيها لكهلة تدرك أن هذا الحزن العميق المتعلق بروحها مع فراقها، من أخف الأحزان التي ستواجهها في حياتها؛ فما زال جراب الحياة لم يخلُ من مآسي بعد .

قطعت السيارة الطريق في سرعة في حين لاذت ياسمين بالصمت، بعد عجزها عن لفت نظر أسرتها الجديدة نحوها، مع عدم قدرتها على اختراق عقولهم برغم محاولاتها المتكررة، وانحصر تفكيرها في الحالة المريبة لمدام إيناس وزوجها الذي لم تعرف اسمه بعد، لقد فاق غموضهما ذلك الشيطان الحارس علوان .

كانت المرة الثانية التي تعجز فيها عن اختراق أحد العقول .

في حالة علوان تطلب الأمر منها تشتيته لتكشف شخصيته، وفي حالتهما هذه كان الأمر مختلفًا؛ فلم يكن ما يعجزها عن قراءة عقليهما مجرد تشويش ذهني متعمد، أو حجب مؤقت .

كان الأمر عجزًا كليًا؛ فعقلاهما أمامها يبدوان كقطع الفحم الصلبة، أو كالخزائن المحصنة، كل منهما بداخله ثقب أسود أو كتلة من المادة المظلمة التي تجعل كل محاولاتها تذهب هباء .

من هم؟ ومن هي مايا رشدي التي ذكرتها إيناس قبل أن يلفها الصمت؟ ولماذا نعتتها بأمها!؟ ولماذا يبدو الاسم مألوفا، أو به شيء مألوف!؟ لا إجابة !

هل قاموا بعملية التبني كلها من أجل تلك السيدة الغامضة؟ ولو حدث هذا فما هو الغرض الحقيقي وراء إخفاء شخصيتها؟ هل ستكون عبدة جنس في بلد ما،

وهي السمسارة؟ أم مجرد حيوان بشري يتم إطعامه حتى يتم الاستفادة من أعضائه كقطع غيار بشرية؟ وهل سيقتلونها بعدها أم سيلقونها مشوهة في أول مكب للنفايات؟

لقد خضع الجميع في الملجأ لفحوصات الدم والأنسجة، لابد وأنهم جميعًا مصنفون ككيانات على حاسوب ذلك السمسار المجهول .

كانت قلقة إلى درجة مفزعة، وتسرب إليها إحساس غامض بأنها في خطر عظيم، وهو إحساس جديد عليها تمامًا؛ لأن من خلاله شق الخوف طريقه إلى كيانها، كما أن هذا الإحساس حفز بعقلها تلك الذكريات الكامنة التي كانت قد وأدتها في أعماق عقلها، كجزء من حيواتها السابقة .

ليسطع في عقلها كفلاشات مزعجة وجه مخيف غارق في الظلام، حاولت تذكر صاحبه دون جدوى، ومع الوقت تحول هذا الإحساس المقبض إلى صوت يحثها بإصرار غريب على الهرب .

كان الأمر أكبر من قدرتها على تنفيذه بجسدها الهزيل، كما أنه لم يتجاوز كونه مجرد إحساس قوي .

رنين هاتف الزوجة المحمول أخرجها من زخم الأفكار الذي يكاد يحرق عقلها، وعلى الفور شحذت حاسة السمع وأنصتت، فصارت كجهاز استقبال قوي، لم يفلت حرفًا واحدًا من المكالمة .

قالت إيناس بآلية

- «إنها معي الآن ».

أتى الصوت رخيمًا، هادئًا، واثقًا، ومخترقًا، وكأن صاحبته تشع ولا تتكلم، وبصوتها الأخاذ الصارم ردت على إيناس قائلة

- «نعم أعلم أنها معك الآن؛ فلا شيء لا أعرفه، ولكن هناك تغيير في الخطط، ولظروف خاصة لن تأتي بها إلى هنا الآن، ستذهبين بها إلى القصر، وهناك سيتسلمها منك خادمي عزيز، وبعدها سأحدد لك الخطوة التالية »

أجابت إيناس في جمود

- «كما تأمرين يا سيدتي ».

كانت هذه هي فحوى المكالمة التي أنصتت إليها والتي زادت من غموض كل موقفها، وبعد رحلة شاقة امتدت لعدة ساعات، وصلت السيارة إلى بلدة نائية قليلة السكان بالمقارنة بالبلدات المماثلة، وكانت تبدو لعينيها من خلف الزجاج كبلدة للأشباح .

انقبض قلبها، شيء ما مريب في أجواء هذه البلدة، والبشر القلائل الذين يمرون بهم، بمشيتهم المتصلبة الباردة الخالية من المشاعر البشرية .

فكرت أنها لو كانت بداخل أحداث فيلم رعب، لتحولوا جميعًا في لحظة ما إلى زومبي وطاردوهم، وربما أكلوهم أحياء .

أما الذي أثار اضطرابها، هو ذلك التعتيم العقلي الكامل الذي كان يحيط بالمكان، وكأنها في منطقة اللاشيء .

بدا الأمر كما لو أنها تخوض غمار حلم أو كابوس غير محدد التفاصيل. عجزت معه عن قراءة أي من العقول التي مرت بها، حتى الحيوانات كانت ذات وعي مصمت مبهم فلم تستخلص من ذاكرتهم أي معلومة .

عصف بها قلق رهيب، ولأول مرة منذ وعيت على هذه الدنيا، تدرك أنها بهذا الضعف والعجز. وكادت تغرق في دوامة اليأس، عندما أفزعها صوت مفاجئ لفت انتباهها لذلك الظلام الذي بدأ يغطي كل شيء خارج السيارة، ومعه تعالى في المكان طنين ذبذبة صوتية عنيفة جعلت إيناس وزوجها يصرخان من الألم وهما يضعان أيديهم فوق آذانهم ويزومان كوحوش البرية. في نفس اللحظة التي ارتجت فيها السيارة، وكأن هناك يدًا عملاقة تهوي عليها بقوة، في محاولة لتهشيمها .

تجاوزت ياسمين المفاجأة في وقت قياسي، وقررت استغلال الفرصة، فحاولت أن تقرأ عقولهم في ظل هذا التوتر والارتباك، عندما رصدت تدفقًا عقليًا هائلًا

يموج في المكان. فحاولت أن تتواصل معه، وفجأة أصبح الأمر كله مؤلمًا بالنسبة لعقلها .

ومع حدة الألم، أدركت أن من يصدر عنه مثل هذا التدفق لا يمكن أن يكون بشريًا أو يمتلك عقلًا بشريًا بحال من الأحوال؛ الأمر يفوق الطبيعة البشرية نفسها !.

حاولت أن تعزل التدفق، لتقرأ عقول كل من حولها في أقصى مساحة يتمدد إليها وعيها، لتشعر بضغط مروع على رأسها، وكأن هناك من يضغط وعيها لينكمش ويعود بداخل رأسها .

قاومت حتى كادت تفقد الوعي مستخدمة إرادتها ووعيها المتعدد، فاستحال كل شيء حولها ظلامًا، رجها رجًا، وكأن الظلام يسحب من روحها، ويحرق خلايا مخها، قبل أن ينبثق الضوء مجددًا، ليعود لها وضوح الرؤية، فتشاهد رأس إيناس منفجرًا، بينما زوجها متكور في مقعده كالجنين واللعاب يتساقط من فمه مختلطًا بالدماء الغزيزة التي سالت من فمه

وأذنيه، ولم تحتَجْ لجهد لتدرك أن هذا المسكين قد فقد عقله إلى الأبد .

وفي نفس اللحظة العصيبة، دوى انفجار هائل أطاح بالسيارة إلى أعلى، وكأنها كرة مطاطية، قبل أن ينشق سقفها وكأنه مصنوع من الورق المقوى بواسطة قوة مجهولة، ليحتشد فوق السيارة ما يشبه ملايين من السحب الدقيقة، والتي تمرح بداخلها عشرات الصواعق الكهربية الأدق منها، ليطفو بعدها جسدها في الفراغ بين السيارة والسحب، وكأنما لا وزن له .

وعندما نظرت إلى أسفل، رأت السيارة تهوي من حالق، من ارتفاع مئات الأقدام في مشهد مخيف، لتصطدم بالأرض مشتعلة، قبل أن تمتد منها النيران لتمسك في كل مكان وقع بصرها عليه، ليتحول المكان إلى جحيم مشتعل .

وبرغم أن هناك شيئًا ما أو شخص ما، وقى جسدها من الانفجار والاحتراق برفعها إلى أعلى في الوقت المناسب، إلا أنها أخذت تصرخ في هيستريا، عندما

تفجرت في عقلها ذكرى شبيهه رأت فيها نفسها تحترق، وتحترق وتحترق !.

كانت الذكرى تتكرر بشكل مزعج حتى كادت أن تطيح بتوازنها، ولكنها عزلتها في سرعة وهي تحاول السيطرة على جسدها الذي صار يرتعد من الضغط المروع الذي يمارس عليه. وحاولت بجزء آخر من وعيها الحصول على أي معلومة قد تجلي كل هذا الغموض .

لم يكن في الأجواء أي انبعاثات شيطانية، أو ما ينبئ بحدوث ذبذبة ناتجة عن عبور أحد الشياطين أو مردة الجن نقاط التماس بين العالمين .

ولم يكن هذا تدخل من أي من تلك الكائنات التي تشاركنا نفس الحيز من الفراغ في أبعاد ذات ذبذبات مختلفة .

ولم يكن فيضًا عقليًا آت من الفضاء ليستكشف الأرض، كل هذا قد خبرته ومرت به مسبقًا .

بل كان ذلك الاضطراب المروع، الذي يسببه السحر الحقيقي، عندما يبدل في تركيبة المكان والزمان في حيز نشاطه. إن ذكرياتها تحتوي على نسق مشابه، فقط لو تملك الوقت لدراسة وترتيب تلك الذكريات .

رصدت تحول هذا النشاط إلى مجال هائل من الطاقة الكابحة المعتمة، التي حجبت عنها كل شيء، بالضبط كما يحدث للبشر عند اختطافهم بعد سد آذانهم بأغطية خاصة، وعصب أعينهم بعصابة سميكة .

عزلة تامة جعلتها تتوقف عن المحاولة أو بذل المزيد من الجهد، ليتصدع بعدها الوجود من حولها، وتنتشر في سمائه شروخ هائلة، وكأن ما فوقها ليس السماء فحسب، بل قبة زجاجية هشة. قبل أن يتدفق كل شيء كالماء وتجد نفسها تندفع في سرعة رهيبة صوب النيران التي أصبحت تسمع حسيسها وفحيحها، لتهلع وتصرخ، وتحاول الفرار دون أن تملك وسيلة إليه

.

وفي اللحظة التي كاد فيها جسدها يلامس النيران، أعتم عقلها مجددًا، وغمرتها سكينة عجيبة، لتسطع الشمس بقوة، وتجد نفسها واقفة على حافة جرف جبلي مرتفع، وفي الأسفل هاوية لا قرار لها تشتعل بالنيران .

رمقت النيران برهبة، قبل أن يخطف بصرها ذلك الظل الأسود القاتم الذي ظهر على البعد لشخص نحيل مفرط الطول، يعتمر قبعة سوداء عريضة تشبه قبعات رعاة البقر، ويرتدي ملابس سوداء أقرب إلى اللحادين تزينها قلادة عريضة، ويمسك في يده عصا سوداء أنيقة ذات رأس فضية، وكأنه أحد النبلاء، ويقترب منها وهو يسير فوق الهواء وكأنه أرض صلبة .

مما جعلها تشهق في قوة، وهي تتابع ذلك الشخص المخيف، الذي كان يقترب منها في تؤدة، وكلما اقترب منها كان وعيها ينكمش أكثر وأكثر .

ولولا أنها تعرف أشكال الشياطين جيدًا لقالت عليه أنه أحدهم، ولكنه كان مخيفًا أكثر منهم، ومن أي شيء

خبرته في حياتها، أو خبره أحد ممن اخترقت عقولهم وتصفحت ذكرياتهم سواء أكان كبيرًا أو صغيرًا .

كانت عيناه عجيبتين لا تستقران على لون، وجسده قوي وكأنه وتر مشدود نابض بالقوة، وابتسامته مفزعة .

اقترب منها بخطوات واثقة هادئة، قبل أن يقف أمامها فوق الهوة الجبلية المخيفة التي تشبه فم عملاق على وشك التهامها، لينحني لها في شكل مسرحي قائلًا في احترام بلهجة لطيفة أنيقة وهو يقبض على قلادته

- «كم يملؤني الشرف للقائك يا سيدتي! وكم يملأ قلبي الحقد على العالم لتأخر هذا اللقاء الفائق الأهمية !».

حاولت أن تستوعب طريقته ومنطقه؛ فمن يتحدث إليه بلفظ (سيدتي) لم يكن سوى طفلة لم تبلغ عامها الرابع بعد، كما أن حقده على العالم لتأخر لقاء لا ترى له أي أهمية، يأجج من عجزها الكامل على الفهم، برغم

أن وعيها يفوق من يكبرها بعشرة عقود، لذا فإنها قالت بصوت مضطرب قلق

- «من أنت؟ وماذا يحدث من حولي؟ أنا لا أفهم أي شيء! ثم من أين لك القدرة لتكبح وعيي بهذه الطريقة و ...».

وهنا توقفت عن الحديث، عندما بدأ عقلها يستوعب الموقف لتقول

- «وكيف تصنع من حولي هذا الوهم الشديد الدقة؟؟ ».

وهنا رأته يدور حول نفسه كراقص بارع، قبل أن يخلع قبعته السوداء ليضعها فوق صدره في امتنان، وكأنه ممثل مسرحي على خشبة المسرح أدى مشهدا خلب لب الجمهور، وهو يهم بتحيتهم، قبل أن يجيب

- «هذا ليس شيئا مقارنة بما أستطيع فعله، أو ...».

وصمت للحظة وكأنه يفكر، قبل أن يغمز بعينه ليكمل

- «أو ما يمكنني تعليمك إياه ».

قالها قبل أن يصفق بيده في قوة ليخرج منها زهرة حمراء، وفور أن وقع بصرها عليها تدفق إلى رأسها ألف مشهد ومشهد .

لم تكن الزهرة الحمراء تعبيرًا عن الود، أو رمزًا رومانسيا كالمعتاد، ولم تكن حيلة ساحر لإظهار قدراته أمامها .

بل كانت عهدًا ملعونًا .

لقد تدفق تاريخها في عقلها على الفور، فرأت أحداثًا دموية لا مثيل لها، وشاهدت عشرات المذابح تتم على يديها لربها، وأدركت أنه لا يقدم لها إلا القوة المطلقة .

قوة الحياة والموت .

وهنا تساءلت بصوت مرتجف؛ محاولة منها لمنح نفسها فسحة للتفكير بعيدا عن الإغراء

- «أأنت ساحر؟ ».

انطلق يقهقه في قوة، ويرقص في مرح فوق الهواء، قبل أن يدور بجسده دورة كاملة، وهو يشير نحو السماء بعصاه، لتتفجر منها الأضواء والألوان، ليختفي الجبل والهوة، لتجد نفسها في فراغ كوني عملاق تحيط بها عشرات الكواكب والأقمار، قبل أن يقول

- «إن ذكاءك يبهرني يا زهرة. ما رأيك في هذا الإسم؟ ».

أعجبها الاسم، وأحست نحوه بحميمية، وإن ظلت على صمتها، فاستطرد

- «أعتقد أن الاسم يليق بك وبجمالك المنتظر أكثر من ياسمين، وإن كنت أنا ساحرًا، فستكونين أنتِ الفتنة ».

ودون مقدمات تهاوى كل شيء، وتلاشى ذلك الشخص الوسيم المتشح بالسواد، لتجد نفسها في قلب العتمة مجددًا، ولكنها في هذه المرة كانت تحمل بين يديها

زهرة حمراء حقيقية ذات أوراق لامعة، سرعان ما تلاشت لتصير وشمًا صغيرًا على معصمها .

وهنا كانت مقاومتها قد انتهت، فصرخت في قوة بعد أن أنهك عقلها كل هذا العبث، وبكل ما أوتيت من قوة أطلقت وعيها ليصطدم بوعي من يصنع كل هذه الأوهام التفاعلية، وقالت

- «لتتوقف عن الحماقة والاستعراض، وأخبرني من أنت !».

وهنا دوى انفجار مكتوم محدود، قبل أن تنهار الموجودات من حولها مجددًا، لتجد نفسها بقلب السيارة، ولم تتحرك من مكانها قيد أنملة، ورأس ايناس منفجر كما هو بشكل بشع، وزوجها يلهث ويبكي ككلب عقور بعد أن فقد عقله، وسقف السيارة سليم .

وما دلها أن ما حدث لم يكن وهمًا صافيًا، أن السيارة كانت تقف على جانب طريق مظلم، وحولها افترشت

المكان عشرات من الجثث المختلفة ما بين جثث بشرية محترقة وممزقة، وجثث حيوانات وطيور وزواحف نافقة .

ما تم في هذا المكان كان مذبحة رهيبة، والشيء العجيب أنها لم تبال بها أو بنتائجها، بل والحق يقال أنها شعرت بنشوة كبيرة. وكأنما بداخلها وحشًا دمويًا، كشف عن نفسه عندما اشتم رائحة الدماء .

إنها تنتمي إلى هذه الأجواء.. تنتمي إليها بشدة !

لم يُخِفها المشهد، ولا من تسبب فيه؛ فهذا مشهد متكرر وبشدة في حياتها السابقة.. بل حيواتها السابقة. لقد حرك المشهد بأعماقها تلال الذكريات المطمورة لتحيط علما بكل شيء، بل إنها علمت على الفور من قام بالمذبحة .

إنه هو نفسه من يتوارى خلف شخصية الساحر. لم تكن بالطبع مايا رشدي أمها المزعومة كما اعتقدت في البداية؛ فعلى العكس لقد أشعل ذلك الشخص الغامض

حربا ضروسا ليحررها من بين يديها، بل وحيّد وعيها كي يظل مجهولا عنها. وبعد أن نشط ذاكرتها بالصدمات العقلية .

كانت حبيسة بداخل السيارة، مع جثة غارقة في الدماء، ومجنون لا يكف عن الأنين والهذيان، ولم تنتظر أكثر .

ركزت وعيها على باب السيارة فانفتح في عنف، لتخرج من السيارة وتقف وسط الجثث، وبحيرة الدماء الراكدة، وهي تحمل دميتها الصغيرة في يدها. أخر ما يربطها بالملجأ وبسماح، مثلها مثل القلادة التي منحتها إياها أمها البيولوجية.. إن حياتها تتحول مع الوقت لذكريات وتذكارات .

تأملت باب السيارة المنبعج بعين متسعة؛ لقد أدهشها أن قواها قد شحذت لهذه الدرجة غير المسبوقة، وكانت من قبل تحتاج لساعة كاملة من التركيز كي تحرك أحد الأكواب، وهي تشعر الآن بأنها قادرة على زحزحة الجبال نفسها .

وهنا تذبذب الهواء من حولها، وتشكلت في عقلها الفكرة. لم يكن بثًا تخاطريًا، بل كان تدفقًا عقليًا عجيبًا لا ينتهي بمصدر، لقد نبت البث العقلي من العدم، ثم تشكل على هيئة كلمات هادرة

- «اركعي أمام سيدك يا زهرة »

لم تكن فكرة ولا أمرًا، بل كانت وحيًا قاهرًا جعلها تركع في خضوع، وكأنها رغبتها بالفعل. وبلا مقاومة ذاب وعيها، وتفككت ذكرياتها كقطع البازل، ثم أخذت تترتب زمنيًا وبشكل موسوعي، وكأن عقلها تحول لعقل إلكتروني خارق، لتكتمل الصورة الشاملة أمام عينيها .

وساعتها قبضت على دميتها بقوة وابتسمت، وبعينين تحملان وعي الكون كله نظرت لرسغها، لتجد وشم الزهرة يتألق هناك .

وعندما بدأ ذلك الغامض يتجسد أمامها، أدركت أن مصيرها قد تحدد، وأن لديها مهمة على هذه الأرض،

وفي هذه الحياة عليها أن تتمها، وأنها طوال السنوات القادمة لن تتوقف عن اكتساب المعرفة. وأن مايا رشدي الأخبث من الشياطين هي عدوتها الوحيدة، وأنها الآن تقترب من مكانها، وعليها أن تذهب معها، بعد أن تبددت من عقلها كل الذكريات الأخيرة .

ابتسم لها الساحر وهو يتلاشى، ويعود لقلب العدم. رأت ابتسامته، ولم تر ملامحه، ما زال على حرصه الشديد، إنه لا يخطو خطوة عشوائية، أو غير مدروسة في هذه الحياة، والآن تدرك ياسمين التي صارت زهرة، أن حياتها كانت معقدة فيما سبق. ولكنها ستصبح من الآن أكثرًا تعقيدًا، وبكل خشوع وخضوع قالت

- «أنا خادمتك يا سيدي، وزهرتك لن يرويها إلا الدماء ».

وفي تلك اللحظة، ظهرت مايا رشدي أمام عينيها، وكأنما انشق عنها العدم، لتعدو زهرة نحوها صارخة والدموع تغرق وجهها

- «النجدة يا سيدتي! لقد قتلهم الوحش صاحب القبعة !».

وبكل رفق ولين حملتها مايا بين يديها قبل أن تقول

- «أنت آمنة الآن يا صغيرتي. لقد أتت أمك لتزود عنك ».

وبكل براءة نظرت لعينيها، وتركتها تقرأ عقلها الذي خلا من الذكريات الأخيرة التي جمعتها مع الساحر، وبعد أن انتهت قالت لها برقة ودلال الأطفال

- «اسمي زهرة، فما هو اسمك؟ ».

أجابتها بهدوء

- «ماما مايا ».

وبأعماق زهرة تشكلت ابتسامة ظافرة لم تصل لوجهها، وهي تنصت لمايا التي أخذت تدمدم بكلمات متواترة بلغة قديمة لم تكن غريبة على مسامعها، رغم أنها المرة الأولى التي تسمعها في هذه الحياة،

ليتجسدا معًا بردهة قصر منيف لم تر زهرة مثيله إلا في الأفلام، ليخرج عليهما خادم أنيق الملبس يشبه الخدم الإنجليز بحلته الصوفية الكلاسيكية، وشعره الفضي المصفف بعناية، ليحملها من بين يدي مايا، قبل أن تتوجه بالحديث إليه لتقول بصوت صارم

- «إنها مهمتك حتى أعود. لا تجعلها تغيب عن ناظريك، وكثِّف الحماية على القصر والسرداب؛ فلا أريد أي مفاجآت أو تشتيت »

هز رأسه في إيجاب ثم قال

- «تحت أمرك يا سيدتي »

وكما ظهرت مايا من العدم، عادت إليه .

وأدركت زهرة ببساطة أن مايا تستخدم دربًا معقدًا من السحر يمنع تتبعها. والذي شتت فكر زهرة عن ملامح مايا الجميلة، التي أورثتها خوفًا مجهولًا، هو ذلك القصر الملعون النابض بالحياة .

(9)

يقولون أن الحقيقة أشد وضوحًا من الشمس، ولكننا لا نراها، أو لا نرغب في أن نراها؛ لأنه مهما كانت قدراتنا الذهنية والجسدية فسيكون لدينا حد نتوقف عنده، ولن نرغب بعده في معرفة الحقيقة؛ لأنها وبكل بساطة ستشوهنا أو تبدلنا، وفي كلتا الحالتين لن نصير نحن، بل سنتغير ذلك التغير البشع الذي قد يقوض كل معتقداتنا، ويقيننا، وربما إيماننا أيضًا .

الحقيقة مهلكة، ومحرقة، لذا نختار الإنكار لنعيشه؛ فهو سهل التشكل، وتهضمه القلوب قبل العقول بشكل جيد .

وهذا كان ينطبق على ماي آر بشدة، فعندما حاولت التصدي للموجات فائقة القصر، وهي تقف على ذلك المسرح الأسطوري أمام الأعين المراقبة والحشود الهائلة، وشرعت في تنفيذ خطتها، هاجمتها الرؤى، بل للدقة اختطفتها، لتستولي على وعيها بالكامل، في سابقة مرعبة زلزلتها .

وساعتها أيقنت ماي آر أن الأمر تجاوز كونه مجرد رؤى عابرة، أو رسالة عقلية محدودة، بل كان انكشاف تام لإحدى حقائق الكون المذهلة، بل هو الحقيقة الوحيدة المجردة في الوجود .

فالتواصل كلي وشامل ومرهق .

كانت ترى بوسيلة مجهولة لها كليا ذلك الإله الذي كانت تنكره .

كانت تراه غاضبًا ثائرًا، ولا تعرف لماذا يحمل كل هذا الغضب، والكبت !.

وكيف يكون شيء هائل كلي القدرات مثله، ويظهر أمام عينيها بهذا العجز!؟ .

أدارت الأمر في رأسها الذي يكاد ينفجر من قوة التواصل، وهي تحاول أن تصل للهدف منه، وماهية الشعور المتناقض الذي يتدفق إلى عقلها .

فلا شيء بهذا الحجم، وهذه القوة اللانهائية، يمكن أن يكون هذا مصيره أو رد فعله، أو هيئته، أو شعوره .

لو كان للظلام والفراغ والهلاك، إرادة حرة، وسلطان قاهر، لكان هو .

إن عقلها الهجين المتفوق يستوعب وجوده ولا يستوعب حدوده، يستوعب قوته ولا يستوعب غضبه، يستوعب التواصل، ولا يقدر عليه .

لذا كانت تشعر بضغط عصبي رهيب ومدمر على عقلها وروحها، وبحالة من الدوار والضياع أمام هذا الوجود القاسي الغاضب .

كان من الممكن لها أن تستمر في تواصلها مع هذا الوجود العظيم، وأن تقترب من الحقيقة المخفاة لو حالفها الحظ، وهذا ما شرعت فيه رغم دقة موقفها وخطورة الأمر عليها وعلى سلامة عقلها، بمحاولة تشتيت كل المشاعر السلبية والمؤلمة التي تنتهكها،

ومحاولة النفاذ عبر الحجب التي تمنعها من الاقتراب أكثر .

وكادت تنجح مع عدم رفض ذلك الوجود العظيم لمحاولتها، لولا تلك الآليات الدقيقة المزروعة بعقلها، والتي شعرت بها تتوقف، قبل أن تعود لعملها بقوة، وتعمل على كبح التواصل بفاعلية، أخرجتها من دوامتها العقلية ساخطة. لتنتبه إلى مكانها وإلى التغيرات التي اعترت المسرح مع الخوض في المرحلة الثانية من المراسم. كانت منزعجة ولكنها كبحت ضيقها كي لا يظهر على وجهها، ودعت بأعماقها ألا يكون أحد قد لاحظ شرودها .

مسحت ببصرها المسرح، واستعادت أذنيها صخب الموسيقى، قبل أن يسود الصمت بشكل كامل؛ استعدادا لما سيقدمه منظم الاحتفال العبقري، لسلب عقول المشاهدين عبر المجرة .

وأمام عينيها الذاهلتين، انقلب المسرح بشكل كامل .

فمن قلب العدم انبثقت عشرات الشهب المشعة لتخترق ظلامًا صناعيًا حالكًا ممتدًا وملتحمًا مع الظلام الطبيعي في مشهد خلاب .

وأسفل منها استحال المكان إلى شعلة من الأضواء، بقلبه تجسدت عشرات من السحب البيضاء كالقطن، والتي كانت تسبح في فضاء المكان في انسيابية، لتتلاقى في تناغم لتكون شكل الطوطم المميز .

لتخفت بعدها الموسيقى تدريجيًا، ويختفي معها ضجيج الحشود، التي كانت تتابع المراسم في خشوع، قبل أن تنشق الأرض عن خمسة من الأسطوانات المعدنية المصمتة. لينتشر الهمس المنبهر عن حضور الكهنة، لغز الألغاز في هذه الدورة من الحياة .

فعبر آلاف السنين لم يغادر الكهنة معزلهم قط، ولم يرهم أحد، ولم يحكِ أحد ولو على سبيل المبالغة أن هناك من التقى بهم، أو وصفهم، أو تنبأ حتى بشكلهم، وربما سيستمر الأمر إلى الأبد. سيظلون بداخل اسطواناتهم المعدنية اللامعة يتواصلون عقليا مع

المريدين، وينشرون عقيدة الطوطم والأجداد، محذرين من عودة الشر الغاشم العظيم، والذي لن يقود إلا لهلاك أعظم .

كان ظهورهم سنويا من المعجزات الصغيرة التي لم تنقطع، والتي يجلها العامة والمريدين .

أما المعجزات الكبرى فكان وجودهم أحياءً طوال تلك السنوات الممتدة إلى ميلاد الكون، وقدرتهم العظيمة على شفاء الأمراض عبر الضوء المقدس، وتحديد نوع الجنين قبل التقاء الأبوين، وإعادة الحياة للأرض الجدباء، ومرة واحدة فقط التي أحيوا فيها الموتى في زمن سحيق، وربما كانت مجرد أسطورة، ولكن لا شيء يمنع من حدوثها لو أرادوا، أو هذا ما يؤمن به أتباعهم عبر الكون .

ظهور الكهنة ألهب حماس الحشود، فرددوا جميعًا ترنيمة أبناء الطوطم، وظلت ماي آر تتابع ما يحدث في قلق؛ إن قلبها يحدثها أن هناك شيئًا خاطئًا حدث أو سيحدث .

حاستها المتفوقة تخبرها أن الأمور لن تمضي على خير .

ومع دوي المقطع الأخير من الترنيمة، ساد الصمت، ومعه أخذت القلوب تنبض بداخل الكائنات التي لديها قلوب، وانقبضت الأوعية الدموية البديلة في أعماق الكائنات التي لا تحتوي أعضاؤها الداخلية على قلوب، وتطلعت الأعين للسماء، لرؤية المشهد الذي لم يتبدل مرة واحدة، برغم تبدل طقوس الاحتفال كل عام، والذي له من الهيبة والوقع، ما يجعل مجرد حضوره ذكرى لا تنسى .

ومن فوق أعلى قمة في سلسلة الجبال القريبة والتي تطل على المكان، دوى القصف الرهيب الذي يشبه صوت الرعد المميز، وتبعه ضياء مبهر كلمعان البرق في سماء صافية، قبل أن تنشق قمة الجبل في مشهد مبهر، ليظهر الطوطم الأصلي لامعًا مشعًا، بجناحيه العظيمين، وعينيه المشعتين، وقوائمه المعدنية اللامعة ليطل على الحضور، وقد اشتعل على يمينه جحيم من الحمم، وعلى يساره جنة من الأشجار والشلالات

المتدفقة، في إشارة مباشرة وواضحة لأن الطوطم هو بوابة النعيم والجحيم .

ثم ظهرت الطيور .

سوداء ذات أجنحة فضية لامعة بلا ريش، لها مناقير حادة وعيون مشعة مفزعة.. طارت فوق الحشود وهي تُلقي خلفها كراتًا لامعة تتفجر في السماء بألوان بديعة، وتشكيلات رائعة، جعلت الشهقات تنطلق من الصدور، والصرخات تتمازج في نشيد حماسي .

قبل أن تندمج الطيور معًا بشكل مذهل لتكوّن كتلة سوداء معتمة جعلت الأنفاس تحتبس في الصدور والخلايا التنفسية للعديد من المخلوقات، لتنفجر في قوة كما حدث ذات يوم مع مادة الكون المظلمة لحظة الانفجار الكبير الأول والانفجارات التالية، وربما يحدث مع الانفجار الكبير السابع القادم الذي سيعني نهاية هذه المرحلة من حياة الكون .

ليتولد عنها مشهد مبهر لخريطة كونية عظمى تمددت تحت قوائم الطوطم، في رسالة أخرى ذات معنى ومغزى، وصلا للجميع دون إبطاء .

كانت عبقرية رابيد ران، مهندس المعبد الأكبر، تتجسد في عرض هذا العام؛ فالعرض الذي قام بتصميمه هذا العام مختلفًا، مذهلًا، وأخاذًا.. لابد وأن الحديث عنه لن يتوقف حتى العام القادم لو كان هناك عام قادم، وسيكون تحديًا له ليصنع شيئًا أفضل أو مماثلًا .

وبعد مشاهدة الانفجار الكبير وما نتج عنه، وانفجار حماسة المشاهدين، تألق الطوطم الأعظم في قوة فوق قمة الجبل، وأضاء كما لم يضئ من قبل، حتى استحال المكان لنهار، ليبدأ الجزء المنتظر من الحفل .

وفي تنسيق مذهل، وتوقيت محسوب، وعلى نغمات الموسيقى الساحرة، بدأت أرضية المسرح تنشق لتبتلع في تتابع ونعومة الفتيات الخمس المحيطين بماي آر، لترتفع منصتها في الهواء وكأنه لا تأثير للجاذبية عليها، أو تتم بنوع من السحر العظيم، لتتألق في قوة،

فيسقط عليها ضوء الطوطم الذي استحال مركزًا، وذهبيًا .

لتصرخ الجماهير في قوة مع استجابة الطوطم لدعائهم ورغبتهم في فوز ماي آر، وينطلقوا على الفور في غناء النشيد «لأنك ابنة الطوطم ».

وكانت اللحظة الفارقة .

وأدركت ماي آر أن عليها أن تنزع ثيابها أمام الجميع؛ لأنها ستصبح محرمة على الجميع، لتغتسل في ضوء الطوطم وروحه، لتولد من جديد، بعدما طهرها ونقاها من خطاياها وآثامها. وهي اللحظة التي ألهبت عقول الجميع وأشعلت حماستهم، وحركت رغباتهم المكنونة باختلاف أجناسهم .

فجميلة الجميلات ستكون أمامهم عارية بكامل فتنتها، خلال ثوان معدودة، وحتى لو أعتمت كل العقول، وأغمضت كل العيون؛ فالرغبات في أعماقها، حية ومستعرة .

كانت الحشود في عالم، بينما كانت ماي آر في عالم آخر؛ لم يكن الأمر يقلقها برغم تقززها منه، ورفضها لهذا الطقس الهمجي المهين، بظهورها عارية أمام كل هذه الحشود والمتابعين عبر البث الكوني الخارق، ولكنها تدربت جيدًا، على تخطى هذه الخطوة الحتمية .

وما أن انتهى الغناء وبدأت مراسم التتويج، حتى كشفت ماي آر عن جسدها الأسطوري، وشهق الجميع، وربما شهق الطوطم نفسه، والكهنة في أسطواناتاهم المعدنية اللامعة .

في حين تحركت ماي آر بجسدها المشدود المفعم بالأنوثة، عبر المسرح لتكمل مسرحية النهاية .

كانت الأفكار تمزقها من الداخل، لو كان القرار بيدها الآن لقتلت نفسها دون لحظة تردد أو تأخير، ولكنها كانت تشعر بأعماقها بأن الأمور تُسّيرها قوة علوية لا راد لها، قوة تفوق ذلك الوجود الأعظم الذي داهمها بالرؤى، وهنا تذكرت كلمات والدها الحكيمة

- «قمة الإرادة هي الاستسلام التام لمصيرك المحتوم؛ فلا شيء قادر على تبديله مهما كانت قوته ».

لذا فانها مسحت ببصرها المكان، قبل أن ترفع رأسها في اعتداد، وعلى منصة ذهبية جديدة، وقفت ماي آر عارية في مشهد مهيب، لتخرج من أسفل المنصة خيوط ضوئية لامعة أخذت تحيط بجسدها المفعم بالأنوثة، لتخفي عن الحشود الصاخبة نبع الفتنة المجسدة .

ومن قلب العدم تجسد تاج فيروزي متوهج كلل رأسها معلنا انتهاء المراسم وربما الوجود ذاته لو صدق حدس ماي آر، صحبه صوت قرع طبول هائلة تشبه تلك القرعات التي يقوم بها مؤدوا فن التيكو الآسيوي هذه الأيام، لتدق معها القلوب في قوة .

كان العرض ملحميًا، ومبهرًا، وصاخبًا، وكانت الجماهير في حالة من النشوة الطبيعية والصناعية جعلت المكان يموج بكل المشاعر الإيجابية الممكنة .



فمن مكان الانفجار، شاهد الجميع تألق بوابة ضوئية متوسطة الحجم سرعان ما خبت، بعد أن عبرها أحد المقنعين على بساط طائر، ليتبعه تسعة من المقنعين المدرعين والمسلحين، ممتطين بُسطًا معدنية نفاثة مماثلة، ويتحركون بها في خفة ومهارة، متجاوزين مئات الأمتار، لينقضوا على المسرح في سرعة مذهلة رصدتها أعين الحراس المتحفزة .

وبعد لحظات ومع تلاشي أثر المفاجأة، ميزت الحشود الأزياء ذات الشعار المخيف، فشاع الاضطراب في المكان، وكان من الواضح أن جماعة أبناء الرب الإرهابية قد بلغت من القوة والتهور القيام بإحدى عملياتها تحت مرأى ومسمع من الكون كله، ولا يخفى على أحد بالطبع رغبتهم الدنيئة لإفساد المراسم المقدسة. وعندما لمحتهم ماي آر صرخت في رعب

- «لا يا أبي! لا تفعلها !».

وكان من الواضح أن الأمور تتجه إلى الهاوية، فما يقوم به أبوها حتى لو نجح فيه، لا مصير له إلا الموت



منعت أي من المتواجدين من المغادرة، ليظلل الموت المكان بجناحيه !

(10)

لم تكن إصابات رنا الجسدية جسيمة إلى تلك الدرجة التي تمنع عنها الزيارة، ووجود ذويها بجوارها، أو تركها في غيبوبة صناعية تحت تأثير ذلك المخدر القوي الممنوع تداوله، لتلك المدة الطويلة غير المبررة .

فما أصابها من الحادث برغم عنفه، وتهشم السيارة، واختراقها لزجاجها الأمامي قبل احتراقها، لم يتجاوز كونه بعض السحجات والكدمات في أجزاء متفرقة من جسدها، وشرخ بسيط في المعصم، وكسر في أحد أضلاعها، وكأن في الأمر نفسه معجزة ما .

وكان من الجلي أن هناك من تدخل لحجزها بهذا المكان، ونقلها إلى غرفة العناية المركزة الفائقة التجهيز في ذلك المستشفى الاستثماري الكبير، وحرص على إبقائها مخدرة، وبمعزل عن الجميع .

وكانت هي في غيبوبتها الصناعية، تتفاعل مع الأمر كحلم طويل بطيء لا تفسير له .

وعندما كانت تقل نسبة المخدر في دمائها، بعد قيام أجهزة الجسم بالتخلص من بقاياه، كان وعيها يرتد إليها بطريقة مطاطة، فتفيق من سباتها على فترات متباعدة، شاعرة بصداع عنيف، وألم ممض في أحشائها، لتبحث عن زوجها هشام وذراعيه القويين، ورائحته المطمئنة، لتتذكر أنه لم يعد زوجها، ولم يعد هنا من أجلها، وذراعاه الآن تحتضنان امرأة أخرى غيرها، وشفتاه تسمعانها نفس كلمات الحب التي طالما أقسم لها أنه لم يشعر بها إلا معها .

لقد أهانها بزواجه السريع، وانتقم لنفسه أخيرًا بعد أن تخلت عنه في محنته؛ فهي تدرك أنه مهما توفر لها من بديل، فهي لن تحن لذراعي رجل آخر.. هشام هو قدرها الوحيد مهما فرقت بينهما المسافة، أو الزمن، أو التفكير، وأول وآخر رجل ستحمل اسمه، وتلمس جسده، وتتمتع بقربه .

لقد تربت على أن المرأة لرجل واحد، تكشف روحها وأسرارها وجسدها أمامه، لا خيارات أخرى بعده إلا القبر والموت .

وهذا أقرب للحكم بالضياع، على تلك المرأة التي تتشبث بهذا الخيار؛ لأنها لن تقبل بالبديل، ولن يعود لها من رحل .

كانت شخصية رنا معقدة بما يكفي ناهيك عن كونها امرأة؛ فبرغم ادعائها التحرر، وملابسها الأقرب للرجال، وممارستها عادة التدخين، والسباب، وجرأتها الشديدة في طرح القضايا سواء على صفحات جريدتها، أو في واقعها المزدحم، وأرائها العنيفة في مواضيع الأديان والنصوص المقدسة، إلا أن المرأة التقليدية الدفينة التي زرعتها أمها بأعماقها، ما زالت تسيطر عليها وعلى مشاعرها .

كما أنها تؤمن أن المرأة التي تدمن رجلًا بذاته، لن يعوضها عنه كل رجال العالم، ولن يمسها غيره .

كانت متورطة في عشق طليقها، ولم تكن ترغب في الفكاك من هذه المصيدة؛ لأنه حتى ولو كان مجرد ذكرى، فهو موجود بقلبها ويهون عنها الكثير. فقط

ليكن بجوارها الآن، وبعدها ليعود لمنفاه، ولتلك المجرمة التي تزوجها .

إنها وحيدة لدرجة مؤلمة، والأحلام لا تتحقق لمجرد كوننا نعاني .

هاجمها الدوار، واستعرت النار بأحشائها، وانتشرت منها إلى كل مكان من جسدها دون رحمة، فشهقت في قوة، وفتحت عينيها المغلقتين كقبر، ليصفعهما الضوء، فعادت لتغلقهما مجددًا، ونفس الحالة من فقدان التركيز تلتهم وعيها، حتى أنها ظنت أن مرحلة الهلاوس قد حان وقتها .

فعندما استيقظت هذه المرة، طفت على سطح عقلها ذكرى مختلفة أو حلمًا قريبًا، لرجل آخر غير زوجها، رجل كانت تقبله في شهوة، وتراقصه عارية، وهو يخضب جسدها بالدماء .

أفزعها المشهد الوحشي، والأكثر أنها تبادل رجلًا آخر الغرام؛ فحتى في الأحلام لا يجب أن يكون هناك غير

هشام !.

هشام !.

يا ليتها لم تقابله من الأساس كي لا تسجن في زنزانة عشقه !.

أحيانًا كانت تفكر أن نصف ساعة فقط، لو تأخرتها عن لقاءات كثيرة حدثت معها، عن عمد أو صدفة، لتبدل الكثير في حياتها .

دائمًا ما يكون الوقت المناسب الوحيد لها، هو الوقت الذي يتسبب في خسارتها، أو جرحها، أو كسرها، أو استفزازها، أو نزيف دموعها، أو ارتكابها لخطأ لا يمكن تبريره تندم عليه في نهاية الأمر .

الرجل الذي تذكرته في الذكرى التالية، كان (أمير نافع)، زميلها الصحفي في نفس الجريدة.. حاولت أن تتذكر أكثر سبب اقتحامه لعقلها وذكرياتها بتلك الصورة الدموية، قبل أن تنفجر في رأسها شلالات من الذكريات القريبة والمزعجة، لتصدمها الحقيقة المرة !.

فلم يكن أمير هو من اقتحم حياتها؛ بل كانت هي من اقتحمت حياته، وتتبعته وراقبته لفترة غير قصيرة وعن قرب، وكأنها محقق محترف، أو فتاة مخابرات شديدة المراس .

هي فقط تحتاج لتعرف لماذا كانت تراقبه .

ولماذا لا تربط بينهما إلا تلك المشاهد الدموية!؟

ثم سطعت الإجابة في عقلها مع الغثيان !.

الظل !.

كان ظهور الظل في تلك الليلة بداخل غرفة نومها صاعقًا ومزلزلًا على روحها الكسيرة التي كانت غارقة في همومها الشخصية .

فمن قلب العدم تشكلت بوابة ضوئية متذبذبة، غادرها ذلك الظل العجيب الذي يشبه سلويتًا مهتزًا لرجل يرتدي قبعة، ويحمل في يده عصا .

كان شفافًا كزجاج أسود، متذبذب كتيار كهربي غير مستقر، هيئته تتبدل، فيتخذ أحيانًا سمتًا بشريًا، وأحيانًا سمتًا شبحيًا، وأحيانًا يستحيل لدخان كثيف.. ربما شاهدت مثله في بعض أفلام الرعب أو الخيال العلمي التي لا تهضمها، وتتابعها أحيانًا بلا شغف، دون أن تتخيل يومًا أن تصطدم بشيء مماثل يشبه تلك العوالم .

الحياة في مصر وفي هذا الزمن الصعب، لا تقبل ترف الخيال أو تلك الأخطار المماثلة التي تهددنا عبر عالم آخر. ونعتبر هذا النوع من الخطر فجاجة، ووقاحة، لا يمكن أن نتقبلها، ومكانه الوحيد المقبول على الشاشة لا أكثر .

السؤال هنا: لماذا غادر الشاشة ليتشكل في عالمها، هكذا دون مقدمات!؟؟ .

تأملته بفزع، بهيئته شبه البشرية، قبل أن يفقد تماسكه ليتحول إلى دخان باهت، انقض عليها مهاجمًا، لينساب بسرعة مذهلة عبر مسماتها، ليصيبها بذبذبة صاعقة،

جعلت روحها تنتفض داخل جسدها. وكأن هناك سربًا غاضبًا من النمل يسري بدمائها، وينهش فيها من الداخل .

ليبدأ بعدها مباشرة في بسط سيطرته على عقلها، فيتشكل بداخل مخها على هيئة بشرية لها ملامح مخيفة هزتها من أعماقها، ليتسع وعيها ويتمدد، قبل أن يتحول لكتاب مفتوح أمام ذلك الغازي المقتحم، لتصبح بالكامل تحت سيطرته .

ومع مرور الوقت، والاندماج التام بينهما، أدركت أن ما تمر به نوع مخيف من الاستحواذ .

وبرغم رفضها له، إلا أنها التحمت معه وتفاعلت بقوة، فتحول جسدها لكون فسيح يسكنه وعي هذا الظل البشع، الذي انطلق يرتع في أنحائه دون هوادة، ليتغذى على ذكرياتها، وأفكارها، ويعبث بثوابتها، ومعتقداتها، دون أن تشعر بأي نفور من ناحيته .

ومع تمكن الظل الكامل منها، وفتور مقاومتها، بدأت تشعر أن روحها تتحرر من جسدها، ووعيها يتجول عبر الزمان والمكان .

لترصد أحداثًا عجيبة، متداخلة مع شريط حياتها الذي كان يمر أمامها ببطء شديد، مذكرًا إياها بأشياء نسيتها، وأشياء تمنت لو لم تمر بها، وأشياء جميلة لم تذكر أنها مرت بها. وفترات ظلام دامس وبرودة أخافتها، وسربت إليها قلقًا مبهمًا. وكان السؤال الذي وترها وأثار فضولها :

- «كم حياة عاشتها بالفعل؟ ».

ولم ينهي معاناتها إلا تصاعد الذبذبة اللاهبة في أنحاء جسدها، ليغادرها الظل، قبل أن ينفصل جزء منه على هيئة دودة عملاقة شفافة لها نفس هيئته الزجاجية المعتمة، انقضت عليها وتسللت إلى أعماقها عبر حلقها، لتستقر في النهاية في معدتها، لتشعر بثقل رهيب، مما جعلها تحاول أن تتقيئه دون فائدة، ليزداد اشمئزازها من نفسها .

وخلال ساعات معدودة فقد جسدها دهونه وندوبه، واستعادت بشرتها وشعرها رونقهما كما لو عادت طفلة، أو أن هناك من أعاد إحياء خلايا جسدها، وعادت هي لتشعر بالوجود من حولها ينفصل عن الماضي، وبأن لجسدها أخيرًا حدود وأبعاد .

الآن تدرك علاقتها الكاملة بأمير

الآن تدرك أن تعلقها بهشام كان حماقة منها، وأن من تسجن نفسها بين أسوار رجل واحد فارقها ليتزوج غيرها، مهما كان السبب، هي فتاة حمقاء .

لقد أشعرها قربها من أمير أنها لم تقابل رجالًا من قبل؛ فمع أمير عاشت الجنون، واللهفة والرغبة، ومارست الجنس كما لم تمارسه من قبل؛ لقد كانت تعيش مع هشام الحب الضعيف الروتيني، لقد شوهتها أمها تمامًا .

إن ما يربطها بأمير، شيء أكبر من الحب والرغبة، والدم

شيء خارق

شيء ساحر ..

وهناك من يحاول أن يُضعِف هذه الرابطة

وهنا شعرت بالإبرة تخترق ذراعها، وبالسائل البارد يسيل في عروقها. لقد صارت أكثر حساسية لرصد كل تحول أو تغير يحدث في جسدها. ولو تبدل صوت خفقان قلبها لعلمت عنه ببساطة .

كان موعد تلك الحقنة المخدرة دقيقا جدًا، وجعلها تتأكد من أن هناك من يحرص على تخديرها بشكل دوري لغرض ما .

وقبل أن تغادر إلى عوالم الغيبوبة الثقيلة، ومع شعورها بتلك اليد التي كانت تهزها لتوقظها، تساءلت بينها وبين نفسها، عن الغرض من كل ما يحدث لها، وما يحدث من حولها، وعن سر خوفها من أمير .

والأكثر عن يده التي عادت تهزها بعنف لتوقظها .

هي لن تتوه عن رائحة أنفاسه، أو رائحة عرقه المختلط بمزيل العرق الشهير، ولكنها هذه المرة تدرك أنه أتى خصيصًا من أجل أن يُلحِقها بزملائها من الصحفيين القتلى .

لقد قرأت عقله

فما الذي جعله ينقلب عليها!؟ .

هل سيخونها كهشام؟ .

(11)

«هناك شيء همجي بدائي في تنفيذ هذه الجرائم يجعلها مخيفة بشكل لا يحتمل ».

هذا ما دار في عقل أمير نافع عندما هم بمغادرة مقهى الإنترنت الذي ذهب إليه بعد لقائه برنا في المستشفى، وبرغم ذلك لم تثر هذه الهمجية حفيظته، ولم يزعجه كل هذا الدم المهدر .

بل أزعجه كم الغموض المحيط به .

إنه واقع في حيرة شديدة، وعقله مشوش بشكل مريب .

لماذا تغلغلت رنا في حياته إلى هذه الدرجة!؟ ومن أين تنبع كل هذه المشاعر التي يحملها إليها!؟ .

ولماذا كل ذكرياتهما بهذه الوحشية!؟ .

ومن هي ندى؟؟ .

ومن هذا الشاب الذي مزقته إربًا، ورقصت لأول مرة بين أشلائه ودمائه؟؟ .

متى التقيا؟ ومتى ابتعدا؟ ومتى أصيبت بذلك الحادث المريب؟

هذا الحادث بالذات كان يثير حفيظته، بعد أن أيقظ بأعماقه شيئًا غامضًا.. شيئًا يربطه برنا. ويتخطى الرؤى الدموية المجهولة، وذلك البريد الإلكتروني المريب.. شيئًا كشفت عنه زيارته الأخيرة لها في المستشفى.. شيئًا أخبره أن هذه الزيارة، بكل ما اعتراها من غموض وتشوش، لها هدف لم يدركه بعد .

إنه ليس أمير الذي دخل المستشفى؛ فالذي خرج منها شخص آخر مخيف، شخص لا يفارقه الغثيان، ولا الأفكار الدموية الشهوانية.. شخص على يقين أن هناك من يسكنه، وكأنما استحوذ عليه كيان آخر .

إنه أحمق؛ كان عليه أن يعرض نفسه على طبيب متخصص ويجري بعض الفحوصات، عندما تبدل شكل

جسده، وتسربت إليه القوة .

هناك شيء خارق في كل ما يمر به .

شيء يحتاج منه لبذل المزيد من الجهد ليفهمه .

غرق في تفكير عميق، كان يبحث عن قطعة البازل الناقصة. استعاد كل الأحداث والمواقف التي مرت به، حاول أن يربط بينها، قاوم الغثيان الذي كان من الواضح أنه يزداد حدة كلما أجهد ذهنه، لتقفز في عقله دون مقدمات، المعلومة الغائبة دون تفاصيل .

«إنه لم يلتقِ المندوب !».

وبالتالي لم يكلفه أحد بعد بأي عمل مقابل الأموال التي تسلمها، لذا فلا دخل له بهذه الجرائم الوحشية، بل تم وضعه بقلب سيناريو محكم ليتم إلصاقها به، بعد العبث بجسده والذي لا يدري متى تم .

يعصف به الغثيان، فتسطع في رأسه ذكريات سريعة عن المندوب، وشخص رمادي الشعر مفتول العضلات،

ووجه معدني، مما يزيد من توتره .

يتذكر ذوي العضلات المفتولة، والتهامه لكبد أسعد، فيرتجف جسده !.

يتذكر ابنة أسعد والطريقة البشعة التي قضت نحبها بها، فيرتج كيانه !.

هناك شيء في أعماقه يحاول أن يقنعه، بأن يتخلى عن الفكرة الساذجة بأنه بريء .

إنه الشرير في هذه القصة .

يقاوم التشويش الذي يجاهد للإحاطة بعقله، وذلك الغثيان الذي بدأ يشك في كونه طبيعيًا .

ليبدأ من نقطة الصفر

ليزيح من رأسه كل الأشياء غير المنطقية، ويبدأ في تنظيم كل ما هو منطقي، لعل كل هذا يساعد في وضع قدميه على أرض صلبة، قبل لقائه الثاني برنا، التي

أصبحت محور حياته الآن دون أن يملك سببًا مقنعًا لهذا .

في البداية أدرك أن هناك مشكلة في التوقيت؛ إن تاريخ اليوم الذي تسلم فيه المظروف محفور في عقله. ولكن ذاكرته، وتقويم هاتفه، ورزنامة اليوم المعلقة على حائط المقهى، يخبرانه بأنه مضى على هذا التاريخ شهران كاملان! فأين ذهب باقي الوقت!؟؟ .

والدة رنا تخبره أنها في المستشفى إثر حادث مروع، ومضى عليها عدة أسابيع، بينما هو يعتقد أنها حادثته قبل يوم واحد فقط، فأين الحقيقة!؟؟ .

الذكريات لا تسمح له إلا بإطار زمني لا يتجاوز الأسبوع، وفي هذا الأسبوع كمية لا تعقل من الأحداث والتفاصيل، التي برغم كثافتها لا تقود لشيء.. كما أنها تبدو غير منطقية أو خارقة للطبيعة، أو أقرب لهلاوس عقل سفاح دموي مجنون .

الجهل يعميه ويفزعه، وكل شيء حوله الآن مفعم بتلك الرائحة الخبيثة.. رائحة الموت !.

ما زال عقله يحجب عنه التفاصيل المهمة.. إنه يتخبط في طريق مظلم متشعب، مع علمه التام بأنه عبر هذا الطريق من قبل، وشاهد كامل تفاصيله .

وبكل ما يعتمل بداخله من يأس، غادر المقهى مسرعًا وكأن هناك من يطارده، ولم يقطع سوى عدة خطوات خارج المكان، عندما شعر بذلك الثقل الذي في معدته يزداد معدله في اطراد، وكأن هناك من ينفخ بالونًا عملاقًا في معدته .

ليتحول الثقل خلال ثوان، إلى مغص شديد، ليستحيل بعدها إلى ألم لا يطاق، جعله يسقط على الأرض صارخًا، وهو يتلوى كمن أصيب بنوبة صرع عنيفة، وهو يستمع في عقله إلى تعاويذ أو ترانيم همجية ثقيلة، بلغة عجيبة لا تمت للحضارة بصلة .

وهذه المرة صرخ بعنف؛ ليطرد الأصوات التي كانت تدوي في رأسه كالطبول، دون أن يتمكن من كبحها أو منعها عن إذابة عقله .

وبشهامة المصريين المعتادة، التف حوله بعض المارة لمساعدته، وقبل أن يقوم أي منهم برد فعل ايجابي، ووسط صرخات أمير وحشرجاته المثيرة للشفقة، ظهرت سيارة إسعاف حديثة من قلب العدم، وكأنها كانت تنتظر حدوث الأمر . وهبط منها أربعة من الممرضين الأشداء، باديي النظافة بردائهم المميز. تتوارى ملامحهم خلف كمامات طبية سميكة. وبطريقة احترافية، حملوه على محفة معدنية خاصة مدعمة بأربطة قوية، وثبتوه إليها بمهارة وحرص. ليدفعوا به نحو عربة الإسعاف، التي انطلقت على الفور، وقطعت عدة مئات من الأمتار، قبل أن تعود به لنفس المستشفى التي غادرها منذ وقت قصير .

وعبر باب خلفي يقف عليه حارسان مدججان بأسلحة نصف آلية، حمله الممرضون إلى غرفة عمليات مجهزة، وهو يتمزق من الألم، وقد وقر في قلبه أنه قد تم

تسميمه بطريقة ما، وأنه في طريقه للاحتضار، وإن ظلت عيناه المحتقنتان من الألم، تتابعان مراحل نقله من الشارع إلى المستشفى، وأضواء غرفة العمليات الباردة التي أدخلوه فيها، والأطباء الذين حاصروه حول صالة العمليات التي ثبت إليها بقيود عريضة وسميكة وقوية أعجزته عن الحركة .

ومع توقف تلك الترانيم ذات اللغة المجهولة فور دخوله غرفة العمليات، شعر بعجز تام حتى عن الصراخ، فبكى هلعا .

وعندما حقنه أحدهم بسائل شفاف يميل إلى الاصفرار، شعر بعمود من نار يخترق معدته، قبل أن تتمدد النيران لتلهب كل خلية من جسده، ليُغرق العرق وجهه وجسده .

ومع الألم العنيف الذي تضاعف مع كل ثانية تمر، تحول صمته العاجز إلى انتفاضات قوية، وتوسلات بالنظرات، وتشنجات عنيفة لم تنقطع لحظة واحدة، ولم يأبه بها الأطباء، الذين أحاطوا به في صمت، وهم

يتابعون طاقم التمريض، وهو يعد لهم تلك الأدوات الجراحية التي تشبه مزيجًا من أدوات نجار وجزار معًا
.

وما لم يره أمير في خضم عاصفة الألم التي اجتاحته، وتتابع الأحداث السريع، هو بشرته والتحول المخيف الذي اعتراها بعد حقنه بذلك العقار المائل للاصفرار؛ فبدون مقدمات، وخلال ثوان معدودة، تحول جسده بالكامل إلى اللون الأزرق الصريح، بدايةً من معدته التي كانت تنبض بعنف وكأن بداخلها كائنًا مجهولًا يحاول النفاذ من خلالها، إلى قمة رأسه التي اصطبغت بنفس اللون، وحتى قدميه اللتين صارتا بلون اللازورد المميز .

فبدا وكأنه تحول إلى أحد مخلوقات فيلم (أفاتار)، قبل أن يصير لونه داكنا، كـ(بول كارسون) الشهير بالرجل الأزرق، والذي عانى من ظاهرة التفضض، لتنقبض عضلات جسده وتتمدد وكأنها في سبيلها للانفجار، أو التضخم كالرجل الأخضر، حتى أنه كان

يتمنى الموت في تلك اللحظة ليتخلص من الألم، دون أن يجد وسيلة سريعة ليحظى به تُخلِّصه من معاناته .

ليعود نفس الشخص الذي حقنه بالسائل المائر للاصفرار، حاملًا محقنًا آخر يحتوي سائلًا شفافًا يميل هذه المرة إلى الاحمرار، وهذه المرة لم يحقنه به في ذراعه، بل طعنه بالمحقن في معدته مباشرة بكل قوته، ليندفع السائل الشفاف إلى أحشائه .

لم يكن أمير يعلم حقيقة ما حقن به، لكنه كان يعلم أنه يزيد من معاناته .

وأما عن رد فعله التالي، فقد أدهشه هو شخصيًا .

ففور حقنه بالعقار الأحمر، شعر بصحوة عقلية عظيمة، مع تلاشي الألم بشكل فوري، وعاد له الإحساس السابق بأن بأعماقه شخصين، ولكنهما هذه المرة على اتفاق تام، وهذان الشخصان غاضبان إلى أقصى مدى. لذا فإنه ترك للشخص الثاني مهمة إظهار هذا الغضب.

وأخذ أمير يشاهد نفسه من الداخل، وكأنما يتابع فيلمًا سينمائيًا ممتعًا .

عشر ثوان فقط كانت هي المدة الفاصلة بين تمزيقه لقيوده القوية، وكأنها مصنوعة من نوع رديء من الورق، وبين تمزيقه للأطباء الثلاثة والممرضتين الشابتين، اللتين تواجدتا معهم في غرفة العمليات .

عشر ثوان.. كانت الفرق بين العجز والقوة المطلقة .

وهذا ما مر في عقل أمير وهو يشاهد الطبيب الأول ورأسه تتهشم من لكمة ساحقة من قبضته. وهنا أدرك متأخرًا ما تجاهله، أو حجب عنه؛ أن جسده لم يتغير وتنمو عضلاته فقط، بل اكتسب معها قوة، تشبه قوة الأبطال الخارقين .

الضربة الثانية كانت مروعة؛ فقد اخترقت صدر تلك الممرضة الشابة الممتلئة، لتخرج قابضةً على قلبها، والدماء تغرق صدرها بينما عيناها متسعتان من الدهشة والألم. وقبل أن تسقط الممرضة أرضًا، لحقت

بها صديقتها النحيلة، والتي حملها أمير ورفعها لأعلى، قبل أن يهوي بها على ركبته مهشمًا عمودها الفقري .

وعندما سقطت الممرضة الأولى، كان قد لحق بها الطبيب الثاني بأطراف ممزقة، وفي اللحظة التي حاول فيها الطبيب الأخير المتبقي على قيد الحياة الهرب، فوجئ بأمير يقبض على رأسه من الخلف، ويديرها في قوة منتزعها من قاعدتها، ليطوح بها على طول ذراعه إلى نهاية الغرفة .

وعلى الرغم من أن أمير لم يمتلك زمام الأمر من البداية، وترك دفة المعركة للشخصية الثانية التي سكنته مؤخرًا، إلا أن شعوره بالنشوة كان مضاعفًا؛ فالأمر يصبح أكثر غموضًا، وإثارة، كما أنه يصب في مصلحته في النهاية؛ فمع هذه القوة الرهيبة التي امتلكها، لن يستطيع أحد ردعه أو إيقافه على سطح هذا الكوكب .

وما أدهش أمير حقًا، هو البساطة التي تتمزق بها الأجساد البشرية بين يديه. وللحظات وقف يتأمل

غرفة العمليات التي أصبحت مقبرة جماعية، ليستقبل عقله دفقة هائلة من الذكريات جعلته يبتسم، وهو يتذكر كل صحفي قام بقتله، وتلك الطقوس التي قام بها قبل وبعد وأثناء إجهازه على ضحاياه. ورنا التي رافقته في كل مراحلها، وابتسامتها العريضة، وهي تراقصه وسط دماء ذلك الوغد الذي اغتصب ندى .

وبرغم يقينه من كونه تحول لسفاح، إلا أن الخوف لم يعرف طريقه إلى قلبه لحظة واحدة؛ لقد مات قلبه بعد أن أدرك مهمته، وعندما تحرك ذلك المخلوق في أحشائه، شد جسده في قوة وهو يقول

- «لقد حان الوقت !».

ثم خرج من غرفة العمليات، وتوجه إلى الغرفة التي تم حجز رنا بداخلها، وعبر بين الحراس والأطباء دون أن يوقفه أو يلتفت إليه أحد؛ لقد صارت قدرته العقلية على صناعة الأوهام حادة لدرجة حجبه عن كل أعدائه

.

فتح باب الغرفة ودخل، وبكل سهولة قرأ عقل رنا، وأدرك أن هناك من يعبث بأفكارها، ويرسخ بداخلها أنه قد قدم من أجل أن يقتلها. وأن هذا الشخص متواجد معهما في نفس الغرفة، وإن كان لا يراه .

لذا فإنه استدار ببطء متجاهلًا رنا، ونظر نحو الحائط المجاور للباب، وقال

- «أظهر نفسك؛ فوقت العبث انتهى ».

وهنا تماوج جزء من الجدار في نعومة، قبل أن يظهر سلويت غير واضح، انفصل عن الجدار وأخذ يقترب منه في بطء، وهيئته تتشكل في سرعة .

وخلال ثوان معدودة ظهر ذلك الشخص، والتعبير الأدق: ظهرت تلك الفاتنة التي كانت ملتصقة بالجدار، وبكل برود واجهته تلك السيدة وهي تقول

- «بل العبث ما تقوم به، وما يجري بداخل جسدك ».

تجاهل أمير حديثها، وهو يتأمل ملامحها الفاتنة، وملابسها التي تعود لعصر سابق، وهدوءها المستفز، قبل أن يتساءل

- «من أنت؟؟ ».

وهنا رفعت تلك السيدة يدها المبسوطة نحوه، وقد كست وجهها صرامة مخيفة، قبل أن تقول

- «اركع على قدميك.. أنت في حضرة سيدتك مايا ».

ومع ذكرها للاسم، سرت في جسده قشعريرة مخيفة، ولم يفق إلا وجسده ينحني رغمًا عنه، فحاول المقاومة في البداية والقشعريرة تتحول إلى رعدة قوية، ثم استسلم للقوة القاهرة التي أجبرته على الركوع، قبل أن تتحول الرعدة إلى صاعقة أصابت أعماقه، لتتفجر في رأسه ذكرى قريبة جدًا لم يتعدى عمرها أسبوعين .

ذكرى كانت تجمعه بالسيدة الغامضة مايا رشدي .

ذكرى كان يحجبها ذلك المخلوق الذي يمرح بأحشائه

وبدون مقدمات، ألقى بنفسه على قدميها، وهو يشعر بالغثيان يتصاعد في معدته، قبل أن يقول

- «الرحمة يا سيدتي! الرحمة !».

وبكل هدوء أزاحته مايا من أمامها قبل أن تقول

- «وقت الحساب لم يحن بعد؛ ولكنك تستحق عقابًا سريعًا ».

ومن حزامها أخرجت خنجرًا حادًا، وأولجته في معدته، لينتفض جسده بالكامل، ويعود ليكتسي باللون الأزرق، ليسقط أرضًا غير مصدق ما قامت به. ولم تمهله هي أي وقت للتعبير عن ألمه. وقامت بسرعة واحتراف، بشق جلد بطنه بخنجرها، قبل أن تدفن قبضتها بداخل أحشائه، لتخرج ذلك المخلوق الشفاف المغطى جسده بزوائد عصبية كثيفة، والذي يشبه الدودة، وتنتزعه من داخله في قوة وغضب، لتضعه في حاوية خاصة نبتت أمامها من العدم، وعادت فور احتوائها على المخلوق للعدم .

وللحظات وقفت تتأمل أمير وهي غارقة في تفكير عميق، وكأنها حائرة في تقرير مصيره، لتحسم أمرها في النهاية. لتشير بيديها للجرح، ليخرج من خاتمها شعاع أزرق باهت أحاط به، فعاد الجلد ليلتئم كأنه لم يكن، ليتلاشى من جسد أمير اللون الأزرق، ويطلق صرخة عاتية قبل أن يسقط بين أنياب الغيبوبة، لتتركه مايا رشدي ممددًا على الأرض التي تلطخت بدمائه، لتتقدم من رنا التي كانت تتابع كل شيء بعقل مشوش، وهي على حافة الجنون .

وهذه المرة لم تقم مايا رشدي باستخدام خنجرها بنفسها، بل وضعته على الفراش أمام رنا في رسالة واضحة، لتستدير برشاقة، وتحمل جسد أمير الفاقد للوعي وكأنه لا وزن له، وتمضي به نحو الحائط لتخترقه في هدوء وتختفي بداخله .

وبعد ساعة كاملة من تلك الأحداث الرهيبة، شعرت رنا بنار حقيقية تشتعل بأعماقها، ولو أخبرها أحدهم أن دماءها تغلي في عروقها، لما كذبته .

وعندما تهشمت أول عظمة من عظام ساقها اليسرى، أدركت لماذا تركت مايا خنجرها أمامها .

كان الألم غير محتمل، فأطار صوابها، بعد أن أنهت تلك المادة المثبطة التي حقنها بها أعوان مايا مهمتها، وأبطلت سحر الساحر، وبدأت في القضاء على ذلك الكائن الذي يسكن أحشائها، والذي حولها لتلك الشخصية الدموية .

ومع الألم الصاعق، وتلاشي قبضة ذلك الكائن على عقلها، بدأت ذاكرتها تعود، وبدأت تدرك كل ما فاتها، وتعرف لصالح من كانت تعمل. إنها تذكر كل شيء الآن، تذكره في الوقت الذي لن يكون له أي أهمية !

لقد فهمت.. ولكن متأخرًا جدًا !

إنها لم تكن في الجانب الرابح من هذه اللعبة الجهنمية، إنها كارت من كروت الساحر المحروقة؛ فمايا نجحت مع أعوانها باقتناصها عبر ذلك الحادث المدبر، ثم استخدمتها كطعم للإيقاع بأمير، والتي

كانت مهمتها الأساسية هي حمايته، حتى ينتهي من مهمته الدموية .

كانت رفيقته في كل تلك الجرائم، وعين الساحر عليه .

تذكرت معلمها ذا الوجه المعدني الذي أخبرها أن أمير يفوقها مهارة، ولكنها تفوقه في الدموية .

تذكرت لقاءها بأمير، والتواصل الخارق الذي تم بينهما في المستشفى، واكتشافها أن ذاكرته تأثرت سلبًا بكثرة محوها، عن طريق ذلك المخلوق الذي يسكنه .

تذكرت تلك اللحظة التي سبقت فقدانها الوعي في ذلك الحادث، وكيف أرسلت كل تلك الصور إلى بريدها الالكتروني قبل أن تمحوها من هاتفها، عندما خشت عليها من وقوعها في الأيدي الخطأ أو أن تفقدها، وها هي تستخدمها في إنعاش ذاكرته .

كانت هي ظله كما كان يحب أن يطلق عليها، في الفترة القصيرة الدموية التي جمعتهما، سويًا .

كما أنها تعرف الآن أن تلك الدودة التي سكنت جسدها، كانت نوعًا من أساليب السيطرة الشيطانية القادمة من الماضي السحيق، غرسها الظل، والذي لم يكن إلا أحد تجسدات الساحر نفسه، بأحشائها ليسيطر عليها، ويمنحها تلك القوة، التي استخدمتها، لتثأر لندى، بعد أن أقسمت له على الولاء .

وما يفزعها الآن أن تلك الدودة الملعونة تتحلل وتفقد تماسكها، بعد أن أفسدت عملها تلك المادة التي كان يحقنها بها أتباع مايا، فتحولت إلى سائل حمضي حارق أخذ يأكل في عظامها مسببًا لها آلامًا لا تطاق .

لقد انتصرت مايا رشدي على الساحر هذه المرة ، وليس هذا فقط؛ بل هي تسخر من أحد أهم أعوانه في هذا الزمن، وستجبره على قتل نفسه بنفسه .

ولم تتردد رنا بعد أن بدأت عظامها في رحلتها الحتمية نحو التفتت لتصليها آلامًا لا تطاق .

حملت الخنجر الخفيف الوزن، الشديد الصلابة، ثقيل الهيبة، ووسط دموعها التي تحولت للون الأسود، وهي لا تتخيل تلك النهاية المفزعة بموتها منتحرة .

صوبت الخنجر الحاد نحو قلبها، وعندما تهشمت عظمة الفخذ اليمنى، ومع صاعقة الألم التي دهمتها، أنفذت النصل الحاد في سويداء قلبها، وهي تصرخ في يأس

- «لا! لا! لا! لا! لا! لا! لا !»

المجهول

(12)

الفراش كالوطن، لن تعتاد غيره مهما كانت مميزات الغربة .

هذا هو ما دار في رأس زهرة فور استيقاظها من النوم برغم نعومة الفراش التي تختلف عن فراشها اليابس في الملجأ، فتمسكت بدميتها، وهي تتأمل المكان من حولها في حنق. كانت تشعر وكأنها لم تنم دقيقة واحدة .

عليك أن تشعر بالانتماء للمكان لتشعر بالراحة، وكان القصر عدائيًا من الطراز الأول، وبث كراهيته في قلبها، دون أن يمنحنها لحظة واحدة لتكوّن عنه انطباعًا، ولو كان خادعًا .

وعلى الرغم من كون نضجها الجسدي لم يتجاوز السنوات الأربع، وأنها ما زالت كزهرة في طور النمو، إلا أن عقلها الذي دخل في طور المشيب، كان يتعامل مع المكان كسجن أو منفى .

ولسبب ما شعرت بطاقة سلبية هائلة تغمر المكان .

بل وللدقة، كان أكبر كم من الطاقة السلبية شعرت به في حياتها مركزًا في مكان واحد .

المقابر نفسها لا تحتوي على مثل هذا القدر من هذه الطاقة السوداء !

لقد زارتها وعاينتها في عقول وذكريات المئات ممن مروا عليها في حياتها القصيرة في الملجأ، بل كان البعض يجد السكينة هناك على عكس هذا القصر اللعين !

لابد وأن هذا القصر الموبوء كان معتقلًا للتعذيب في زمن ما أو حياة أخرى، وسفك فيه من الدماء، ما جعل أرواح من سكنوه غاضبة. أو أن هناك جرائم خبيثة أو محرمة وقعت تحت سقفه فلُعِن المكان إلى الأبد .

وبرغم الهدوء الزائف الذي يغلف الأرجاء، لم يكن القصر صامتًا كما يوحي جوه العام، بل كان مفعما

بضجيج خفي خارق للطبيعة ينبع من كل شيء، ويحتوي كل شيء بطريقة مرهقة .

كان القصر أشبه بخلية نحل غاضب، لا يتوقف ثانية واحدة عن الطنين أو ضرب الهواء بجناحيه، وهو شعور يثير الغثيان ويورث الجنون .

ومن خلال وجودها في المكان رصدت زهرة طاقات نفسية مروعة، تموج عبر فضاء المكان بكثافة تصيب بالدوار، دون قدرة حقيقية على تحديد مصدرها. تعمقت في التواصل لتكتشف أنها صادرة عن كائنات حية أسيرة ومقيدة، بل تئن وتتعذب، كائنات فقدت أرواحها ولم تفقد شعورها بالألم أو المعاناة .

تعمقت أكثر في محاولة لسبر أغوارها، لتمنعها قوة مجهولة، وكأن سجناء القصر في برزخ خاص، أو بعد آخر .

إن لهذا المكان أشنع ذاكرة من الممكن أن يقابلها قارئ أفكار في حياته !

فالمكان يشع بروائح خبيثة مكثفة ومزعجة، والأمر يرهقها، فتكاد تشم في كل نفس تتنفسه، رائحة صراخ المعذبين، وحيرة الضائعين، ويأس التائهين .

إن الملجأ بجواره جنة حقيقية .

شعرت أن جدرانه نفسها تراقبها، بل وكارهة ومتحفزة لوجودها. فدخلت في صراع مؤقت مع هذا القصر الخبيث، وبذلت مجهودًا ذهنيًا رهيبًا في محاولتها البائسة لكشف أسرار المكان. وفي النهاية شعرت أن كل ما تبذله من مجهود يذهب بلا طائل، وأنها تناطح طواحين الهواء، وأن ما ترصده وتتحداه، هو شيء يفوق مقدار معرفتها برغم اتساعها .

وفي لحظة صفاء ذهني، أو هي بصيرة لم تعتدها في نفسها، أدركت أن القصر كان فقط يعابثها، ولم يكن يتحداها كما توقعت، بل والأدق أنه جاراها في محاولتها الساذجة ليختبر مدى قوتها !

كان قصرًا فضوليًا .

هذا هو أدق تعبير يمكن وصفه به، وكأنه ليس مجرد بناء من ملاط، وأحجار، وصخر مصقول.. القصر كان يختبرها؛ ليحدد الوسيلة المثلي لمواجهتها، ولم يفتها أن قوة عظيمة مثل تلك القوة التي يموج بها القصر، من المهين أن تقارن بقوتها العقلية المحدودة غير مكتملة النمو .

هي من بدأت الصراع.. هي من توهمت التحدي.. هي من نالت الهزيمة دون وجود معركة حقيقية أو عدو فعلي. لقد جذبها القصر لفخ عقلي ونفسي محكم، وسقطت هي فيه بكل بساطة وحماقة.. لا يجب أن تسمح للقصر أو قاطنيه باستنزافها أو إلهائها بمعارك ذاتية أو جانبية .

كان الأمر مرهقًا، وغامضًا، وكان خوضها للصراع الوهمي ثقيلًا على عقلها، وعلى بنية جسدها الضعيفة التي لن تتحمل صراعات مماثلة لفترة طويلة .

عليها التقاط أنفاسها، وتنظم عقلها؛ فخوض المعارك عشوائيًا يعني الهزيمة المنكرة من أول جولة؛ فمنذ

ساعات كانت نزيلة في ملجأ غير آدمي، يتاجرون بنزلائه، ما بين أسواق الأعضاء البشرية، والدعارة، والعبودية؛ وبعدها بعدة ساعات مرت بحادث سيارة رهيب، وعاصرت مذبحة مخيفة، قام بها ساحر غامض راح ضحيتها العشرات من البشر والحيوانات؛ والآن تسكن قصرًا ملعونًا مع ألد أعدائها. والمطلوب منها أن تخضع لسيطرة عقلية عجيبة، لم تقابل مثيلًا لها في حياتها القصيرة، وهذه السيطرة يقوم بها مكان مروع يطفح بطاقات نفسية مروعة .

وتيرة الأحداث مرهقة ومقبضة، والمقلق هو تجدد ذكرى ذلك الساحر التي طفت على سطح ذكرياتها، وعادت لتحتل مكانها بثقة بين ذكرياتها اليومية القريبة، وكأنها لم تجاهد لمحوها منذ ساعات، فكيف عادت مرة أخرى!؟ .

كان سؤالًا بلا إجابة، وإن أثار توترها؛ لكونها قامت بتشتيت تلك الأحداث الخطيرة من مخزون ذكرياتها كي لا يتم كشفها ومعرفة نواياها الخبيثة، حتى أنها لم تجعل لها كلمة سر لاستعادتها .

تناولت دميتها التي منحتها لها سماح في عيد مولدها الثالث، والتي تعلقت بها بشكل كبير رغم نضوج وعيها، والتي كانت بديلًا مؤقتًا عن صحبة بشرية لم تعد موجودة بمفارقتها الملجأ وسماح .

هبطت بها بصعوبة من فوق الفراش المرتفع بشكل مبالغ فيه، وهي تلهث وقلبها لا يتوقف عن الخفقان، وكأن من أسكنها الغرفة، كان حريصًا على تعريفها بمكانتها وحجمها .

وفي هذه اللحظة المزعجة، كانت على استعداد تام لخسارة نصف عمرها القادم للحصول على جسد ناضج قوي لا يتعب بمثل هذه السرعة، لتواجه به كل هذه التحديات التي لا تتوقف عن حصارها .

- «تبًا لجسدي الضئيل! وتبًا أيضًا للأمنيات التي لا تتحقق !».

قالتها وهي تتأمل الغرفة الفسيحة هائلة الحجم، والأثاث الأثري العتيق المتناثر بأناقة في أرجائه،

المكان كله مفزع في ضخامته، أشعرها بضآلتها، وكأن نسل من العمالقة قد سكن المكان يومًا. والعجيب أن انطباعها عنه بالأمس لم يكن نفس انطباع اليوم؛ فبالأمس كان مجرد قصر آخر ككل القصور التي رأتها في الأفلام القديمة الأبيض والأسود، لا يتميز بتلك الصفات التي تخص القلاع ومعابد الكرنك .

فما الذي تغير؟ ومتى تغير؟ وكيف تغير!؟ .

إن سجلات الأسئلة التي لا إجابة عليها تتضخم في عقليها .

وبعيدًا عن كل هذا الغموض والمجهول، وعما رصدته من طاقات نفسية مزعجة تشع من أنحاء المكان، وعن الأسرى المعذبين بين الحياة والموت، كان القصر نفسه عجيبا، وانطباعها عنه كانطباعها عن بشري مفعم بقوة هائلة، وهناك من يحده عن استخدامها .

إن هذا القصر بشكل ما حي !.

هذا شيء يمكن أن تقسم عليه بأرواح أجدادها الذين لا تعرفهم. بل ويموج بذبذبة غريبة، وكأن هناك شيئًا خارقًا، يعترض نوعًا متفوقًا من التواصل العقلي الفائق. هذا التواصل كما رصدته غير أرضي، وإن كان ينبع من باطن الأرض .

كيف ألمت بكل هذه المعلومات!؟ الحقيقة أنها لم تبذل في جمعها أي مجهود، وكأنها كانت مسطورة على هواء المكان، ومنقوشة في أنسجته، وقدراتها المتشابكة تتفاعل معها وتحل شفرتها أفضل وأسرع من أي كمبيوتر في العالم .

إن القصر برغم كل شيء يزيد من حدة قدراتها، ويكشف لها في كل لحظة تمر عن مكنون ذاتها .

كانت تشعر بالإنهاك والجوع، والأكثر بالفضول .

ولأن فضولها فاق جوعها وإن لم يهزمه، فإنها قررت أن تستكشف المكان بنفسها، وتبحث في نفس الوقت عن بعض الطعام .



لاستكشاف ما خلفها. إن فوبيا الأبواب المغلقة حقيقية، وربما ستصاب بها الآن .

ولا إراديا تحسست نقش الوردة على معصمها تستمد منه بعض الأمان .

الباب الأول كان زائفًا، مجرد رسم متقن بطريقة مخيفة ليشبه الباب الحقيقي، أدركت هذا دون أن تبذل أي مجهود، وعندما حاولت أن تتجاوزه عقليًا، اصطدم وعيها بجدار عقلي ناري منعها من النفاذ خارجه، مما أصّل بداخلها مفهوم السجن .

كانت تدرك من البداية كونها سجينة القصر لا غرفتها.. تمدد مساحة السجن توحي ببعض الأمل، وبعض الحرية الزائفة.. الآن هي سجينة غرفتها وحتى إشعار آخر .

الباب الثاني كان فخًا عقليًا شنيعًا، بل كان الجحيم ذاته! وكشف لها أن من وضعها بداخل تلك الغرفة الملعونة كان يعرف جيدًا مقدار قوتها، وطبيعتها، وما



عقلها، والظلام الشديد الذي غلف كيانها وجذبها إليه في وحشية .

كانت كريشة لا وزن لها في مهب ريح عاتية مُحرقة، ومع عجزها المبدئي عن المقاومة، صرخت.. وصرخت.. وصرخت

ولم يتجاوز صوتها حلقها؛ فلم يعد لها حلق، ولم يعد لها جسد؛ لقد فقدت الشعور بماديتها، وبجاذبية الأرض على جسدها .

أصبحت مجرد عدم واعي يتم انتزاعه من رحم الحياة نفسها. الزمن نفسه توقف بالنسبة لها، ثم بدأت تشعر بالانتهاك .

نفس الشعور القذر الذي عايشته مع نصف إناث الملجأ، واللائي يتم اغتصابهن دوريًا في دورات المياه أو في غرفة السطح، وساعدت بعضهن على الفكاك من هذا المصير البشع أو تبعاته النفسية، وبالطبع تركت الأخريات لمصيرهن الأسود .

وبدهشة تساءلت، وكأن هناك من عظَّم وقع الأسئلة على روحها

- «لماذا ساعدت البعض، وتركت البعض!؟ »

وهنا بدأ الصوت القاهر يتردد في رأسها مزلزلًا

- «لأنك مجرد بشرية حمقاء مفعمة بكل ما يموج بالجنس البشري من خبائث. تخفين حقارتك خلف بعض المصطلحات الرنانة كـ(الجريمة) و(العقاب) و(العدل). لقد نصبت نفسك قاضيًا وجلادًا. مجرد امتلاكك للقدرة على الفعل، جعلك تتحكمين في مصائر الآخرين، ربما بشكل غير كامل لأن قواك ما زالت متذبذبة، ولكنكِ مارستيها بكل فجور. لم تكوني الخير الذي اعتقدتِه، ولن تكونيه !».

«هل كان من العدل أن تتركي هناء، وإسراء، ونبيلة يواجهن الاغتصاب والانتهاك لأنك تكرهينهن!؟ .

هل كان من الحكمة ألا تساعدي فيروز على إثبات براءتها من جريمة السرقة التي علمتِ بفاعلها لأنك

تكرهينها!؟ هل كان من العدل أن تتركي حياة وحكمت لتفجرا إلى تلك الدرجة!؟ ».

«لو كن أشرارًا، فأنتِ الشيطان ذاته ».

أجج الصوت بداخلها الشعور الساحق بالذنب، عن كل لحظة قضتها بين أسوار الملجأ. إنها تدرك في أعماقها أن سلوكها غير مبرر، ولكنه ما حدث؛ ربما حدث لأنها طبيعة الأشياء، ولأنها تعاملت ببشرية كاملة .

كانت تحب وتكره، وتكيد، وتساعد، وتغضب، وتسامح. لم تكن قديسة، ولن تكونها. لا يخرج القديسون من الملاجئ !.

قاومت الصوت بكل عزمها، وعزلته إلى حد ما، وإن ظل بطريقة أو بأخرى يجلدها في إصرار تام على قهر روحها، وهزيمتها بواسطة ذكرياتها .

كانت منهارة من الداخل ولكنها لم تفصح لعدوها، لم تكن دفاعاتها العقلية بالقوة التي حسبتها؛ ربما لأنها لم تخض صراعًا عقليًا مشابهًا من قبل، وما يحدث الآن

هو خطة محكمة لتشتيتها؛ حتى يستطيع المخترق الملعون فحص ذكرياتها بالكامل، وكان الأمر مقززًا .

لو كان لديها جسد مفعم بالأنوثة كإلهام، التي اعتدى عليها خمسة من الأوغاد في وقت واحد، وأفقدوها شعورها بإنسانيتها وبالأمان؛ لما شعرت بانتهاك مماثل لما يحدث معها الآن.. إنه اغتصاب عقلي !.

كانت الصدمة شديدة، ولكنها لم تتوقف عندها كثيرًا؛ لقد تعلمت الكثير من وجودها في الملجأ، وسط أحط مجموعة من البشر الناشئين والبالغين، يمكن أن يحظى بالعيش وسطهم إنسان .

لقد تعلمت بأنه عندما لا يصبح لديك ما تخسره، فلا تدافع عن نفسك فقط.. بل هاجِم !.

هِاجم بكل ما لديك من قوة، وغدر، وضراوة. لا تفكر إلا في أن تبسط سيطرتك على عدوك وتقهره، أو تموت، وفي الحالتين أنت الفائز .

كان المكان غابة، وكان يسكنها رغم كل شيء، همجية، ووحشية، وقذارة البشر كما قال الصوت، لذا فالويل كل الويل لمن يوقظ ذلك المسخ الساكن أعماقها .

ولأن المواجهة هذه المرة كانت تعتمد على قدرات العقل دون الجسد، ولأنه تم اختطاف وعيها بطريقة أغضبتها، ولأن وجودها في هذا القصر يشحذ عقلها أكثر من وجودها في الملجأ، ويكشف عن قدراتها المتعددة التي لا حصر لها، لذا فإنها استدعت في لحظة واحد عن طريق وعيها المتعدد كل الذكريات السيئة التي عاصرتها، وقامت بتركيزها، لتمنح ذلك القصر الكبير، أكبر قدر من الطاقة السلبية المدمرة، التي يمكن أن يكون قد حظي بها يومًا .

وقامت بتركيز تفكيرها ليس على الهروب، بل على تدمير أصل ذلك الانتهاك. إنها تعرف الآن أنها ليست قادرة على تحريك الأشياء عن بعد فقط، بل إنها قادر ة على سحقها أيضًا .

إن ذلك المسخ الدموي القابع في داخلها يعلن عن نفسه، وبالتالي كان رد فعلها عنيفًا، ساحقًا، ويكفي أن كانت نتيجته، أول جريمة قتل حقيقية ترتكبها في حياتها الجديدة .

أما الشيء الذي فاجأها أكثر، أن الذي مات لم يكن كائنًا حيًا يشبه البشر، بل لا يمكن أن نطلق عليه كائنًا من الأساس .

فمَن قتله تدفقها العقلي العنيف، كان نوعًا عجيبًا من الحياة. عقلًا مجردًا واعيًا، خارق الذكاء، ويبث مع عدد من بني جنسه سيطرة مركزة ومركبة على القصر .

إنهم هم القصر !

لقد عادَت الآن جنسًا مخيفًا من العقول القوية، ولابد أن تتوقع العقاب قريبًا .

ظلت المعلومات تتدفق لداخل عقلها لفترة لا تعلم مداها، وبتدفقها هذا أزالت من فوق تلال ذكرياتها ما تبقى من رماد وحجب، فبدأت تعلن عن نفسها، وإن لم

تمتلك في ذاك الموقف العصيب القدرة على تنظيمها أو ربطها ببعضها، فلم تستوعب على الفور فكرة دورة الزمن السابقة، ولا فكرة التواجد بدون أعضاء مكتملة، ولا فكرة الفناء العظيم، ولا فكرة الطوطم .

كانت في حيرة وهي تحاول احتواء كل هذا الجنون، عندما فاجأها ظهور مايا العاصف، وخادمها عزيز، الذي تخلى عن هيئته البشرية، ليكشف عن ملامح أبشع مسخ يمكن أن تواجهه في حياتك، بزوائده المشعرة، وأطرافه الحرشفية الأقرب للتماسيح .

كان من الواضح أن اختبارهم لها أتى بنتيجة غير متوقعة، دفعا معها ثمنًا فادحًا، وكان من المؤكد أنها ستلقى عقابًا رهيبًا لا يقل عن عقاب سجناء هذا القصر الملعون .

وتوترت كثيرًا عندما ظهرت أمامها سماح، والفزع يكسو ملامحها، في مشهد وحشي مقبض، أثار غضبها .

كانت تتهيأ لتقتل من أجلها.. لقد أصبح الأمر سهلًا منذ كشفت عن ذلك المسخ الساكن بأعماقها وذكرياتها، ولو كان القتل يحتاج لمبرر شرعي، فإراقتها الدماء دفاعًا عن أمها لا يحتاج .

كانت سماح هي الشيء الوحيد الذي ربطها بالحياة، الشيء الوحيد الذي حال دون تحولها لشيطانة كاملة بقلب الملجأ .

كانت شعاع الضوء الوحيد وسط عتمة الحياة.. قبس النقاء الوحيد وسط مجتمع القذارة.. كانت طوق النجاة،

وكانت .

لأنه في اللحظة التالية حدث أبشع مشهد يمكن أن تتخيله في الوجود .

فبعد أن قتلت زهرة ذلك العقل الخارق، وفي لمح البصر، ظهرت مايا رشدي، ومعها خادمها المتحول عزيز أمام عينيها الهلعتين، بهيئته البشعة، ومعهما

كانت سماح بحالتها المزرية، وصحب ظهورهما تبدل ديكورات الغرفة بالكامل. فبدا وكأنه نوع من السحر أو الخداع البصري .

فلم تعد تلك الغرفة ذات الأثاث الضخم المشبع بعبق وأناقة الماضي، بل ظهرت على حقيقتها، قبو فسيح يحتل مساحة القصر كلها .

على جوانبه امتدت أنابيب معدنية لامعة وألياف بصرية متوهجة، تتصل بخمس إسطوانات معدنية لامعة هائلة الحجم يبلغ كل منها ارتفاع طابقين كاملين، وكأنها بأحد معامل جوجول .

إحدى هذه الإسطوانات كانت محترقة تمامًا ويتصاعد منها بخار أخضر كريه الرائحة، مع ذلك الانبعاث العقلي القوي الممتزج بتلك المشاعر السلبية العالية، التي كانت تعبر عن غضب وألم عنيفين .

هذا ما لمحته ورصدته في تلك اللحظة الفارقة التي ظهرت فيها مايا. أما ما حدث في اللحظة التالية، فكان

رد الفعل الذي حولها إلى قنبلة عقلية .

فمايا تقدمت بسرعة غير بشرية من مكان سماح، ثم رفعتها عاليًا كدمية لا وزن لها، قبل أن تقول في صرامة

- «لن يوقفني شيء هذه المرة، مهما كان الثمن !».

وفي لمح البصر، وبمخالب حادة، قامت بشق حنجرة سماح وتركتها لتسقط أرضًا مضرجة في دمائها بعد أن توقفت عن التنفس والحياة .

لقد دفعت سماح ضريبة حب زهرة لها، ودفعت ضريبة قتلها لذلك الكائن العجيب الذي أطلقت عليه لقب (العقل).

وبكل غضب الدنيا، وبسرعة لم تعهدها في نفسها، قبضت على دميتها في قوة وكأنها تخشى أن يحرموها منها كما حرموها من سماح، ثم صرخت في عنف وهي توجه كامل طاقتها العقلية صوب مايا .

لم ترغب طوال سنواتها الأربع التي قضتها على سطح هذا الكوكب في إيذاء شخص والفتك به، مثلما أرادت الفتك بمايا .

كانت تكرهها من قبل أن تواجهها، وكانت كراهيتها مع غضبها كفيلين بتمزيقها إربًا، وتفجير عقلها، هذا لو سارت الأمور كما ينبغي لها .

وكل ما توقعت أن يحدث لمايا، حدث لها هي !.

صدمة عقلية مروعة أصابتها بقوة، وأشعرتها أن مخها يسيل بداخل جمجمتها، فقبضت على دميتها بقوة، وهي تصرخ .

قبل أن تشعر بلطمة عقلية عنيفة أفقدتها الوعي .

لتدخل في غيبوبة عميقة بين يدي أشد أهل الأرض كراهية لها .

بين يدي مايا رشدي .

(13)

الصدمة والهلع سيطرا على كل كائن حي، أو نصف حي، أو متحول، أو يحمل ذكاء من أي نوع، تواجد في الميدان الكبير، الذي تقام فيه احتفالات يوم البعث .

وفي هذه اللحظة المضطربة من هذا الزمن السحيق، تسرب شعور مقبض لم يجرؤ يومًا على التواجد حيث يتواجد الطوطم والكهنة، وهو شعور الخوف !

ولم يقتصر هذا الشعور على من قاده حظه العثر للتواجد في هذا المكان، وهذا التوقيت المروع، بل انتقل الروع والهلع عبر مجرات الكون المنظور إلى كافة الكواكب المأهولة، التي يصل لها هذا البث المعجز عبر ظل الطوطم .

ومع الخوف حضر ما يخشاه الجميع، وما هزمه الكهنة عبر آلاف السنين، حضر الزائر الذي لا يعود أبدًا خالي الوفاض .

حضر الموت !.

حجم الكارثة الفادح كان واضحًا في عيني ماي آر المتسعتين، لدرجة أن عقلها توقف عن التفكير، وظل عاجزًا عن استيعاب ذلك الهول الدائر أمامها .

كانت ترى بمشاعر متهدجة نتاج حديثها مع أبيها قبل المراسم، وقد تحول إلى عمل انتحاري ارتجالي لم يتم الترتيب له جيدًا، كما هو واضح من عدد المشاركين به، وطريقة الاقتحام المدوية .

إن ما يقوم به أبوها وجماعته، يخالف كل ما علّمه لها. إن التضحية بكل شيء دون ترتيب أو خطة مدروسة هو الفشل بعينه .

كما كان من الحماقة أن يكون السلاح الوحيد في عملية مماثلة، هو عامل المفاجئة فقط؛ فذلك العامل لن يعني الكثير في هذه الحالة، مع حشود الجنود التي تؤّمن الميدان الكبير، وتلك الحراسة المكثفة من حراس الحاكم، وحراس المعبد، ومع حالة الطوارئ المعلنة منذ بدأت تلك الحرب المستعرة في الخارج .

لماذا لا ينهي الكهنة الحرب!؟ .

- «لأنها إرادة الطوطم التي تسكن خلفها الحكمة مهما ظهر العكس ».

فكرة جانبية أخرى تشتت تفكيرها .

وعندما قفز التساؤل الثاني في عقلها، تلاشى كأنه لم يكن، ولم تحفر هي مناجم عقلها المنهك بحثًا عنه، وتركت وعيها يتلاطم وسط الضباب المكتنف روحها .

كان الوضع كارثيًا، ويشي بنهايته المفجعة. لقد دنس أبوها وجماعته حرمة ذلك اليوم، وهو شيء لن يغفره لهم أحد، هذا لو نجوا من ذلك الفخ الرهيب الذي ألقوا بأنفسهم فيه .

لقد انقلب عالمها تماما، وكأنما ارتد على عقبيه. إن المقدسات مهما كان زيفها مشبعة بالهيبة وبالأسرار، لذا يجب أن تموت كالأسرار في هدوء، لا بتلك الطريقة الفجة التي ستألب عليهم الكون كله، وستستعدي غضب المؤيدين والمعارضين .

أما عن صدمتها الكبري، فأعلنت عن نفسها، عندما شعت العقول الخائفة بآلاف المشاعر السيئة في آن واحد، لتصعق تلك المشاعر كل من تواجد أسفل القبة العازلة التي أطلقها حراس المعبد، وأججت بداخلهم أحاسيس الرعب والضياع .

كانت الأفكار تتلاحق في عقلها بسرعة رهيبة، بينما كانت الأحداث تتم ببطء قاتل أمام عينيها، حتى أنها شعرت بروحها تتزلزل داخل جسدها مع فرق التوقيت بين ما تراه وما تفكر فيه .

كان في الأمر شيء غير طبيعي، لدرجة أنها كانت تشاهد الانفجارات العنيفة، من لحظة انبعاث الذرات إلى لحظة تصادمها والتحامها لتولد الطاقة القاتلة، كما كان بإمكانها أن تعد شظايا القذائف المتفجرة وتتابعها وهي تخترق الأجساد، وكأن كل شيء كان يتم تصويره بكاميرا بطيئة جدًا ذات دقة عالية .

بالإضافة لأن سيطرتها على جسدها انعدمت تمامًا، فوقفت مكانها عاجزة عن التحرك، وكأن هناك من ثبتها

إلى أرضية المسرح !.

وعندما لمحت انعكاسًا بطيئًا قويًا لوهج إحدى القذائف التي عبرت مجال القبة العازلة الصغيرة، والتي تفجرت في عنف بالقرب من الهالة غير المرئية، والتي أحاطت بها دون أن تشعر. ترجم عقلها ما رصدته عيناها؛ لابد وأنها وسيلة حماية وتأمين سرية عملت فور بدء الهجوم .

لم يبهجها ما توصل إليه عقلها بمقدار ما أثار خوفها؛ إنهم يسعون لحمايتها وأعدوا الأمر جيدًا؛ فلو لم تكن تلك الهالة موجودة، لربما قضت نحبها في بداية الهجمات، وبالبطيء .

وهنا داهمتها الأفكار، الشيء الوحيد الذي كان يتحرك عكس كل ما يدور حولها، وبسرعة مقبولة

هل ما يحدث كفيل بإفساد ذلك التخطيط الذي يسعى له .

ما زالت في تهيب من نطق الاسم، أو وصفه بالعجز. إن الأمر مربك جدًا.. الكائن الأسمى لا يمكن أن تقيد إرادته، لا يمكن لأحدٍ تحديها !.

لا يمكن أن يكون هو، وإن كانت كل القرائن تؤكد ذلك. يا ليتها قتلت نفسها قبل أن تتطور الأمور لهذه المرحلة المخيفة !

اختطفها من أفكارها وهج انفجار أكثر قربًا، وأشد عنفا من سابقه. أعتمت على إثره هالة الحماية المحيطة بها لتقي عينيها وهج الانفجار، كما امتصت كل الترددات العنيفة والطاقة الصافية المهلكة الناجمة عنه، والتي عبرت من قوتها تلك القبة العازلة التي أطلقها المهاجمين مجددًا، مما جعلها تستعيد تركيزها، وقلقها، وتصرخ باسم أبيها .

كانت عيناها العاجزتان عن الحركة، ترسل الصور التي تقع في مجال رؤيتها بنفس السرعة البطيئة المميتة، لذا كانت تشعر بعجز كامل عن تحديد موقع أبيها من



فأسفل تلك القبة الإضافية الكبيرة التي فعلها حراس المعبد، وبعد لحظة واحدة من الانتقال الآني العنيف للمهاجمين، تحول مكان الاحتفال المقدس إلى ساحة قتال دامية .

خاصةً وأن المكان كان يغص بالمئات من الحرس المحترفين، والمدربين بأعلى نظم التدريب بالكوكب، كما أنهم كانوا يحوذون أعلى تقنيات الرصد والحماية، وأحدث أنواع الأسلحة .

لذا ففور رصد الهجوم، ولحصار المهاجمين، تم خلال جزء من الثانية تفعيل قبة العزل، التي حصرت بداخلها المهاجمين، وآلاف المحتفلين، وقامت بإيقاف البث الكوني في سابقة هي الأولى من نوعها عبر التاريخ المعلوم، كخطوة تالية لحصر تداعيات الحدث، وإن لم تمنع حالة الهلع والاضطرابات التي سادت كل الكواكب المأهولة في جنبات الكون المنظور .

وما أثار هلع الجميع، هو رصدهم لظهور الأنجيلو، تلك الكائنات الكونية المجنحة التي أصبحت نذيرًا للشر

والموت، والتي لا تقوم بأي فعل أكثر من رصدها ومتابعتها للأحداث عبر الكون كله، مع انصباب جل اهتمامها على كوكب الأرض بالذات دون معرفة السبب .

الكهنة في زمن سابق فسروا ظهورهم بأنهم رسل الإله المذكرين بقوته، وغضبه .

مما طرح السؤال المخيف: هل الإله غاضب على كهنته؟؟ .

وهل غضبه هذه المرة مجرد تحذير، أم أن الكهنة نفسهم سيلقون عقابًا ما؟؟ .

سيول هادرة من الأفكار كانت تموج المكان. بعضها حقيقية وبعضها صناعية، ونتيجتها كان التدافع العنيف، الذي أسقط عشرات الضحايا، خاصةً مع بدء اشتباك الحرس مع المهاجمين فور قطعهم للبث .

فبعد قطع البث، وتحت القبة الأولى، كان المهاجمون الخمسة بأزيائهم السوداء الموحدة وأقنعتهم التي

تخفي ملامحهم، يطيرون بمهارة مستخدمين البسط الطائرة، وكأنهم كانوا يتدربون عليها منذ نعومة أظفارهم، أو أنها أصبحت جزءًا من أجسادهم .

ومع حركتهم الرشيقة السريعة، وأسلحتهم المتطورة، استطاعوا صد الموجة الأولى من الحراس دون إصابات أو قتلى بين صفوفهم، وإن وقعت بين الجماهير المضطربة إصابات لا تحصى، وقتلى بالمئات، كأثر جانبي فادح للقتال المفاجئ .

فخيوط الطاقة العمياء كانت تبخر من لم يستطع أن يحظى بساتر سريع، والقذائف المتفجرة الفائقة القوة، كانت تسقط بين الحشود الفارة لتمزق العشرات إربًا في أجزاء من الثانية، لتتناثر الدماء المختلفة الألوان في كل مكان .

كانت مذبحة رهيبة، لم يبالِ طرفاها إلا بمحاولة القضاء على الآخر، دون النظر إلى فداحة النتيجة على الجماهير العزل .

بينما مع بداية الموجة الثانية، ومع استخدام الحراس للأسلحة الثقيلة لا محدودة المدى، سقط ثلاثة من المهاجمين ومعهم المئات وربما الآلاف من المحتفلين الذي وجدوا أنفسهم بلا مهرب بين شقي رحا مخيفة سحقتهم دون هوادة .

وبعد مضي ثانيتين فقط، كان قد تم سحق الرابع وأسر الخامس بشبكة قافزة صاعقة أفقدته وعيه، إن لم تصِبه بما هو أفدح .

وقعت كل هذه الأحداث خلال ثوان عشر بتوقيتنا الأرضي، وعلى إثرها تحول الميدان الكبير إلى ساحة للقتلى والمصابين الذين يصعب حصرهم بعد أن تناثرت واختلطت أشلاؤهم في كل مكان، وبعد أن سيطر الحرس على المكان بداخل القبة الخارجية، بدأ بعضهم في تتبع مصدر الناقل الآني للقبض على باقي المتمردين .

كانت السابقة الأولى في تاريخ الكوكب التي يتم فيها القيام بعملية إرهابية بهذا الحجم، وضد الكهنة. لذا

كان الحراس يقاتلون بشراسة، ودون النظر لمقدار الخسائر، وهذا ما جعل الخسائر تتضاعف؛ فالشيء الهام فقط، هو حماية الكهنة. الحاكم نفسه اشترك في القتال الذي لم يتعدَ في مدته الثوان العشر كما أسلفنا .

ولا تعرف ماي آر ما الذي جعلها تتذكر كارثة سقوط النيزك قبل مائة عام فوق المنطقة الشمالية، وتدمير مساحة هائلة من الوحدات السكنية، والمنشآت، والسدود، مع ضحايا بمئات الآلاف، وتلويث المياه، وإجداب الأرض لعدة عقود، قبل أن يشفق عليهم الكهنة ويعيدون للأرض خصوبتها، وللمياه نقاءها كمعجزة أخرى من معجزاتهم المستمرة .

كانت قد شاهدت كل هذه الأحداث المشؤومة عبر وحدات الذاكرة الحيوية في صفوف دراستها الأولى ضمن دراسة معجزات الكهنة .

أما «لماذا تذكرتها الآن؟» فهو سؤال يستدعي العديد من الإجابات .

ربما لأن الموت كان يفوح منها كما يفوح من كل شيء حولها الآن، أو ربما لأنها تتوقع كارثة كبرى ستحيق بالجميع، وأول من ستلتهمه بأنيابها الحادة، هو أبوها الذي تهيم به عشقًا، ولا ترى الحياة إلا من خلاله .

لا تعرف أي رابط يربط بين الكارثتين، إنها تدرك أن هناك اختلافًا جوهريًا بينهما؛ فالكارثة هذه المرة موجهة للكهنة أنفسهم، في محاولة من أبيها وجماعته لإفشال الطقوس كي لا تبدأ أحداث النهاية كما أخبرتها الرؤى .

كانت هلِعة؛ فهي حتى هذه اللحظة لم ترصد وجود أبيها بين المهاجمين، خاصة مع بطء المعطيات التي يستقبلها عقلها، كما أنه لابد وأن أباها ورجاله قد أعتموا عقولهم كي لا يتم رصدهم، وربما استخدموا آليات مشابهة للتي زرعت في جسدها .

هل تكون تلك الآليات السبب في ذلك العجز الذي أصابها؟ .

تلاشت الفكرة، فعادت تفكر في أبيها ومصيره، وهي تتأمل سحابة من الإلكترونات تتوهج ببطء وقوة كألف شمس .

إنها تعرف أباها جيدًا، وتعلم طريقة تفكيره، وتدرك أنه لن يضع خطة مهما كان تهورها، إلا ويكون على رأس منفذيها .

كما أن هناك شعورًا مخيفًا يداهما بأنها تشهد نهايته الآن !

وللحظة تردد في عقلها صوت غامض، أو هي رسالة عقلية غير مألوفة، قدرت أنه يتم بثها عبر المكان كله؛ لأنها كانت قوية بشكل مبالغ فيه، وكانت تؤلم رأسها، وكان ملخصها: «أن الوقت قد حان للثورة !»

كانت فكرة حمقاء حقًا، لا تدري هل كان يبثها المهاجمون في محاولة لإشعال الموقف عبر وسيلة مجهولة، أم أنها هي من تعيش الأوهام !.

لماذا كارثة النيزك الآن!؟ .

ترى هل كان الكائن الأسمى خلف تلك الكارثة؟ هل كانت لديه القدرة بالفعل على إحداثها عبر هذه المسافة الهائلة؟ هل هو قادر عليها فعلًا؟ .

هل هذا هو الرابط الذي تبحث عنه؟ .

أين أمها الآن؟ .

ما مصير إخوتها، وسط أنهار الدم التي أغرقت كل شيء؟ .

هل كل شيء سينتهي حقًا؟ .

الأفكار تدور في عقلها بشكل مخيف، وبعضها يتكرر، وعيناها تتابعان ما يحدث تحت القبة الكبيرة، بقلق رهيب مع بطء الرصد وشناعته .

وتحت القبة الكبيرة كان الحراس قد أتموا مهمتهم في زمن قياسي، وانتصارهم المحدود هذا كان سيتحول إلى فشل ذريع، لو نجح الخمسة الآخرين في قنص المختارة أو الكهنة في اسطواناتاهم اللامعة .

لذا تحركوا كالبرق ليهاجموا القبة الصغيرة التي نالت من قوتها بعض القذائف بقيادة الحاكم، الذي أثبت أنه مقاتل عنيف لا يشق له غبار. للزود عن كهنتهم المحبوسين بداخلها. وليستكملوا قتالهم .

وكما تحركوا بسرعة، توقفوا أمام القبة المشعة بشكل أسرع، وهم يتأملون المشهد المبهر .

كانت أسطوانات الكهنة اللامعة تتألق بضوء أخاذ، في حين كانت ماي آر متوقفة في مكانها كتمثال فاتن تحوطه الخيوط الذهبية، بينما تعلق المهاجمون الخمسة في سماء القبة كتماثيل مخيفة الشكل .

وكان من الواضح للحاكم وجنوده أن كل شيء متوقف
.

كل شيء كان بداخل تلك القبة أصابه الجمود، وكأن الزمن خارج القبة غير داخلها .

وبلغته عالية الطبقات ردد الحاكم في خشوع

- «لقد أوقف الكهنة الزمن !».

وفي اللحظة التالية سجد جميع الجنود في خشوع .

ثم نبض الطوطم .

لتهتز الأرض بعنف، قبل أن يحدث الانفجار الضوئي الرهيب، ليتوهج كوكب الأرض كله .

وليشعر الحاكم وجنوده، ومن تبقى من الجماهير حيًا، أن أجسادهم تشتعل بالنيران، قبل أن يسود الصمت التام الكوكب .

ومن داخل القبة الصغيرة، وبنفس السرعة البطيئة، رصد عقل ماي آر، تلك التحولات الرهيبة التي تحدث للمكان .

وبعد عدة قرون بتوقيت رصدها العقلي، أدركت أن الطوطم عكس مسار الزمن بوسيلة ما .

وأن الزمن يعود بالجميع للخلف .

ثم رصدت تلك الاسطوانات المعدنية التي تحتوي الكهنة بداخلها تتوهج بقوة، قبل أن تخبوا لتدور حول نفسها، ليظهر أمام عينيها، الكهنة أنفسهم، بأجساهم الضئيلة بداخل أزياء معدنية براقة، لتكون أول من التقى بهم، وعرف حجمهم وهيئتهم على سطح هذا الكوكب الملعون .

كوكب الأرض .

وعبر حلته المعدنية المصنوعة من أصلب مواد الكون وأكثرها مرونة، توجه نحو ماي آر أحد هؤلاء الكهنة، وحملها بين يديه دون أن تستطيع مقاومته، ثم غرس في رأسها شيئًا ما أصلاها ألمًا لحظيًا رهيبًا تخطى حاجز التوقيت، وهنا لم يتحمل عقلها التغيرات الحادثة .

فأظلم الوجود من حولها .

قبل أن يتلاشى كل شيء !.

(14)

- «أين أنا؟ ».

تردد السؤال في رأس أمير لأجزاء من الثانية، قبل أن ينتفض جسده بعنف، بعد أن أصابته صاعقة كهربية عنيفة، لم تترك خلية في جسده إلا وأحرقتها من الألم، صحبها غثيان رهيب اجتاح معدته، مع رغبة عارمة في القيء، ليتبدل السؤال في رأسه على الفور

- «ماذا يحدث لي؟ ».

وبدون مقدمات، سمع صوتًا مدويًا يشبه مزيجًا من هزيم الرعد، أو انفجار دانات المدافع العملاقة، مع قرع طبول هستيري، أصابه بتوتر شديد وصمم جزئي، جعله أكثر حيرة وعجزًا مما كان يشعر به، وهو يصرخ

- «توقفوا !!».

ومع الصاعقة الكهربية الثانية الأشد وقعًا من الأولى، تلوى جسده كله من الألم، فصرخ حتى كاد يمزق

أحباله الصوتية، وإن شعر بوعيه يصفو برغم موجات الألم العنيفة .

وعندما فتح عينيه المجهدتين، صدمه الظلام الدامس المحيط به، ليتحول توتره إلى خوف خالص، وهو يتخيل نفسه وقد أصابه العمى .

أما ما كاد يوقف قلبه هلعًا، هو ذلك الإحساس المقيت الذي يرصده عقله، ويوحي له بأن هناك ملايين من الأهداب الحادة، أو المخالب الدقيقة، تنشب في جدران معدته وتمزقها في قسوة وإصرار. بل وتتسرب عبر دمائه إلى كل خلية من جسده، كسرب من نمل غاضب لا يتوقف عن قرصه وانتهاكه، ليداخله إحساس قاتل، بأن هناك كائنًا مجهولًا يمرح في أحشائه، وربما عما قليل سيمزقها وصولًا لقلبه، فينتزع منه الحياة .

خوفه الذي تضاعف من الفكرة كاد يعجل بالأمر عن طريق سكته قلبية مفاجئة، عندما اجتاحته الموجة الثالثة من الألم؛ فالصاعقة الكهربية الثالثة كانت

مزلزلة. بل كانت فوق كل احتمال. هو نفسه لا يعرف كيف ظل حيا بعدها، وللأمانة فإنه شعر هذه المرة، بروحه تغادر جسده بالفعل !.

شهق بعنف ليعوّض نقص الهواء، فشم رائحة الموت، وامتلأ بها، ثم استسلم لها .

الأكسجين يتناقص من رئتيه، وشعور الغرق يتغلغل في أعماقه، وعيه يهتز، الظلام يصبح أكثر كثافة .

لابد وأنها هي اللحظة الموعودة، سيموت دون أن يقاوم على الأقل .

صوت الطبول العنيف يزلزل كيانه كموسيقى جنائزية مروعة .

يتخلى عن وعيه

يترك جسده تمامًا لقبضة الموت

صوت الطبول يتضاعف

جسده يرتج

تنفسه يتوقف

لقد سمع عن سكرات الموت، ومعاناة المحتضرين، فهل ما يمر به هو الاحتضار بالفعل؟ .

إن كان هذا الألم هو ألم السكرات، كيف ستكون ضمة القبر إذن!؟ .

انتظم تنفسه.. هدأت تلك الحركة المريبة أسفل جلده، وتلاشى الغثيان من معدته، تبدد الظلام من عينيه، فتشبث بالوهج البعيد .

الآن يرى النفق الذي طالما سمع عنه. النفق الذي لا يراه إلا المحتضرين، والمشرفين على الموت .

الآن سيخترق الضياء نحو العالم الآخر، ليعرف الحقيقة الكاملة .

الآن أدرك عن يقين أنها النهاية .

الآن سيموت !.

لابد وأن الجحيم يستعد لاستقباله .

صاعقة كهربية جديدة جعلت مخه يرتج في رأسه، وجسده ينتفض في عنف، لتجتاحه الهلاوس، فيتشكل في رأسه كل تخيل مر بعقله ذات يوم عن الجحيم، والنار الموقدة التي خُلِقت قبل نشأة الحياة .

ليتخيل نفسه بين أيدي الزبانية يطرحونه في النار، ليعاصر الآلام الناتجة عن ذوبان جلده، وانفجار عينيه، وتحول عظامه لرماد ملتهب من شدة الحرارة، ليصرخ بكل ما دخله من روع

- «لتذهب كل الحقائق إلى الجحيم! لا أريد أن أموت! لا أريد أن أموت !».

صاعقة كهربية أخرى تبدد من رأسه هذه الأفكار، وتنقذه من هلاك محقق .

الرؤية تصفو أكثر، وخوفه يتضاعف .

يتجسد أمام عينيه النفق .

يرمقه في غير فهم .

الأفكار المخيفة تتراص في عقله كشواهد القبور .

يشعر بالضياع والبرد، وهو يفكر في قلق وحيرة

«هل ما يراه في نهاية النفق ضوء، أم نيران مستعرة؟؟ ».

يبحث عن مخرج أو مهرب بلا جدوى

يتأمل النفق، ثم تقفز في رأسه فكرة جديدة، وهو يقاوم الغثيان الرهيب الذي يعصر أحشاءه .

«هل هذا هو البرزخ؟؟ ».

«هل هو وحيد هنا؟ أم هناك غيره من الخطاة والآثمين؟؟ ».

يستدير ليعود، ولكنه يصطدم بحاجز غير مرئي يجعله ينتفض من الألم !.

لا عودة إذن !.

هو لن يتقدم على كل حال، لن يجازف بأن يكون النفق هو الطريق للجحيم.. النار شيء بشع كعقاب، أبشع من كل أخطاء البشرية !.

سيظل في البرزخ إلى الأبد.. لن يجبره شيء على التقدم، كما انتزع منه حق التقهقر .

الهلاوس من جديد ..

لابد وأنها هلاوس؛ فتلك اليد العظمية التي تخرج من أرضية النفق الآن لا يمكن أن تكون حقيقية بأي حال من الأحوال؛ إنه ليس ممثلًا بأحد أفلام الرعب السخيفة .

الأفضل أن يكون قد جن، وتكون هذه اليد مجرد هلاوس، من أن تكون حقيقة؛ لأن هذه اليد المخيفة

تحولت بعد لحظات لذراع أسود مخيف، ثم أصبحت يدين متكاملتين، منتهيتين بمخالب لا تناسبهما في الحجم، وظهرت بعدها الرأس الممسوخة التي لا ملامح لها، ثم تشكل جسد كامل أمامه. لو كان ما يراه هو أحد الزبانية، فما في نهاية النفق هي نار الجحيم !

الظلام يشوه كل شيء.. تفكيره نفسه مشوه.. وبرغم ذلك، وبرغم يقينه من النهاية، كان يبحث عن مهرب .

حدق في النيران التي في نهاية النفق، ثم عاد ببصره لذلك المسخ الواقف أمامه والمتسربل بالظلام .

تفحصه في روع وقلبه يدق في عنف جعله يتساءل: «هل تصحب الأرواح معها دقات القلوب؟ ».

الظلام أمامه يقطعه الجسد المعتم لذلك المسخ المجهول .

كان حجمة كعماليق قوم عاد، جسده وكأنه قطعة من الفحم الأملس، مخالبه عظيمة كأسنة الرماح، وجهه بلا

ملامح، ولا توجد له أعضاء خارجية تحدد حقيقة جنسه، وكأنه ظل كثيف القوم .

والمخيف أن المسخ المعتم، كانت تتراقص من حوله الظلال، فمنحته سمتًا شيطانيًا مخيفًا .

إنه في قلب الجحيم دون شك، أو في البرزخ القريب المؤدي إليه .

ينظر للظل يحاول أن يكذب بصره، ويقنع عقله أنه مجرد انعكاس للنيران !.

الظل الشيطاني يتحرك !.

هل هو يشير إليه حقًا!؟ .

أحقًا يدعوه ليقترب؟ .

هل آن الأوان ليلقي به في النار؟ .

ألن يكون هناك حساب!؟ .

هل يملك أن يوافق أو يرفض؟ .

طنين مخيف يجتاح عقله

الظل يقترب

النيران تسعى خلفه

قرع الطبول الممتزج بهزيم الرعد يتصاعد

ينظر للمسخ الذي يشير له في إصرار .

يفكر :

«أهو كائن حقيقي؟ أم هلوسة الاحتضار ؟ ».

يحدث نفسه في مقت

«ليكن الشيطان ذاته! المهم أن أهرب من هذا المصير !».

المسخ يردد بصوت مدو

- «عليك أن تكمل مهمتك! عليك أن تكمل مهمتك !».

الطنين يرتفع

صاعقة كهربية أخرى تضرب أعماقه، يشم على إثرها رائحة شواء

الطنين يشتد

الظل يهتز

النيران تتبدد

صرخات رهيبة تدوي في رأسه يكاد ينخلع منها قلبه

الطنين يتحول لصوت انفجارات مرعبة

النفق يظلم

لا شيء سوى الظلام !

صاعقة كهربية أخرى

أسراب النمل تتراجع وتغادر دمائه

الطنين يخفت

الغثيان شديد ولكنه محتمل

عيناه ثقيلتان، ولكنه قادر على فتحمها

شيء ما يتغير

شعور طاغ بالحياة يتفجر في أنحاء جسده

الآن يستيقظ أمير !

الآن يدرك أنه كان يمر بهلوسة عقلية ثقيلة

الآن يدرك أنه لم يكن يحتضر

يفتح عينيه ببطء، يفاجئه الظلام، والسقف القريب، وحجارته القاسية الخشنة التي تتقاطع مع جدار وحيد، يراه من وضع الرقود .

المكان كله غير مألوف، ولا ذكريات في عقله عنه .

يتنفس في عمق

يغتصب ابتسامة ليملأ بها وجهه، قبل أن يردد في حبور

- «إنني حي! حي !»

فجأة يتوتر الهواء من حوله، وكأنما يحمل شحنة رهيبة من الكهرباء الاستاتيكية

يرفع رأسه فيصدمه الظلام

المكان بارد ومظلم، وفراشه هو البقعة الوحيدة المضيئة في المكان .

يضغط على جسده ليهب جالسًا، عندما يكتشف أنه مقيد من يد واحدة بسلسلة حديدية إلى الفراش،

الحقيقه أنها لا تعيقه عن الجلوس، ولكنها تبعث برأسه المخاوف .

يتأمل المكان بقلق

لا شيء إلا ضوء مجهول المصدر وفراش .

يحاول أن يتذكر أي شيء

عقله يعانده

الغثيان يمزقه مجددًا

يصرخ بكلمات غير مفهومة .

يستغيث من المجهول

يتوتر الهواء من جديد

ينظر حوله في رعب

يعصر عقله .

تمر ثوان من الحيرة يقطعها هدير متصاعد

يتنفس في راحة

هناك من سمع استغاثته.. هناك من سيخرجه من هذا المكان الكئيب المقبض !

الهدير يتصاعد

الهواء يزداد برودة

الخوف يتسلل إلى قلبه

قرع الطبول

ثم صاعقة كهربية مزلزلة تنتقل من قيده المعدني إلى جسده

يصرخ في عنف

يصرخ.. يصرخ.. يصرخ

ثم يشهق !

وخلال دقيقة كاملة شعر بأن عقله يذوب، وأفكاره تنصهر، وجسده يحترق من ذلك الكم الرهيب من

الذكريات الذي سكب بداخله فجأة، وكأنما كان هناك سد يمنعها من الوصول إليه قبل أن يتهاوى .

البقع السوداء التي غزت عقله تلاشت

إنه الآن يغرق في شلالات ذكرياته

إنه الآن يعرف أين هو

ويعرف ما قاده إلى السرداب

إنه يتذكر كل شيء

ويعرف كيف بدأ الأمر

للذكريات في عقله رائحة المقابر، وكأنما طمرت منذ عهد سحيق بأعماقه، دون أن ترى النور أو يمسها الهواء .

الظلام من حوله ثقيل، والذكريات أثقل وأكثر دموية ووحشية .

«هل أنت مستعد لتفعل أي شيء مقابل المزيد من المال؟ »

هكذا بدأت مأساته .

الحكمة القديمة تقول: «ومن باع نفسه للشيطان، فقد حريته للأبد» بينما كان هو يدرك أن من باع نفسه لإنسان يتحول إلى شيطان رجيم .

هكذا صار في يوم وليلة عبدًا لشخص آخر، سيد اشتراه بعشرة آلاف جنيه، ووعده بالمزيد، وهو وعد أن يفعل المطلوب مهما كان. كما أنه لم يكن يرى في نفسه غضاضة في أن يصير عبدًا حتى يمتلك المال الكافي، الذي سيجعل الجميع يعتبرونه سيدًا في وقت ما .

فهو يعرف جيدا أنه يحيا في مجتمع لا يقدر ولا يقدس إلا من يملك المادة، ساعتها يصير صاحبها منزهًا عن البشر .

القصة بالنسبة له كانت منتهية؛ صحفي فاشل فاسد سيغير مهنته القذرة، إلى مهنة أقذر تدر عليه ربحًا جيدًا .

سيصير قاتلًا محترفًا، أو كاتبًا مناهضًا للنظام، أو تابعا له، أو أداة في يد أحد الحيتان الكبرى.. قصة سعيدة قصيرة .

ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة.. الآن فقط يدرك هذا !

الآن وهو محبوس ومقيد بقلب السرداب أسفل قصر مايا، كحيوان وحشي شرس، وتتم السيطرة عليه بالموجات الصوتية العالية التي تشبه قرع الطبول، وبالصدمات الكهربية المتدرجة في القوة، كالمجاذيب والمرضى النفسيين شديدي الخطورة .

الآن يعلم عن يقين أن هناك شيئًا ملعونًا يسكن أحشاءه، وأن هذا الشيء لن يغادره إلا وهو جثة هامدة، وأنه قد منحه ذات يوم قوة خارقة.. لا يعرف أين ذهبت مع عجزه هذا كله .

الآن يعلم أن مايا لم تنتزع إلا الكائن الرئيسي، وأن الكائن الاحتياطي عاد ليتضخم ليقوم بمهام الكائن الرئيسي، وربما في أحشائه أكثر من كائن آخر كامن، إن تلك الكائنات اللعينة لا تتوقف عن التكاثر .

الآن يعلم أن مصيره مظلم، كتلك الأحداث التي خاضها طوال الفترة الماضية، كل المناطق المظلمة من عقله أضاءت الآن؛ لقد تم شحنها بالكهرباء. أعجبته المزحة فأخذ يضحك عليها بهستيريا كالمجنون .

كان يتجنب الخوض في بحار ذكرياته.. كان خائفا من أن يعلم أكثر.. أن تفصح له الذكريات عن المزيد من الكوارث

لقد باع مبادئه لأول من منحه مرتبًا ثابتًا في تلك الجريدة الصفراء القذرة، ثم باع حريته لمن منحه أول مظروف متخم بالمال، وبعدها باع روحه لتلك الشيطانة التي وعدته بالمزيد من الثراء والأمان، وأخيرا باع ولاءه لذلك الشيء الشيطاني الذي يسكن

أحشاءه، وهو مستعد أن يبيع العالم كله، ويراه محترقًا، لو منحه أحدهم كوخًا آمنًا في صحراء آمنة .

إنه ليس شيطان، بل مجرد بشر، لم يقبل بما قسم له، وسيظل يقاتل ويخسر في طريقه كل يوم جزءًا من نفسه، وفي النهاية لن يحصل إلا على ما قسم له، ونار أبدية .

لذلك كان كل خوفه أن تكون ذاكرته التي عادت له تحمل ما يمكن أن يضره أو يهدد حياته التي بلا قيمة من الأساس إلا في نظره .

وفي النهاية، وبعد تقلصات عنيفة في أحشائه، وصاعقة كهربية جديدة، ومن بين أنياب الألم، قرر أن يخوض رحلة الذكريات؛ لعله يجد فيها ما يمنحه المزيد من الوقت في هذه الحياة .

وكي يتخلص من ذلك التشتت الذي يسببه له ذلك الكم الكبير من الذكريات غير المترابطة .

كان يعرف من أين يبدأ جيدًا

كان يعرف أن اللقاء الأول كان الأهم، والأبشع

وببطء تمدد في الفراش، ثم أغمض عينيه، وسبح مع المجهول إلى أعماق ذاكرته.. وكان ما يقبع هناك مخيفًا ومروعًا !

(15)

إن أكثر الأشياء بؤسًا التي يمكن أن تقع لشخص سيء الحظ، أن يسقط في غيبوبة بين يدي أعدائه، ساعتها سيكون تحت رحمتهم وتصرفهم، ولو أرادوا تمزيقه إربًا فلن يملك أن يعترض، ولو تجاوزوا عن قتله فلابد من تعذيبه.. هذه هي القواعد المتعارف عليها، بينما الاحتمال الثالث الذي لا أعتقد أن هناك من واجهه أو سيواجهه من بعدها، هو أن يستيقظ ليجد نفسه في عالم آخر .

نعم عالم آخر !

لم تجد زهرة تعبيرًا مناسبًا غير هذا .

جسدها كان يقبع في ذلك القبو البارد، الشبيه بالقبر، والذي يحتل كل مساحة قصر مايا رشدي، مكبلًا، هامدًا، وكأنه لا حياة فيه، بينما عقلها ووعيها، وذاكرتها، سافروا عبر الزمن والمكان، إلى منطقة لا يوجد بها حدود للزمان أو المكان .

كان التجسد في هذا الفراغ الكوني صادم، وجعلها ترى كل قبح العالم مركزا، بل وتطّلع على قبحها الشخصي، لتعرف كم ابتلي هذا العالم بوجودها. ولو كان لها جسدًا ماديًا حينها، لتقيأت حتى قضت نحبها من فرط التقزز .

كانت تجربة مخيفة؛ فلو احتوى القصر على كم مذهل من الطاقة السلبية، فهنا خُلِقت الطاقة السلبية ذاتها .

تلك الطاقة السوداء، التي سلبتها كل إحساس بالثقة شعرت به يومًا .

لقد احترقت، وتناثرت آلاف المرات، دون أن تمتلك القدرة أو المعرفة التي قد تمكنها من الهرب من ذلك المصير المروع، الذي كان يتكرر إلى ما لانهاية .

كانت هي، ثم صارت عدم .

عنقاء لا تعرف الهدف من وجودها على هذه الأرض، إلا أن تُبعث وتموت إلى ما لانهاية .

كان عقلها وكل ما به من ذكريات، وأحلام، ومعلومات، وأوهام، وذكريات، مفتوح على مصراعيه أمام تلك القوى الخارقة التي شرعت في انتهاكه، في بطء وثقة ونظام، وكأنها ليست المرة الأولى التي يقومون فيها بعمل مماثل .

كانوا يجوبون مجاهل عقلها، ومجاهل التاريخ والزمن، ومنحتها هباتها الفائقة القدرة على التلصص على تلك العقول الخارقة .

كانت رحلة عقلية مذهلة، عبر ذاكرتها الجمعية، وذاكرة أسلافها .

كم دامت هذه الرحلة؟ ربما عدة ملايين من السنين، أو ما يفوقها .

الحقيقة أنها شعرت أنها هناك من بداية الخلق، لدرجة أن روحها هرمت، وتغضنت، وطالبت بالموت لتستريح

.

ولأنها لم تكن حمقاء كما تصور من أخضعها لهذه التجربة الفائقة؛ فقد كان لديها شك في أن تكون بعض هذه الذكريات مجرد شراك خادعة، تحوي بداخلها مجموعة من التواريخ والذكريات الزائفة التي قد تقودها إلى طريق مضلل؛ خاصةً وقد رأت في واقعها التاريخ وهو يُعبَث به أمام عينها، عبر وسائل الإعلام، ويتم تزيفه طوال الوقت، بل ويتم إقناعها بما يطرأ عليه من طمس وتدليس .

ولأنها لن تجد فرصة أخرى مماثلة، فإنها استغلت قدراتها، لتنقب في ذاكرة تلك العقول التي كانت ترتع في عقلها دون هوادة.. والتي بدت لها، وكأنها تحمل ذاكرة الزمن كله. فنفذت من خلال بعض الثغرات العقلية إلى ذاكرتها التراكمية الأسطورية، وبدأت تشاهد وتتعلم .

الميزة الكبرى في تلك العقول شبه الخالدة، أنها كانت منظمة ومتصلة، ومتواصلة، مع كل مصدر للعلم أو الطاقة في الكون بطريقة عجيبة .

أخطبوط كوني ذو قدرات كونية لا محدودة ولا نهائية .

شيء لا يمكن وصفه أو حصره .

وعن طريق تلك الثغرات، تقمصت زهرة آلاف الحيوات، وزارت آلاف الأماكن، وبقيت في بعضها لعدة آلاف من السنين، وجرَّبت آلاف الاحتمالات .

بل وامتلكت قدرات شبه إلهية في متابعة بلايين الأحداث والتغيرات والتحولات في أثناء دراستها لأطوار البشر والمخلوقات والمواد، حتى أنها كان يمكنها في جلسه تركيز واحدة، أن تخبرك بمستقبل كل كائن حي أو جماد، أو دفقة من الطاقة سكنت هذا الكوكب .

بل بإمكانها تحديد مكان كل ذرة نتجت عن الانفجار الكبير، وتخبرك بمكانها وموقعها، والتحولات التي ستواجهها، ومقدار الطاقة التي ستكتسبها بعد مليون عام من الآن .

لقد كان الزمن متاحا أمامها بطريقة لا يمكن وصفها، لدرجة أنها انهمكت في تتبع دورة حياة قطرة ماء لعشرة آلاف عام، دون أن تصل لنهاية محددة، أو تصاب بالإنهاك .

فكل الاحتمالات عندما تملك الوقت لانهائية .

كل الاحتمالات كانت في مرحلة ما تقود إلى الخالق العظيم، الذي نقيس قدراته اللانهائية وحكمته العظيمة، بمقاييس بشرية حمقاء وقاصرة، لا تصلح عن طريقها المقارنة أو القياس أو الفهم .

الكون والحياة وما خلفهما أعقد كثيرًا، من أن نخلع على خالقهم أي صفات أو قدرات بمفهومنا البشري الضيق .

حتى الرياضيات والفيزياء المعروفة، سيأتي عليها وقت لتقف عاجزة أمام خلق الله العظيم، فما بالكم بالخالق نفسه !.

إن تتبع حياة بشرية واحدة، من أول مرحلة العدم، لتكون الخلايا، ونموها، وتفاعلات الجسد مع الطبيعة والمتغيرات من حولها، من بدايتها إلى نهايتها، يحتاج على الأقل لكمبيوتر كمي بحجم الكون كله، ليخبرك بنتيجة تقريبية لمستقبل هذا الفرد .

فما بالكم بعلام الغيوب! الذي سيّر الكون كله، ومنح للإنسان حرية الاختيار، بل مليارات الاختيارات، وعرف بعظمته بكل نتائجها مسبقًا، بل وبالنتيجة النهائية التي تؤول لها الأحداث، مهما تبدلت اختياراتنا .

لقد وصلتُ لنتيجة واحدة مؤكدة في هذه المرحلة المبكرة من تجربتها :

أن الإنسان مخير منذ نشأته .

نعم الإنسان مخير منذ خُلِق؛ لأنه امتلك العقل، ومن يمتلك العقل يمتلك الاختيار .

فالاختيار هو إعمال العقل .

ربما هناك عوامل كثيرة خارجية تؤثر على الاختيار، ولكنه في النهاية قادر على تكييف اختياره ليتناسب مع ميوله .

الأمر يدير الرؤوس، والتجربة نفسها أعظم مما يتاح لها من مفردات للتعبير عنها، وكما قادتها هذه التجربة في مرحلة من المراحل للإيمان، قادتها المعرفة الزائدة للشك، وبدأ يقينها السابق يتبدد، وفي لحظة واحدة انعكس كل شيء. حتى أنها قوضت كل ما آمنت به يومًا، أو اعتقدت بصدقه .

لذلك كانت تقاتل كي تكون محايدة، وحصرت كل تركيزيها في جمع تلك المعلومات وحصرها، على أن تعود لفحصها وتفنيدها فيما بعد؛ هي لن تسمح بأن تكون تلك الذكريات والمعلومات المدهشة وسيلة لبرمجتها عقليًا مهما حاولوا .

لذا كان عليها أن تندمج أكثر وتُضعِف أي مقاومة لعقلها حتى تنتهي الرحلة؛ لتهوّن الأمر على خلاياه التي تحترق، وأن تتوقف عن التساؤل لتحظى بأكبر

قدر ممكن من المعلومات؛ فهي على كل حال فرصة لن تتاح لأحد آخر خطا بقدمه يومًا، فوق هذا الكوكب المشؤوم .

وفي النهاية بدأت تلك التجربة تتخذ منحنى عنيفًا؛ فعندما كانت ترغب في أن تسيِّر الأمور في اتجاه معين، كانت تسير في الاتجاه الآخر !.

مما أكد لها أن هناك شيئًا خاطئًا في كل ما يحيط بها .

هذا القصر

هذه العقول

مايا رشدي

الاتصال العقلي الفائق المحجوب

ذلك الكم الرهيب من المعرفة الذي تحتويه تلك العقول الخارقة، والذي لا يتم استغلاله

هناك خاطر مزعج يخبرها أنها لا تخوض هذه التجربة لتتعلم، بل ليتم العبث بها .

كانت في لحظة قادرة على طي الكون جيئة وذهبًا، ولألف عام كسيحة .

كانت هي ربة المعرفة المطلقة، وروح الجهل العاتية .

وطوال الوقت كانت تستخدم كل قدراتها بطرق معقدة، لا تعرف أين ولا متى ولا كيف أُلهمت القدرة على استنباطها والتحكم بها .

هل كانت هي من تتحكم فيها حقًا؟ .

الزمن يمضي.. المعرفة تتراكم

الإرهاق يعتصرها عصرًا .

وبعد فترة من المعاناة والصراع، انتظم وعيها، وصار عقلها أكثر مرونة، ولم يعد سرًا أن من نشط قدراتها، وفتح مداركها، وأطلق عقلها، هو وجودها أسيرة وسط

تلك المجموعة من العقول العملاقة الخارقة التي لا تتوقف طوال الوقت عن بث المعرفة، أو استقبالها، أو تحليلها، أو تفنيدها، ومقارنتها بعلوم تعود لأزمنة لم تسمع عن وجودها من قبل، وكأنها كمبيوترات كونية عملاقة لانهائية السرعة والذاكرة، والقدرات .

إن هذه العقول شيء معجز !.

ولا يمكن لبشري طبيعي، أو غير طبيعي، الإحاطة بقدراتها أو حتى تخيلها .

ولولا أنها تمتلك وعيًا منقسمًا، قادرًا على خفض سرعة الأحداث ومتابعتها كلًّا على حدة بفواصل زمنية معقولة، لربما هلكت من الصدمة، أو أصابها الجنون، فصارت كائنًا لا عقل له .

إن كل ما مرت به في حياتها صارا شيئًا تافهًا وهامشيًا، أمام ما امتلكته من معرفة. ذكرياتها نفسها وما تحتويه من حقائق ومعلومات، صارت أكثر وضوحا من أي وقت مضى. وإن كانت حتى هذه

اللحظة لا تعرف كيف استطاعت الصمود في الصراع مع أحدها، بل وتسببت في موته وهلاكه !

لقد كان صراعًا مروعًا !.

لا تعرف كيف بدأ ولا لأين قادها ولا متى انتهى .

كل ما كانت حريصة عليه، وبذلت من أجله مجهودًا خرافيًا، هو ألا تفقد هويتها وكينونتها في هذا المنفى العقلي الرهيب .

إن الأبدية، والقوة المطلقة، والمعرفة الشاملة، كلها أشياء خارج حدود القدرة البشرية المحدودة والقاصرة، والأكثر غرورًا في هذا الكون اللانهائي .

كان حلمًا أبديًا، خاضت فيه حتى غرقت. وكلما تخيلت أنها على مشارف الوصول، كانت تتفاجأ بأنها لم تتحرك خطوة واحدة بعد نحو بداية الطريق، الذي اكتشفت في النهاية أنها تجهل عنه كل شيء .

كم نحن بؤساء ببشريتنا ووهننا وضعفنا! نحن لم نُخلَق لنصبح آلهة، ولكننا لم نتوقف لحظة عن السعي لنكونها !.

كانت رحلة مروعة ورائعة، وبرغم ذلك لم تصل بها إلى كنه الحقيقة؛ ربما لأنه لا حقيقة هناك، أو أن الحقيقة هي كل شيء ننكره .

تلك الدائرة الجهنمية المغلقة، ظلت مغلقة، ولكنها تعلمت الكثير وصارت أكثر نضجًا وفهمًا ووحشية .

وكان أفضل ما تعلمته أنه لا شيء مؤكد، وأن الحياة كلها بتعريفاتها التي لا تنتهي تخضع لشيء واحد هو تخيلاتنا .

كل الحقائق مشوهة؛ لأنها مجرد التفاف على الحقيقية الكبرى التي ننكرها طوال الوقت، والتي لم تعد غامضة أمامها .

نحن لا شيء .

مجرد كائنات هشة، على كوكب هش، يعيشون حياة زائفة، يمارسون فيها كل الموبقات بعد تغليفها بإطار زائف من القوانين والمبادئ والعقائد .

نحن لا شيء، والكون لن يخسر كثيرًا بانقراضنا، ولن يتأثر كثيرًا بوجودنا .

مجرد جنس بائس عابر في حياة الكون، الأمور كلها تدور من حوله وتتخطاه ككم مهمل، وهو يعتقد أنها تدور من أجله .

وهذه هي خلاصة تجربتها الرهيبة شبه الأبدية .

لا تعتقد أنها مرت بتجربة مماثلة، أو ستمر بمثلها فيما بعد؛ إنها تدفع ثمن قتلها للعقل، والشيء المفاجئ أن موته لم يكن مفاجئًا لتلك العقول، ولم يقاوموا أو يحاولوا تغييره .

لقد خاضوا الصراع، وكل منهم يدرك النهاية الوشيكة، وتنبأ بها .

وأن نهاية أحدهم ستكون على يديها .

لم تعرف مايا رشدي شيئًا عن هذه النهاية، وربما لو عرفت لقاتلت لتمنعها؛ فبرغم عمرها الطويل، لم تتعلم بعد طبيعة الكون والأشياء، لم تعرف الحكمة في أن كل شيء سينتهي في وقت ما .

حزنها على سماح انحسر وتكتل بداخل قلبها، وإن رافقها طوال رحلتها الزمنية البغيضة، التي أثارت في عقلها التساؤلات أكثر مما أجابت عليها .

كل شيء تسطح في عينيها، إلا رغبتها في وجودها بقربها لتضمها وتطمئنها أن الأمور ستكون بخير .

كانت تبحث عن التحرر من قيودها وقدراتها وقوتها وعجزها .

كانت مرهقة لدرجة أن تطلب الموت كي تستريح .

ولكن مهمتها كانت قد بدأت الآن؛ فوجودها في هذا المكان، وكون وعيها اندمج مع تلك العقول الخارقة،

كان جزءًا من خطة أكبر لشخص مخيف ومفزع، أكثر من الموت ذاته .

الساحر !.

كانت وما زلت بيدقًا ضعيفًا في لعبة شطرنج دموية يطلقون عليها الحياة .

(16)

ظل الظلام مسيطرًا على عقل ماي آر لفترة لا تعلم مداها، لدرجة أن السواد نفسه تسلل إلى روحها، فظهر المدى أمامها مدلهما، غارقًا في ليله الخاص، بينما كان الصمت من حولها يعزف سيمفونيته السرمدية الماجنة، ساحبًا من حولها كل أثر للحياة .

لم يفزعها الظلام، ولا المجهول، ولا الصمت المقبض. كانت تشعر أنها تنتمي لكل هذه التفاصيل الكئيبة بشكل ما .

أطل الفراغ المحيط بها كثيفًا ورقيقًا، كتل الظلام الناعمة من حولها كان لها قوام وملمس عجيبين، وكأنها وسائد من مخمل أسود، لدرجة أنها بدأت تشك في وعيها، وحقيقة يقظتها .

هل يمكن أن يكون ما تمر به هو حلم؟ حتى لو كان حلمًا فهو أغرب حلم مرت به في حياتها كلها .

بعض الأفكار التي لا رابط بينها، تلمع في فضاء عقلها، قبل أن تتلاشى بنفس السرعة. عقلها يعمل كشبكة صيد ذات ثقوب عملاقة، لا تمكنها من صيد فكرة واحدة، أو الإبقاء عليها دون أن تتبدد .

لم تكن تدري هل هي استفاقت أم أنها في طريقها للغيبوبة. كل شيء مشوش بطريقة لا تفهما .

الزمن متجمد في عقلها.. لا شيء تهتم به إلا اللحظة الحالية، مع تواصل عقلي فائق بجسدها، الذي كانت كل خلية فيه تنبض من الراحة .

بعض الصداع الخفيف يداعب رأسها، ولكنه كان الشيء الوحيد الذي عكّر لوحة الراحة المبهرة .

لوهلة لم تستطع أن تحدد مكانها، أو سبب وجودها في هذا الفراغ الغريب، أو حقيقة ما تشعر به .

مر وقت طويل قبل أن تدرك كينونتها، وبعدها خاضت صراعًا عقيمًا لتدرك مكانها، أو الشيء الذي دفعها لتمر بما تمر به الآن .

ثم تذكرت

وكان الأمر كلطمة عقلية عاتية

إنها لم تكن تحلم

ولم تكن تحت تأثير أحد أنواع المخدرات الشائعة

ولا تمر بحالة صناعية من النشوة بتواصلها العقلي مع أحد المتحولين من المنطقة الجنوبية

إنها تسافر عبر الزمن

في رحلة عكسية مخيفة

إنها تذكر كل شيء

في موقف آخر كانت سترحب بالأمر تمامًا

إن العودة بالزمن شيء أكثر من رائع، لأي شخص أخر غيرها، لا يمر بالموقف العصيب الذي تمر به الآن .

والمخيف فيما تراه الآن أنها لم تستطع أن تحدد هل هي واعية أم أنها ما زالت تحلم .

الصداع يتزايد بشكل مطرد.. الذكريات تتبعثر في أروقة عقلها.. جسدها يشتعل بالنيران.. تتبخر كافة الأفكار إلا فكرة سفرها عبر الزمن.. إن ما تعرفه عن السفر عبر الزمن كونه أسطورة من أساطير الكهنة والأجداد .

كانت كثيرًا ما تسمع على لسان أمها، قصة الرسول الذي يركب مركب الحياة، ليعبر به نهر الزمن في كلا الاتجاهين منفذًا مشيئة الطوطم والكهنة، وتلك القصة عن القارة القديمة التي سكنها الطغاة الذين تحكموا في الزمن، والتي أفناها الطوطم كي لا يحولوا الكون لجحيم، و .

تبخرت الأفكار من رأسها مجددًا !.

ثم تبدل السؤال في عقلها

«ما هي فائدة السفر عبر الزمن بالنسبة لبشري عادي؟ ».

كانت تفكر وكأنها تتحدث مع شخص آخر. إن السؤال لا يخص السفر إلى المستقبل حيث المجهول، بل إلى الماضي حيث ارتكبنا من الأخطاء ما ندمنا عليه وظل يعكر صفو حياتنا إلى الأبد، وحيث ضيعنا ألف فرصة للسعادة، واتخذنا ألف خطوة خاطئة تمنينا لو تريثنا قليلًا قبل اتخاذها .

«وهل هو ممكن؟ ».

«ولو تحقق، هل يمكّننا من منع أحبائنا من سلوك الدرب الذي سيقودهم نحو النهاية؟ ».

«هل ساعتها سيتغير شيء في الوجود وفي داخلنا؟ ».

«ماذا عن البداية من جديد؟ ».

«هل تستطيع أن تنقذ أباها من مصيره المحتوم؟ ».

«هل؟ ».

كان الأمر مفزعا إلى درجة لا تحتمل !.

إن فكرة السفر عبر الزمن تتعارض مع حتمية القدر؛ فمن يستطع التحكم في الزمن يستطع التحكم في كل شيء آخر، ولن يمكن هزيمته أو قهره أو حتى مفاجأته، وكانت هذه هي صدمتها الأولى .

بينما كانت صدمتها الثانية هي هيئة وحجم الكهنة .

لقد تذكرت اللحظات الأخيرة قبل فقدانها الوعي، لقد رأتهم !.

لم يكونوا بالضخامة الهائلة التي تظهرها تلك الاسطوانات المعدنية البراقة. لم يكونوا حتى في حجم بشري عادي .

كانوا مجموعة من الأقزام في أزياء معدنية براقة تخفي كامل تفاصيلهم .

«هل؟ ».

كان الأمر مفزعا إلى درجة لا تحتمل !.

إن فكرة السفر عبر الزمن تتعارض مع حتمية القدر؛ فمن يستطع التحكم في الزمن يستطع التحكم في كل شيء آخر، ولن يمكن هزيمته أو قهره أو حتى مفاجأته، وكانت هذه هي صدمتها الأولى .

بينما كانت صدمتها الثانية هي هيئة وحجم الكهنة .

لقد تذكرت اللحظات الأخيرة قبل فقدانها الوعي، لقد رأتهم !.

لم يكونوا بالضخامة الهائلة التي تظهرها تلك الاسطوانات المعدنية البراقة. لم يكونوا حتى في حجم بشري عادي .

كانوا مجموعة من الأقزام في أزياء معدنية براقة تخفي كامل تفاصيلهم .

لقد ارتبطت القداسة في ذهنها منذ زمن بعيد بالحجم، بالضخامة، هذا ما صدّره لهم الكهنة باسطواناتهم البراقة العملاقة، وما يوحي به حجم الطوطم الهائل .

كانت هيئة الكهنة غريبة، مجرد جسد معدني قزم، يتحرك بآلية مثيرة للشفقة، كتمثال معدني بشري لا عبقرية في تصميمه، مع عينين مضيئتين كمصباحين باهتين، ولا شيء أكثر .

شيء يدعو للإحباط أكبر مما يدعو للدهشة

«هل هؤلاء الأقزام الخمسة هم من يتحكمون في مصائر الكائنات في مئات الكواكب عبر الكون!؟ ».

«هل هؤلاء هم الوسيط بينهم وبين الطوطم الذي تسكنه روح الأجداد الأوائل الذين أنشؤوا الحياة على هذه الكواكب؟ ».

إن الحديث نفسه لا يمكن أن يقنع عقل طفل .

ما حقيقة هؤلاء الأقزام وطوطمهم؟ وما علاقتهم بذلك الكائن العلوي الذي يأتيها في الرؤى؟ وكيف يكون هو الكائن الأسمى، مع كل هذا الغضب والعجز!؟ .

لماذا تمرد الرسول السابع؟ .

ولأي هدف تدور المعارك خارج حدود دولتهم؟ .

لماذا تشعر أن تسلسل الأحداث ناقص وغير متناسق؟ .

هل هي المرة الأولى التي يعود فيها الكهنة بالزمن؟ .

ثم والسؤال الأهم: أين هي الآن؟ .

هل هي حية؟ .

وإن ظلت حية، فلماذا؟ .

وفي هذه اللحظة، تضاعف الصداع في رأسها، ثم اختلط الضياء بالظلام بالألم، وبدأت تشعر أن كل خلية

من خلاياها تصرخ وتتمزق من الضغط، قبل أن تشتعل بنيران لا تخمد، ثم أظلم كل شيء وساد السكون .

مر بعض الوقت وهي في حالة من الترقب. كل شيء متجمد وكأنها لقطة من فيلم تم تثبيته، ثم سمعت الصرير البعيد، وبعدها عملت حواسها بقوة .

فتحت عينيها وأدارتها في أنحاء المكان، وهذه المرة كانت واعية ومدركة بطريقة حادة لكل ما حولها، بل وتحمل في عقلها كامل ذكرياتها ومخاوفها .

كان الهواء باردًا، جسدها أحيط برداء خفيف ناصع البياض زادها فتنة وإن لم يقِها حدة البرد، وبالطبع لم تكن هناك معلومة واحدة عن مصير ردائها الذهبي الذي كسا جسدها على المسرح .

وبرغم ذلك كانت لوحة بديعة من الجمال، وما شوه تلك اللوحة هو تلك القيود المعدنية اللامعة التي أحاطت بمعصميها وقدميها، وثبتتها إلى طاولة مستطيلة من نفس المعدن اللامع، لتدرك دون مجهود

أنها أسيرة في المكان، ليتسرب إلى كيانها القلق الذي سرعان ما تحول لخوف شديد .

أدارت عينيها فيما حولها بتلك الزاوية الحرجة التي سمحت بها القيود، والتوتر يغمرها. لم يكن المكان يشبه في تصميمه أي سيناريو تخيلته من قبل عن المكان الذي ستقابل فيه الكهنة، وتقضي فيه عامها التالي كخادمة للطوطم، وجاسوسة لأبناء الرب .

لقد تخيلت معبدًا سريًا عملاقًا لم يره بشري من قبل، أو قصرًا خفيًا مجهزًا بأحدث وسائل التكنولوجيا والراحة، أو حتى ساحة تأمل واسعة بالقرب من هيكل الطوطم الأعظم .

ولكن ما تراه الآن محبط؛ فهي مقيدة إلى طاولة معدنية باردة، بقلب ساحة فسيحة جرداء، محاطة بجدران معدنية من نفس المعدن اللامع، لا شاشة تفاعلية واحدة، ولا مصدرًا واضحًا للإضاءة، ولا أي لمسة فنية ولا حركة أو صوت يوحون بأن المكان كانت به حياة سابقة .

لابد وأنها سجينة، والمكان كله عبارة عن زنزانة حيث تم زجها فيها بعد أن تم اعتقال أبيها .

زنزانة مصمتة لا تختلف عن القبر في شيء .

راعتها أفكارها، فازداد قلقها على أبيها، فتساءلت بينها وبين نفسها في روع

«هل قبضوا عليه حقًا أم قتلوه؟ ».

ثم دوى السؤال المروع في رأسها

«أي المصيرين أفضل؟ ».

مر الوقت عليها وعقلها يرفض الكمون أو السكون، كما أن الكهنة الأقزام لم يظهر لهم أثر منذ استفاقت. حاولت إطلاق وعيها لتتلصص على أي أفكار تدور في المكان من حولها دون فائدة، فارتد إليها كاسفا. كان يحيط بها صمت هائل يحمل سمت الموت، والمقلق أن المكان يزداد برودة مع مرور الوقت .

هل حكموا عليها بالموت تجمدًا؟ .

حاولت مرة ومرة دون أن يرصد عقلها أي أفكار، أو نشاطات تدل على وجود أحياء حولها، وكأنها في منطقة العدم أو أحد غرف الخصوصية المنتشرة في الملاهي الكبيرة، حيث يستطيع العميل الذي يدخلها الصراخ أو إطلاق أفكاره مهما كانت بذاءتها أو عنفها أو توجهها دون أن يتم رصده عقليًا .

شيء ما كان يشبه Screem room في عصرنا، ولكنه خاص بذوي القدرات العقلية الفائقة .

كان الأمر مشابها ولكنه لم يكن هو.. إنها سجينة.. وحتى مع قوتها المفرطة من كونها هجينة فهي لم تستطع تحريك القيود أو التحرر منها، وفي النهاية استسلمت وقررت الانتظار

وهنا سمعت الصرير المزعج

تلفتت حولها فلم يتغير شيء !

نفس المكان المصمت الصامت البارد ..

صرخت ونادت بكل قوتها دون مجيب .

صمتت، فعاد الصرير بشكل أقوى جعلها على الرغم من قوة تحملها تصرخ من الألم .

اختفى الصرير، فتوقف صراخها، وأخذت تلهث في قوة، وجسدها الذي حاولت أن تكيفه على انخفاض درجات الحرارة يرتجف من البرد

دارت برأسها ألف فكرة قبل أن تعتم وعيها، وتغمض عينيها، وتقرر أن تُدخِل جسدها في سبات مؤقت كي لا تمنح لهم الفرصة للعبث بها .

وهنا سرى في الطاولة المعدنية التي ترقد فوقها تيار متردد قوي انتقل من قيودها إلى جسدها وصعقها بقوة، لتصرخ هذه المرة بغضب، ولتستقر في رأسها فكرة أخيرة حولتها على الفور إلى كلمات

- «حسنًا أيها الأوغاد! أنا أستسلم !».

وكأنها كانت كلمة السر التي فتحت لها أبواب المغارة، ليغمر المكان سائل ثقيل احتوى جسدها في ثوان معدودة، وجعل عقلها يعود لفكرة الإعدام .

كتمت أنفاسها كما لم تفعل في حياتها من قبل، أو في تدريبات محاكاة الغرق، وفي النهاية تدفق السائل عبر فمها إلى حلقها، ثم ملأ معدتها، وجهازها التنفسي، كما ملأ المكان من حولها، لتبدأ الشعور بالاحتضار .

ساد الظلام للمرة الثالثة بعقلها، قبل أن ينقشع هذه المرة، لتدرك أنها لم تمت، وأنها تتنفس عن طريق السائل، بنفس الطريقة التي كانت تتنفس بها في رحم أمها .

أما ما أثار حماستها، ثم رعبها، أنها أدركت أن السائل لم يكن وسيلة للتنفس فقط، بل وسيلة متقدمة جدًا لجعلها تتواصل مع الكهنة.. جميع الكهنة .

ليس الخمسة الأقزام ساكني الاسطوانات.. بل هم والآلاف مثلهم القابعين بداخل تلك القاعات الهائلة،

الموجودة بقلب سلسلة الجبال، التي ينتصب فوقها الطوطم العملاق .

كانت مفاجأة مذهلة.. مفاجأة قد تغير كل شيء !.

أما ما أقلقها، أنهم كشفوا أنفسهم أمامها بهذه السرعة. وعندما فكرت في أبيها، جاءتها الإجابة الأكثر من مفزعة: إنه لم يمت؛ لأنه لم يخلق بعد، وهنا قفز السؤال في عقلها: في أي زمن هي؟ .

وجاءت الإجابة

إنها في تلك الفترة المجهولة قبل أن يخلق الزمن نفسه

وكانت الإجابة مخيفة ومزلزلة !.

(17)

كان أول ما تذكره أمير هو عملية اختطافه .

لقد أخبره ذلك الرجل الذي يعتبره درجة السلم أنه عندما يقرر سيأتون إليه، ولم يتأخروا .

إنه يتذكر الآن.. كان الأمر أشبه بمشهد في فيلم خيالي أكثر منه واقع يمكن أن ينطبق على من هو مثله؛ ففي اليوم التالي، والذي تم محو كل ذكرى له من عقله بعدها، كان عائدًا من عمله؛ فهو لن يتركه لمجرد أنه حصل على بعض المال من مصدر غير دائم؛ هو ليس بهذه الحماقة بعد .

وأثناء عبوره لأحد الشوارع شبه الخالية، توقفت بجواره سيارة فان سوداء متوسطة الحجم ذات زجاج داكن يخفي من بداخلها، وفي لمح البصر كان قد تم مهاجمته، والزج به بداخلها وتقييده، وتكميمه، وعصب عينيه .

السرعة التي تم بها الأمر كانت تدل على أن من يقوم بها على درجة عالية من القوة والاحتراف، وهو ما أثار خوفه وفزعه، وجعله يسأل نفسه عما تورط فيه، بل ويفكر في ألف وسيلة يقوم عن طريقها بإعادة تلك المبالغ التي تحصل عليها إلى صاحبها ليخرج من هذه اللعبة الخطيرة .

فمن لديه مثل هؤلاء الرجال، وهذه الإمكانيات المادية، لن يكون شخصًا عاديًا، ولن يحتاج لبائس مثله. ثم إنه لا يتمع بمهارات استثنائية، أو يحتل منصبا هاما في منشأة ذات طابع حيوي، ليمنحه وجوده بها صلاحية الحصول على معلومات أو شيء ذا قيمه؛ إنه يعمل في جريدة حقيرة !

إن في الأمر شيء قذر !

شيء أكبر من قدرته على الاشتراك فيه .

إنه ليس بالشجاعة التي كان يدعيها، ولا يريد إلا الهرب، أو على الأقل فهم حقيقة ما تورط فيه بقبول

تلك الأموال الملعونة .

مرت الدقائق ثقيلة على روحه، لا يقطعها إلا صوت نفير السيارة، في حين كان أنفه يلتقط مزيجًا مختلفًا من الروائح، التي هي خليط من عطر قوي مع رائحة جلد حديث الدبغ، ممتزجة مع رائحة تبغ منفرة غير معتادة .

وكان عقله الذي اعتاد الهرب يرصد كل التفاصيل التي تمر به، لذا فإنه في النهاية رصد تباطؤ السيارة، ثم توقفها، وصوت بابها الجرار الذي يفتح، والأيادي التي دفعته في غلظة ليرتقي درجًا قصير بسرعة كاد على إثرها أن يتعثر، ثم عبور ذلك الرواق الطويل، والنزول عبر درج مماثل للذي ارتقاه منذ وقت قصير، ليسود الصمت بعدها، وإن لم يسمع خطوات انصراف مرافقيه، بعد أن فكوا قيوده .

لابد وأنهم يحيطون به الآن، أو ينتظرون شيء ما، أو شخص ما. لم ينتظر هو، وعلى الفور قام بنزع الكمامة والعصابة، ليسقط بصره على تفاصيل المكان الذي تم

الزج به بداخله، لينتفض في عنف! لم يكن المكان خاليًا كما اعتقد مع الصمت الذي ساد أرجاءه، بل كان يغص بما لا يقل عن عشرين رجلًا مسلحًا، مفتولي العضلات متناثرين في أرجاء ذلك المخزن الخالي هائل الحجم .

كانوا صامتين، منتصبين في وقفة عسكرية منضبطة، وفي منتصف المكان كان يجلس كبيرهم على مقعد وثير أنيق .

انقبض قلب أمير عندما وقع بصره على كبيرهم، وكأنه قد رأى الشيطان نفسه متجسدًا أمامه .

مجرد رؤيته هزته بشدة وأيقظت كل مخاوفه، حتى الكامن منها .

كانت لهذا الشخص كاريزما غير مسبوقة، راسبوتين نفسه لم يكن له مثل تلك الطلة الثقيلة .

كان وجهه غارقًا في الظلال، يرتدي على عكس من حوله حلة سوداء كلاسيكية، زينتها قلادة عملاقة

تناغمت مع شعره الرمادي المصفف بعناية، والذي يظهر من تحت قبعة سوداء عريضة. وكان حذاؤه يلمع، وكأنما لم يتم استخدامه من قبل. وبين أصابع يده اليسرى استقرت عصا أبنوسية ذات رأس فضية، في حين كانت أصابع اليد اليمنى تقبض على سيجار أنيق في حجم لفافة التبغ العادية، وكان يدخنه في شراهة، واستمتاع .

أشار له الرجل المخيف ليتقدم نحوه، فنظر أمير بقلق لمن يحيطون به من الرجال في قلق، وقبل أن يقرر الخطوة التالية، دفعه أحدهم ليجثوا على ركبتيه أمامه، قبل أن يفاجئه الصوت العميق الخارج من بين شفتيه

- «رجالي يعرفون كم يثير غضبي عدم إطاعة أوامري على الفور، لذا لا تتردد في فعل أي شيء أطلبه منك. إن ملامحك تشي بشخص بالغ مطيع ».

وصمت للحظة ثم أردف

- «ومحب للحياة ».

هز أمير الصوت العميق والتهديد الواضح، ولكنه كعادته أدرك مكانته، ودوره، والمطلوب منه، فقال بخضوع

- «خطأ لن يتكرر يا سيدي ».

أشار له صاحب الصوت العميق قائلًا

- «لا أحد عندي يكرر خطأه؛ لأنه لا يستمر على قيد الحياة بعد الخطأ الأول؛ فالمخطئ لا يستحق إلا الموت، وإن كان الموت أرحم من مواجهتي. فإن أخطأت اقتل نفسك قبل أن أصل إليك ».

انقبض قلب أمير في خوف؛ لقد زُجّ به إلى جحر الزنابير ولن يخلو الأمر من لسعاتهم، وإن كانت لسعات هذا النوع منهم مميتة .

هز أمير رأسه مؤمّنًا على حديث عميق الصوت، والذي أشار بيده إشارة ذات مغزى، فدفع رجاله رجلًا موثقًا

تظهر من حلته وهيئته سيماء الثراء، إلى تلك المسافة الفاصلة بين أمير وصاحب الصوت العميق، والذي أشار للشخص الموثق وتحدث بلهجة محايدة، وهو يدخن سيجارًا جديدًا قدمه له أحد رجاله مشتعلًا

- «أسعد عبد الرحمن.. رجل الأعمال الشهير، الذي لم يكن إلا نكرة قبل لقائي به، لابد وأنك تعرفه؛ فأنت صحفي على كل حال، ولابد أن تعلم أيضا أنه رفض أن يضحي بابنته من أجلي، والأسوأ له أنه اختار مواجهتي، رغم أن الطريق إلى الموت كان معبدًا أمامه لساعة كاملة، ولكن الثراء لا يصنع الأذكياء.. تذكر هذه الحكمة يا أمير.. المال لايصنع الأذكياء، الأذكياء من يصنعون المال ويحافظون عليه، ويقتلون من أجله ».

وعلى ذكر الفتاة، اقترب شخص عملاق يحمل فتاة عشرينية بين يديه وألقاها بجوار أبيها في قسوة، غير مباليا بصرخاتها الخائفة، أو احتجاجها، في حين استطرد عميق الصوت

- «مجرد تضحية بسيطة أمام كل ما منحته له من ثروة وجاه، وبرغم ذلك كان جشعًا وأحمق، وأنا قد أتقبل الجشع، وإن كنت أمقت الحماقة.. كانت لديه ألف طريقة لينتزع من ابنته الحياة دون أن تتألم، ولكنه أهدرها. والآن سيلقى الاثنان جزاء التمرد، وعصيان الأوامر، ولكني قبلها سأرفع عصا الرحمة. لو أراد أن يفتدي ابنته بنفسه، فلديه عشر ثوان فقط ليطلب لها الرحمة ».

فزع أمير مما يدور أمامه، ونظر للرجل المقيد ليستجديه ليفتدي ابنته، ورآه يهز رأسه في انكسار، ويحرك شفتيه في عجز دون أن يخرج منهما أي صوت، بل بعض الهمهمات المكتومة. كاد أن يهجم عليه ليصفعه، إن مشهد الفتاة المرتجفة يفطر القلوب، وهنا دوى الصوت العميق البارد :

- «توك توك.. نفذ الوقت.. وكنت أحمق كالعادة.. لو أنك جثوت على قدمي وقبّلتها لاعتبرته طلبا بالرحمة ولأطلقت سراحها، ولكنك كالعادة حصرت طلب الرحمة

في ذلك اللسان الذي قطعته من جذوره وأطعمته لابنتك ».

ارتجف جسد أمير من هول ما يسمع، وعندما حاول الحديث أو القيام بأي رد فعل، هوت على رأسه ضربة قوية جعلته يفترش الأرض ودموعه تغرق وجهه، في حين قال صاحب الصوت العميق

- «لن أنكر بالطبع تاريخك المشرف في خدمتي. لا أحد يجرؤ على الخدمة بمستوى أقل. ولكن الولاء عصب كل شيء، والآن ستلقى جزاءك أنت وتلك العصفورة الرقيقة، والتي لم أكن مجبرًا على إنهاك رجالي بسببها، وعلى كل حال لقد قرأت مستقبلها، وفي كل الأحوال كانت ستموت اليوم، وكنتَ بطاعتك لي ستوفر عليها ما ستتعرض له من عذاب وانتهاك ».

وهنا مادت الدنيا برأس أمير، وهو ينهض على قدميه بصعوبة، متابعًا ذلك الحوار الجهنمي الدائر أمامه، وإن لم يجرؤ على ترك جسده ليفقد الوعي، ويهرب من هذا الجحيم .

فهو لن يخالف أوامر عميق الصوت حتى ولو لم ينطقها؛ فهو يعلم بداخله عن يقين أن كل هذه المسرحية الدموية الدائرة تتم من أجله، ومن أجل أن يتعلم درس الطاعة بسرعة .

لذلك لم يجرؤ حتى على إغماض عينيه، طوال الساعات التي أخذ فيها العشرون رجلًا مفتولو العضلات في الاعتداء على الفتاة والتناوب على اغتصابها بوحشية، وبكل الطرق التي تهدر كرامتها وإنسانيتها، حتى زهقت روحها .

كان مشهدًا بشعًا، والأبشع منه هو أنه تم إجبار أبيها على رؤيته، أما الشناعة فقد كانت في المرحلة الثانية .

فقد قام أحد مفتولي العضلات، بإخراج سكين حاد من طيات ثيابه، وبدأ يسلخ جلد الأب حيًا، وسط ضحكات عميق الصوت الماجنة .

كان أنين الأب وانتفاضات جسده مروعة. وكان مشهد الدماء والجلد الممزق يفطر القلوب.. بالطبع لم يستمر

الأمر طويلًا، قبل أن يأتي الأمر لأمير بالإجهاز عليه وإنهاء معاناته.. ولم يتردد لحظة .

ومن أجل أن يثبت عميق الصوت سطوته عليه، وتحكمه التام، أمر أمير بعد أن حز عنق أسعد وجعله جثة هامدة، أن يلتهم جزءًا من كبده الممزق، قبل أن يلوك هو الآخر جزءًا منه، لتتألق عيناه أكثر وكأنه شيطان يستمد قوته من التهام ضحاياه .

لم يتخيل أمير في أسوأ كوابيسه أن يشاهد أو يتابع عن قرب، مشاهد كتلك التي دارت أمامه خلال الساعة الماضية، لا أن يكون طرفًا فاعلًا فيها .

طمعه زجه إلى الجحيم، وربما الجحيم أهون من هذا البشع عميق الصوت ورجاله مفتولي العضلات الذين لا قلوب لهم، والذين ارتبطوا في عقله بصورة الشياطين .

ولكنه أدرك في النهاية أنه قد تورط، ولا مجال للتراجع، ولا يعرف كيف دارت الأمور، ولا ما هي ردود

أفعاله التي قام بها، قبل أن يجد نفسه في قصر منيف يشي بثراء صاحبه الفاحش .

كان في حالة صدمة مروعة .

كان مستعدًا للقتل، ولكن ليس بمثل هذه الوحشية. كان يتخيل نفسه قاتلًا محترفًا في معرض أحد أفلام الأكشن والإثارة، وليس قاتلًا همجيًا في فيلم رعب معوي مقيت !.

إن هذه الأحداث لا يمكن أن تكون حقيقية !.

نظر حوله لغرفة المكتب التي تمدد على أريكتها، والتي تساوي كل المال الذي جمعه في حياته، ثم نظر إلى ثيابه التي تبدلت بحلة سوداء. لم يحلم يوما بارتداء مثيلاتها .

كان المكان يوحي بثراء خرافي، اللوحات ذات الأطر المذهبة، السجاد الإيراني، التحف، الكمبيوتر المكتبي من طراز (آبل)، المكتب الذي يعد وحده تحفة أثرية لا

مثيل لها، فيجمع بامتزاج الخشب مع البلور بين الأصالة والمعاصرة دون فجاجة .

مستوى من الثراء لم يكن يتخيل وجوده على الأرض .

أخافه المكان أكثر مما أخافه وجوده في ذلك المخزن الذي اقترف فيه أول جريمة قتل وكانيباليزم في حياته .

أخافه أن يطأه بقدمه، ناهيكم عن تحركه في أرجائه .

ولم تطل حيرته أو مخاوفه كثيرًا، عندما ظهر عميق الصوت في زي منزلي أنيق، يحمل في يده سيجاره المشتعل دائمًا، وحوله هذه المرة مجموعة من الفتيات مفتولات العضلات بشكل فج .

إن حرص عميق الصوت على إبراز القوة من حوله تثير التوتر، وتوحي بمرض نفسي خطير أو مركب نقص شديد، وهو شيء لا يستطيع أن يصارحه به، لذلك وقف أمامه منكس الرأس منتظرًا أوامره التالية .

كان خضوعه مثيرًا للشفقة، هو نفسه كان يعرف أن جلسة الترهيب لم يكن لها أي أهمية؛ لأنه كان سينفذ ما يطلب منه دون نقاش .

ظل صامتًا مركزًا بصره على عميق الصوت الذي كان منهمكًا في تدخين سيجاره، وكأنه يقوم بعمل على قدر هائل من الأهمية، وحوله تلك الفتيات الروسيات -إذا لم يخنه حدسه-واقفات كتماثيل من الشمع، ربما لن تتنفس إحداهن إلا بإذنه حتى لو فاجأها ملك الموت .

وعندما تحدث عميق الصوت انتفض جسد أمير في قوة، وأنصت بكل جوارحه، وهو يتابع حركات شفتيه في خشوع وهو يقول

- «لا شيء يحدث مصادفة ولا ضد مشيئتنا في هذه الحياة، وما يخالف هذه القاعدة نعمل على محوه من سجلات هذه الحياة. سيفاجئك كثيرًا قوة ذاكرة الجنس البشري التي تشبه ذاكرة الأسماك، وسيفاجئك أكثر قدرتهم على التكيف مع المتغيرات، و .

حاول أمير أن يركز في تلك الكلمات، ولكنه شرد رغمًا عنه. لم يتوقع أن يتحدث عميق الصوت حديثًا فلسفيًا؛ إن مريض القوة يتحدث دومًا عن القوة والسيطرة والتحكم، ولكن هذا الحديث الغريب لا يعرف إلى ماذا يؤدي، وربما هو نوع من استعراض القوة المعرفية؛ فهي على كل حال نوع من القوة .

وقطع أفكاره دوي صفعة مزلزلة هبطت على وجهه .

متى تحركت تلك الفتاة!؟ ومتى واجهته!؟ ومتى رفعت يدها القوية لتهوي على وجهه!؟ .

كل ما رصده هو أثر الصفعة القوية التي رجت عقله في جمجمته، وجعلته ينصت بتركيز أكبر بعد أن وصلت الرسالة له أن الشرود ممنوع، في حين أكمل صاحب الصوت العميق وكأن ما حدث معتاد أو لا يعنيه

- «اختيارك نفسه لم يكن عشوائيا؛ أنت من تلك الفئة الهامشية، والتي هي في نفس الوقت مهمة، والتي

لديها القدرة على تنفيذ الأوامر دون تفكير ودون السؤال عن السبب، وهي مفارقة قدرية معتادة؛ فلكل شخص مهما كانت ضآلة قيمته أو تفاهة تأثيره دورًا في مسيرة الكون. وحدث أنك أصبحت نقطة ارتكاز أساسية في خطتنا الكبرى، وكل ما عليك فعله، هو تنفيذ الأوامر، وعدم إجهاد عقلك بالتفكير ».

قالها، ثم صمت لدقيقة كاملة استغلها في تدخين سيجار جديد، قبل أن يستطرد قائلًا :

- «لن تكون من رجالي؛ لأن صفات رجالي لا تنطبق عليك، ولكنك ستعمل معنا بعقد غير مكتوب؛ ستنفذ ما يطلب منك، وسأمنحك الثراء الذي لم يخطر لك على بال، وربما منحتك ما هو أكبر منه ذات يوم لو كنت عند حسن ظني، وهو النفوذ والسلطة.. ولكن دعنا لا نستبق الأحداث؛ أنت قد علمت ما هو مطلوب منك، وعرفت العقاب ».

ولعدة ثوان ظل واقفًا تكتنفه الحيرة، كان عاجزًا عن فهم كل هذا الحوار المتشابك، عندما أتت له الإجابة



إن وراء ما يحدث شيئًا غامضًا ومريعًا، والمشاهد التالية أثبتت له أنه ليس غامضا ومريعا فقط، بل ويدخل في نطاق الخوارق !.

أول المشاهد كانت تظهر شاهد قبر رخامي شديد الفخامة، نقش فوقه بخط أنيق (أمير نافع المهدي 14/12/1980-8/4/2028م).

اتسعت الصورة لتظهر مدفنًا لن يحصل على مثله إلا ملك أو رئيس جمهورية سابق، وعلى القبر كانت تبكيه حسناء لا يعرفها، وبجوارها طفل يشبهه .

كانت مشاهد صادمة لأمير؛ فلم يتوقع في أسوأ كوابيسه أن يخبره أحدهم ذات يوم عن موعد موته، وبل ويريه زوجته المستقبلية المكلومة، وابنه الذي سيتيتم من بعده، كان الأمر أكبر من قدرته على الفهم .

وكان السؤال الذي تردد في عقله :

«من هذا الشخص عميق الصوت؟ ».

«وكيف يرى المستقبل ويسجله؟ ».

«وهل هناك خدعة ما؟ ».

المصير

(18)

خرجت زهرة من تلك التجربة العقلية الرهيبة قعيدة بأطراف مشلولة، وروح كسيرة. هذا ما اكتشفته فور يقظتها، نهاية لم تتوقعها أبدًا، بعد كل تلك القوى والمعارف التي حاذتها. وتلك التجارب التي خاضتها في ذلك الزمن العقلي البديل .

زهرة بشرية كسيحة، عاجزة حتى عن الحركة أو إطعام نفسها .

زهرة بائسة، لم يخرج جسدها بعد من طور الطفولة .

فعلى عكس ما توقعت، لم يمر صراعها مع تلك العقول، وقتلها أحدهم، دون عقاب رادع، برغم حتميته وتنبئهم به، كما أخبروها .

لقد ثأرت العقول لخسارتها، كما ثأرت مايا رشدي بقتلها سماح، لفشلها في حمايتهم .

كانت مأساة كبرى من كافة الجوانب لم تتقبلها بسهولة، وقد غمض مصيرها في الأيام القادمة! لم تكن تعرف هل ستظل تحت رحمتهم ترزح في خضم صراع عقلي مستمر من أجل إخضاعها؟ أم أن فقدها لإحساسها بأطرافها هو مجرد تمهيد، لتفقد حياتها، أو مصير أكثر شناعة؟ .

والحقيقة أنها لم تنتظر طويلًا؛ فتم نقلها من غرفتها السابقة التي كرهتها بشدة إلى غرفة أخرى قريبة، ولفظ غرفة هو تقليل من شأنها؛ ففخامتها، وما بها من أثاث لم تره إلا في قصور الملوك في المسلسلات التاريخية ذات الميزانية الكبيرة، يقطعان الأنفاس .

إن كل شيء في هذا القصر يركن للمبالغة. كانت تلك الغرفة الجديدة تختلف عن الصندوق المصمت المليء بالفخاخ العقلية الذي تم زجها فيه من قبل في عدة نقاط .

فلها نافذة كبيرة تطل على حديقة غناء، والشمس تدخلها لتمنحها حياة افتقدتها منذ غادرت الملجأ،

ووطأت بقدميها هذا القصر الملعون .

كانت الغرفة فسيحة، ولكنها ليست إلى الدرجة التي تشعر معها بالوحشة، كما كانت دافئة، ولها جدران بيضاء مريحة، وثريا أنيقة، ولوحات من عصر النهضة كما تعتقد .

بل هي من عصر النهضة بالفعل، بل ولوحات أصلية أيضًا. إن العلوم التي في عقلها الآن تجعلها قادرة على منحها تصميم قنبلة انشطارية تفوق قنبلة هيروشيما مئات المرات في عشر دقائق، وليس معرفة تاريخ لوحة فقط .

باقي التفاصيل لم تصل لها بعينها، وإن لمستها روحها. على الأقل هي لا تشبه الزنزانة السابقة، كما أن إنصاتها لصوت الطيور وأفكارها المجردة كانا مريحين لعقلها المنهك .

وكانت الفكرة التي تدور في رأسها وهي ممدة على الفراش كالجثة، ولا يتحرك منها غير عيناها، أن

الساحر قد يأتي لينقذها. كان هذا هو أملها الوحيد، والأخير؛ فهو السبب الرئيسي في وجودها هنا .

كانت حانقة عليه بشدة لأنه تأخر، ولأن الأمور تطورت لهذه النهاية المفجعة، دون أن ينفذ وعده لها بأن تجده عندما تحتاجه، وكأنه كان وهما لا حقيقة .

وعندما نبشت عنه في عقلها، لم تجد له أثرًا، إلا ذكريات ظهوره لها قبل دخوله القصر. لا شيء قبلها ولا شيء بعدها، وكأنه ذكرى مخلقة تم زجها في عقلها لهدف غامض .

شعرت بحيرة كبيرة، ثم بخوف تحول لهلع، وهي تتساءل بقلق

- «أما زالوا يعبثون بعقلي!؟ ».

تضخمت بداخلها مشاعر العجز والوحدة، ولم تدري بنفسها إلا ودموعها تغرق وجهها. لقد عادت طفلة صغيرة في دوامة الحياة الكئيبة، تاهت كل المعارف والقوى التي كانت تمثل جل طموحها، واستعمرها

عجزها الجسدي والنفسي. ولولا قدرتها على البكاء، لغادرتها روحها من فرط القهر .

وفي المساء حضرت مايا رشدي، وبصحبتها خادمها المخيف بقشرته البشرية التي جعلته أكثر تقبلًا عن رؤيته على هيئته البشعة دون قناع. كانت ملامحها باردة لا تشي بما يدور داخل عقلها، خاصة وهي تواجه طفلة في مثل عمرها، عاجزة، وممدة دون حراك، وملقاة طوال الساعات الماضية ينهشها الجوع دون أن تبالي بها .

حاولت زهرة أن تقتحم عقلها فوجدته مصمتا كجدار، مظلما كقلبها الذي يكرهها، منيعًا كخزانة. وبكل هدوء دوى صوتها البارد في المكان

- «ألا تستسلمين أبدًا!؟ ألا تعرفين معنى الهزيمة ولحظة التوقف!؟ ».

حاولت أن تتحدث، لتكتشف الفاجعة الكبرى؛ أنها ليست عاجزة فقط، بل وخرساء أيضًا !.

ارتسمت ملامح ابتسامة باهتة على وجه مايا، قبل أن تقول بصوت بارد

- «أنتِ خرساء. ألم تكتشفي تلك الحقيقة إلا الآن!؟ إن جريمتك فادحة. ولو كان الأمر بيدي، لما وافقت العقول على خطتهم الكارثية معكِ، وربما أنهيت وجودك مبكرًا في هذا الخط الزمني، ولكنها إرادة القدير ».

قالتها ببساطة، وهي تشير إلى خادمها عزيز وتقول

- «لا مجال لحدوث تواصل عقلي بيننا بعد الآن؛ فأنت أخطر من الحيات، وطفولتك وعجزك وضآلة جسدك لن يخدعوني مجددًا. سيكون عزيز هو الواسطة بيننا. ذاكرته تم محوها، وعقله خال فلا تضيعي الوقت بالعبث هناك. استخدمي قدرتك للتواصل معه، وهو سيحول الأفكار لكلمات. هكذا نستطيع أن نتحدث ».

لا تعرف زهرة لماذا شعرت ساعتها بإنهاك كبير، ولماذا صرخت معدتها طلبا للطعام، وكأن كل شيء مات في

جسمها إلا ما يجعلها في حاجة إلى غيرها .

كانت تريد الهرب من مواجهتها، ولكنها وجدت نفسها تتواصل مع عزيز، الذي خرج صوته نسخة مكررة من صوتها بشكل أثار أعصابها

- «أنا لم أرتكب أي جرم. أنتم من اختطفتموني من الملجأ ومن حياتي، ولم تتوقفوا لحظة عن العبث بعقلي. حتى ذلك الساحر اللعين، لم يكن بجواري عندما احتجته ».

وهنا انتبهت لزلة لسانها فصمتت، ليأتي صوت مايا رشدي البارد

- «الساحر لم يوجد في هذا الزمن قط ليهب لنجدتك، ثم مِمّ سينجدك ويساعدك في الهروب منه؟ من نفسك!؟ ألم تستوعبي الأمر بعد!؟ ».

صرخت بغضب ودون فهم، فلم يخرج صوتها، وإن وصلت أفكارها إلى عقل عزيز الذي ترجمها بصوتها

- «لا أريد أن أستوعب أي شيء! لا أريد أن أفهم أي شيء! أريد أن أعود للملجأ، وأسترد حياتي.. أريد أن أستعيد سماح، وأن أعود قادرة على الحركة، وأن أظل بعيدًا عن صراع العقول هذا حتى مماتي، أو اقتليني الآن كي أستريح. اقتليني لو كانت لديك ذرة من الرحمة بقلبك !».

وهنا أتى صوت مايا صارخًا قاسيًا، فجعل ملامح وجه زهرة تكفهر، وأفكارها تنكمش حتى تبددت بالكامل، وهي تنصت لها في هلع

- «لقد مللتِ منك أيتها الجاحدة! لو تركتكِ في الملجأ لتحولت حياتك بعد عدة سنوات إلى جحيم، ولصرتِ قاتلة دموية لم ير التاريخ مثيلًا لها. ألا تدركين سبب تعلقك باسم زهرة!؟ ألا ترين الوشم البدائي الذي يزين رسغك!؟ هذه هي مقدمات حياتك القادمة.. ستتحولين إلى سفاحة سادية، لا يعرف قلبها الرحمة ».

« لم يكن هناك ساحر في حياتك الحالية، إن ما في عقلك من ذكريات يعمل عمل القنابل الموقوتة، ومع ذاكرتك التراكمية الملعونة، ستجهضين كل ما نجحنا في إنجازه حتى الآن. أنتِ أكبر خطر على الحياة في هذا الخط الزمني المتوازن ».

وقبل أن تفكر في رد، تدفقت الذكريات إلى عقلها، وكأن هناك من كان يغلق صمامها ثم فتحه على أقصاه. لم تكن رحلتها العقلية السابقة من أجل انتزاع المعلومات من عقلها، بل كانت لزرعها. الآن تفهم معنى دورة الحياة السابقة، وترى حيواتها المتعددة تمر أمام عينيها المتسعتين فرقًا ورعبًا .

عقلها يحترق، وروحها تتهشم. هل كانت كل هؤلاء الدمويات في فترة ما!؟ هل قتلت بيدها وبتلك الوسائل البشعة، كل هذا العدد من البشر، دون أن تفرق بين رجال ونساء أو عجائز وأطفال!!؟ .

هل كانت على هذا القدر من الشر فعلًا!؟ .

ما معنى أنهم فارقوا خطهم الزمني، ويعيشون في خط بديل!؟ .

ما هي ثقوب الزمن؟؟ .

ومن هو الإله المكبل؟؟ .

ومن هو الساحر؟؟ .

الذكريات تنهمر إلى عقلها كالجمر المشتعل، تصرخ كي يتوقفوا، وتتساءل في جنون، ليخرج صوتها من بين شفتي عزيز يائسًا محبطًا

- «هل أنا شخصية حقيقية لها كيان مادي وحياة؟ أم أنني مجرد وهم، عقل من تلك العقول العاجزة؟ ».

وهنا أتى صوت مايا رشدي أكثر هدوءًا

- «أنت تمرين بما يشبه تناسخ الأرواح.. أنتِ مجرد صدى وانعكاس لشخص عاش في الماضي، ويتكرر

ظهور وعيه عبر الزمن بسبب ذاكرتك التراكمية المذهلة »

وهنا رددت في ذهول

- «تناسخ أرواح!؟ »

فجاءت الإجابة

- «التناسخ هو عملية إحياء لوعي شخصيات معينة قمنا بحفظها عن طريق تقنية متطورة لتتم جزءًا مهمًا في المنظومة الكونية، وانتهى أجلهم قبل إتمامه، فعدنا بشخصياتهم وذكرياتهم في أجساد أخرى ليتموا ما لم يتموه مسبقًا ».

وهنا قاطعتها في دهشة، مستخدمة لسان عزيز

- «من أنتم؟؟ أو ما أنتم؟؟ ».

فكانت الإجابة أكثر غموضًا

- «نحن أبناء الرب ».

صمتت وظهر عدم الفهم على وجهها، فاستطردت مايا

- «إن للكون وسائل عديدة لتصحيح الأخطاء غير المتوقعة، ونحن إحدى هذه الوسائل ».

هنا كان السؤال الذي لا يجب أن يمضي الحدث دون أن يطرح

- «ومن أين لكم بمعرفة الشيء الأصح للكون!؟ أنتم لستم آلهة لتمتلكوا هذه القوة، ولا هذا العلم !».

وهنا ظهر على وجه مايا التردد، قبل أن تقول

-»بعض الأسئلة لا يجب أن نجيب عليها؛ لأنها ستفتح بئر التساؤلات الأبدي ».

وهنا دوى صوت زهرة عبر لسان عزيز ليقول

- «خلقت الأسئلة لتنزح ما في بئر التساؤلات من غموض حتى نحصل على إجابتنا، إن لم تمتلكي

القدرة على إجابة السؤال، فكيف تدّعين القدرة على فهم الكون وتحديد أخطائه، وتصويبها ».

وببطء قالت مايا، وكأنها يئست من محاورتها

- «بل نحن نصحح ما نجم عن خطأ واحد فقط من أحداث، وحتى الآن نلقى مقاومة عنيفة جدًا. أنتِ نفسك قتلتِ عبر حيواتك السابقة المئات من الأبرياء، لتقومي بإرباك الخط الزمني الجديد، وفي كل مرة كنتِ تجبرينا على العودة لنقطة الصفر من أجل تدارك الأخطاء؛ فلم يوجد عبر التاريخ من امتلكت مثلك مثل هذه القدرات مجتمعة معًا ».

«لم توجد من لديها ذلك الوعي المتعدد القادر على حصر كل علوم الكون. كنتِ أنتِ طرف الخيط الوحيد والمتاح للقضاء على الشر الأعظم المتفشي عبر الزمن، وإنقاذ آخر دورة حياة في الكون ومخلوقاته. إنه قدرك وقدرنا ولا مفر منه ».

كان الأمر أكبر من قدرة زهرة على الاستيعاب، فقالت

- «أنتِ تتحدثين عن السفر عبر الزمن، ومخلوقات الكون ببساطة، بل وتتحدثين عن حيوات سابقة، وعدو للحياة عبر الزمن. هل تتوقعين مني أن أصدق هذا الهراء!؟ هل تتوقعين أن أمنحك ثقتي لمجرد أنك تعشقين قصص الخيال العلمي والمغامرات، ولديك قدرة على بث الوهم بعقلي!؟ هل أنتِ بهذه السذاجة حقًا!؟ ».

وكأنها كانت تتوقع حديثها، وأنه كما تدعي تكرر أكثر من مرة، فقالت بهدوء

- «هل أنتِ من الحماقة والسذاجة لتعتقدي أنه تم خلق هذا الكون اللانهائي، أو لنقل تلك الأكوان المتعددة، من أجل البشر فقط، إن لم يكن لهم دور كبير في الحياة ما بعد الموت وما وراء الكون!؟ لا أحد يصنع محيطًا ليحتفظ بعدد من الأسماك؛ يكفي أن يصنع لهم حوضًا زجاجيًا ككوكب الأرض مثلا، لا كل هذه النجوم والمجرات والأكوان المتداخلة والمترابطة بكل هذا التعقيد ».

«إن مخلوقات الكون المتعددة حقيقة لم يتوصل لها البشر بعد، وربما يتوصلون لها أو لا يتوصلون لها في هذا الخط الزمني، هذا سيتوقف على تفاعلنا معه، وتجاوبك معنا. البشر حلقة من حلقات الكون، ويوما ما قد تكون أضعف ما في السلسلة ويتم التخلص منها، أو تقوى وتتسيد؛ فليس المهم الأجناس، المهم الأحداث؛ فالكون لم ينتهِ من خططه بعد «.

هزت زهرة رأسها في عدم اقتناع، فاستطردت مايا

- «للأسف يا زهرة، إن تجاربي السابقة معك لم تكن مبشرة، لقد قمتُ عن طريق تلك العقول الفائقة باختبار قدراتك العقلية، منحناك كمًّا هائلًا من المعلومات، لم تكوني لتتحصلي عليها قبل مليون عام على الأقل، وهي معلومات عامة تخص الحياة في خطوط زمنية لا علاقة لها بهذا الخط الزمني، لاختبار قدراتك العقلية ».

«لم نمنحك أيًّا من أسرار الكون أو مفاتيح الانتقال الزمني؛ لم نخطئ هذه المرة في تهيئة عقلك، ولكننا لن

نمنحك الثقة. حتى جسدك الذي أفقدناه القدرة على الحركة، لم يحدث ذلك عشوائيًا.. سماح التي ماتت، ماتت في التوقيت السليم. كل شيء هذه المرة تم إعداده بدقة، وعليكِ أن تتقبلي مصيرك، وتتخذي موقعك في تصحيح أخطاء التاريخ، و ...»

وهنا قاطعتها زهرة في غضب

- «ألن تكفي عن الحديث في هذا الهراء!!؟ للكون خالق يسيّر أموره، وكل شيء يحدث لسبب. فمن أنتم لتنتزعوا عنه هذه الصفة، وتدّعوا ما لا يقدر عليه إلا إله الكون!؟ وكأنكم تكررون ذلك الإدعاء الموجود في الكابالا والذي يتحدث عن الـ36 الذين لن يفنى الجنس البشري بسببهم؛ لأنهم يتحركون بين البشر، ويصلحون الأخطاء. إن كل هذا كفر وتجديف ».

أجابتها مايا في برود

- «أتمنى أن تؤمني إلى النهاية بما تتحدثين عنه. إنك في حيواتك السابقة كنتِ شيطانًا رجيمًا، لذا يجب أن

تفقدي همجيتك. وعليكِ أن تؤمني أن لكل منا دور في هذه الحياة، وبعض الأشخاص كل دورهم أن يفنوا في لحظة ما ».

«هل ترين كل ضحايا الحروب الذين يقدرون بمئات الآلاف وربما الملايين؟ ضحايا العمليات الإرهابية؟ حافلات نقل الطلاب التي لا تتوقف عن الانقلاب؟ والقطارات التي لا تتوقف عن الاحتراق؟ وغيرها؟ ».

«هؤلاء أفراد انتهى دورهم أو كان وجودهم هامشيًا، أو مؤثرًا لدرجة قد تضيع التوازن وتصنع اختلال، لذلك كان موتهم تصحيحًا للمسار ».

عاد السؤال الذي لا إجابة له ليطرح

- «أي مسار؟؟ ومن يحدد المسار؟؟ ».

عادت لتستمر في الحوار بنفس اللهجة

- «إن الأمر معقد ومتشابك. ذلك العدو الأزلي الذي نحاربه، لا هدف له إلا تدمير الحياة في الكون؛ ليقيم

على أنقاضها حياة جديدة يصير هو فيها إلهًا. ومسألة وجودنا في هذا الخط الزمني هي مسألة قدرية لا يد لنا فيها. نحن نتحكم بالزمن والتاريخ ومواقع الأفلاك، لنعيد لها التوازن. لقد جذبنا طرف خيط الزمان، وحافظنا على استقامته، ودون أن ندري لأين سينتهي ».

تردد صوت زهرة المنهك على لسان عزيز

- «ألا يوجد حديث أقل بساطة، وأقل فلسفة يشرح الأمور!؟ ».

وكأنها كانت تنتظر تساؤلها فأجابت

- «إن تحديد مسار الزمن كان من أصعب الأمور التي واجهتنا . إن العودة بالزمن إلى الماضي، أو الانطلاق به صوب المستقبل، يمثل نوعًا من العبث في توازنه واستقراره. لقد استطعنا العودة بالزمن إلى أقصى مدى له في الماضي. وفي كل الخطوط الزمنية التي انتهجناها لتصحيح الأخطاء، كان الماضي واحد بتاريخه وحكاياته وأساطيره، بينما كان المستقبل

يتجه نحو الفناء. إن الكون ينهار على نفسه، وكانت مهمتنا أن نصلح هذا الخلل، و ...»

وهنا ترك عقل زهرة كل التفاصيل المهمة، وتوقف عند نقطة واحدة، كانت هي محور سؤالها التالي

- «لأي مدى وصلتم في رحلتكم الزمنية عبر الماضي؟؟ ».

وجاءت إجابتها سريعة وكأنها كانت حاضرة في ذهنها

- «كان أقصى مدى زمني وصلنا إليه، هو الظلام الكوني الدامس، وفي لحظة انبثاق النور الساطع لأول مرة في هذا الكون. ومهما طورنا في علومنا وقدراتنا العقلية، أو استبدلنا من خيوط زمنية، كنا نصل إلى هذه اللحظة ونتوقف؛ لا لحظة قبلها، ولا لحظة تسبقها ».

وهنا جاء رد زهرة عليها أسرع

- «ولن تصلوا لشيء؛ لأنكم رغم قدراتكم العقلية الفذة، أغبى من أن تستوعبوا أن للكون خالق يديره، وأنكم

مجرد حدث هامشي، ربما يتكرر كعقاب أزلي لكم ».

وهنا تحركت مايا في المكان بعصبية وقالت

- «رغم الحيوات السابقة التي تقابلنا فيها، ورغم تكرار الأحداث لعدد لا حصر له من المرات، إلا أنني حتى هذه اللحظة لم أعرف، لِمَ تتخذين دائمًا جانب العداء ضدنا!؟ لماذا لم تساعدينا مرة واحدة لننهي مهمتنا!؟ لماذا كل هذا الجحود!؟ ».

وهنا كانت إجابة زهرة الصادمة على لسان عزيز

- «لأن هذا قدري ».

تساءلت مايا في عصبية

- «قدرك أن تكوني الشر!؟ ».

وجاءت إجابة زهرة الملتفة

- «ولماذا لا تكونين أنت وتلك العقول الشر!؟ ».

وكأنما كانت الإجابة قنبلة انفجرت في المكان؛ لأن كل تفاصيل الغرفة تلاشت وعاد القبو ببرودتة ليتصدر المشهد، لتجد زهرة نفسها واقفة وسطهم وفي يدها دميتها، وهي تقول بصوت غاضب يحمل كل الشر

- «كانت حماقة كبيرة منكم أن تتواصلوا معي عقليًا.. وكانت الحماقة الأكبر أن تقتلي سماح. إنني لم أكن عاجزة للحظة واحدة، ولم تكن المعلومات التي حاولتِ بها تشتيت عقلي كافية.. إن سيدي قادم، ونهايتكم أتية لا محالة !»

وبكل فزع استلت مايا رشدي خنجرها وقالت في غضب

- «بل هي لحظة نهايتك! كان عليكِ أن تخضعي هذه المرة !».

وبكل ما بداخلها من غضب استلت خنجرها المسموم، وغرسته في صدر زهرة حتى قبضته، لتتدفق الدماء

بغزارة، في نفس اللحظة التي تجسد فيها الساحر في القبو، ولكنه هذه المرة لم يكن وحده .

لقد أتى متأخرا جدًا، وبعد فوات الأوان !

(19)

لم تعتقد ماي آر يومًا أن هناك شيئًا قادرًا على إدهاشها، بعد أن تأكدت بنفسها من أن قومها يعتنقون دينا زائفا، وأن الكائن الأسمى مقيد وعاجز، وأن الأفلاك تتحرك بالقصور الذاتي دون أن تأبه لذلك الحدث الأعظم، وأن الكون كله ذاهب إلى مصير مظلم .

كلها أشياء استثنائية لم تكن تعتقد أن يكون هناك شيء بعدها قادر على مفاجأتها أو إثارة دهشتها، ثم أتت تلك المعلومة المذهلة عن طريق اتصالها العقلي مع الكهنة، بأن هناك في أعماق الجبل وتحت أقدام الطوطم، جيش كامل من الكهنة في حالة من السبات صناعي .

والمفاجأة الأكبر، إن الكهنة لم يعكسوا الزمن فقط ويخالفوا ناموس الطبيعة، بل وصلوا بعلومهم لأقصى مدى يمكن الوصول إليه في الماضي، وهي تلك

اللحظة العظمى التي بدأ فيها الزمن، عندما شق أول لسان من النور، قلب الظلام الكوني الدامس البكر .

وهذا جعلها تسأل نفسها عن توقيت خلق الطوطم، والكهنة، وعن حقيقة كل ما مر بها .

تشابكت الأمور في عقلها بشدة، حتى لم تعد تدري ما هو السؤال الواجب طرحه عليهم في مثل هذا الموقف المعقد .

إنها تتفاعل معهم جميعا كوحدة واحدة، ووعي واحد، وهم جميعا صامتين، لا أفكار، لا معلومات تتدفق، لا ذكريات تموج في وعيهم الجمعي .

فقط هناك ذلك الشعور الثقيل، بالترقب والانتظار .

حاولت أن تتواصل مع تلك الآليات التي تم زرعها في جسدها، لتسجل هذا اللقاء الفريد، كما تم التخطيط له مسبقًا. ولم تتفاعل معها الأليات، ولم يحدث التواصل المنشود .

حاولت.. وحاولت.. وحاولت

لم يكن هناك أيضًا غير الصمت الإلكتروني القاتل للأعصاب، وهنا تساءلت في قلق: «هل السائل الذي تسبح بداخله هو السبب؟؟ هي نفسها لا تعتقد ذلك؛ إن ذلك السائل الثقيل لا يعوق التواصل العقلي، بل على العكس، ينقيه ويجعله أكثر حدة » .

كان عليها أن تتوقع هي وجماعتها أن الكهنة أكثر ذكاءً، وفطنة، وعلمًا، وأنهم قادرين على كشف تلك الآليات الدقيقة المزروعة في جسدها بسهولة، وتطهيره منها .

دام الصمت العقلي لفترة لا تعرف مداها، وأمضت هي فترة الصمت تختبر في عقلها كل الخطط المتاحة، ثم استنفرت كل قواها العقلية، وبدأت تنقب في عقولهم، دون أن ينكسر حاجز الصمت لحظة واحدة. كان الاتصال العقلي بينهم أقوي ما يكون، ولكن يتم التحكم فيه بجدية .

وأدركت ماي آر ساعتها، أنها لن تحصل على معلومة واحدة لا يرغبون في مدها بها، فدخل في قلبها الروع عندما شعرت بكونها وحيدة، أمام تلك القوى المروعة، قبل أن تتساءل في حيرة

- «ماذا بعد!؟ ألم تملوا تلك اللعبة النفسية الساذجة!؟ ».

أتاها الصوت الدافئ ليحتوي عقلها في هدوء

- «نحن لا نمارس أي ألعاب، ولا نعرف الملل. أما عن السذاجة فآخر صفة يمكن وصفنا بها ».

تمالكت أعصابها أمام ردهم البارد، ثم تساءلت

- «أين أنا الآن!؟ وفي أي زمن نحن!؟ ».

تردد الصوت في عقلها من جديد، كماء دافئ يُسكَب على روحها

- «أنتِ تعرفين الإجابة جيدًا، ولكني سأجيبك مرة أخرى.. أنتِ الآن بداخل الطوطم، تواكبين معنا لحظة

بدء الزمان، وهي لحظة عايشناها معًا عددًا لا حصر له من المرات، لكنك لا تتذكرين. إنكِ السبب الوحيد في عودتنا بالزمن، والسبب الوحيد في بدء كل شيء من جديد ».

كانت الإجابة ملتفة من النوع الذي يجبرك على طرح المزيد من الأسئلة، لذا فإنها قالت

- «هل تعرف أن ما تحاول أن تقنعني به درب من الجنون؟ إنني لم أعرف عنكم أي شيء قبل الآن، ولم نلتقي مسبقًا. ثم كيف أكون السبب في بدء كل شيء من جديدا؟ وكيف نكون بداخل الطوطم، وقد جعلتموه إلهًا يعبدا؟ هل جعلتم أتباعكم يعبدون شيئًا لا روح فيه، وجعلتموهم يبتعدون عن خالق الكون العظيم!؟ ».

عاد الصوت ليتدفق في عقلها

- «تعودين كل مرة بنفس التساؤلات وتحصلين على نفس الإجابات، وننتهي إلى نفس النهاية، ونعود إلى

نقطة البداية ».

قاطعته ماي آر في ضيق وهي تقول

- «ألا تعرف أي شيء عن الإجابات المباشرة!؟ أم أنكم لا تملكون الإجابات!؟ ».

وبنفس الدفق العقلي عاد الصوت ليتردد في عقلها

- «لقد أخبرتك أننا التقينا، وأجبتك عن كل شيء من قبل، وسأجيبك مجددًا؛ فالزمن كله أمامنا ».

لم تقاطعه ماي آرى هذه المرة؛ فقد كانت تنتظر الإجابة بشغف. إنها حريصة على إتمام مهمتها، حتى ولو فني زمانها، وأبوها، وجماعته. ستنير عقلها بنور المعرفة، وبعدها لتبحث عن طريقة لتعود بالمعلومات إلى زمنها، طالما أن الزمن أصبح مشاعا إلى هذه الدرجة !.

وهنا دوى الصوت مجددًا، فأنصتت

- «بالنسبة لكونك السبب في عودتنا بالزمن، فهذا لا يحتاج لإجابة؛ فقد عاصرتِ كل الأحداث بنفسك. تتسائلين عن الطوطم، وهل له روح. لن أسألك ما هي الروح؛ لأني أعرف إجابتك مسبقًا، وأعرف أنها شيء غامض لم تكتشفوا كنهه بعد، ولكننا اكتشفناه، وأدركنا أنها أصل الحياة في الكون كله. إنها معين المعرفة الكامنة بداخل كل مخلوق حي، والصلة المباشرة مع الكائن الأسمى خالق كل شيء، وكانت هذه النقطة تحديدًا هي ما جعلتنا نتساءل، هل يمكن عن طريقها أن نصل للكائن الأسمى؟؟ ».

«وكانت الإجابة الوحيدة: المحاولة ».

الفكرة نفسها لاقت معارضة كبيرة في البداية، واعتبرها البعض منا نوعًا من الجحود والكفر والتطاول على من لا يجوز ذكره إلا معظمًا .

ولأننا كنا أمة علم، وكانت تربطنا جميعا شبكة عقلية عملاقة، كانت هذه الشبكة بدورها تتمدد لتتصل مع

كل ما في الطبيعة من مواد ومخلوقات وطاقات، أدركنا أننا قادرين على المحاولة .

وكان الزمن هو عدونا الوحيد .

فعلى الرغم من كل شيء؛ فأجسادنا هشة، وأعمارنا مقارنة بالخطة الموضوعة تمثل فشلًا حادًا .

وهنا لم تستطع ماي آر أن تتغلب على فضولها، فتساءلت بشغف

- «وكيف استطعتم حل هذه المشكلة؟ بالتجميد والسبات الصناعي؟ ».

أتاها الصوت محايدًا، لا يحمل أي مشاعر، وقال

- «هذه فكرة بشرية قاصرة. إن هذا الحل العقيم يصلح للسفر من خلال المركبات النجمية، لا قطع الكون كله والوصول للكائن الأسمى. ألم تدركي بعد لماذا السماء بعيدة، وعمر البشر قصير؟ ».

وهنا حاولت أن تفكر مثلهم فأجابت

- «كي لا يتمكن البشر من الصعود للسماء ».

قال الصوت

- «إجابة نموذجية وموجزة؛ فقد تم تحديد عمر البشر، وجعله يتناقص كلما تطورت علومهم؛ كي يتم الضمان بعدم قدرتهم على قطع تلك المسافات الطويلة نحو السماء؛ فطموح البشر لا يحده حدود، ولو امتلكوا العلم مثلنا فلن يترددوا عن القيام بما قمنا به ».

على الرغم من إجابتها عن السؤال، لم تكن مقتنعة بمنطقه؛ إنها محاولة لتفسير ما يفوقهم معرفة، بمعرفتهم القاصرة. إن الخالق العظيم، عندما خلق مخلوقاته، كان يعلم كل شي عنهم، حتى أفكارهم الجنونية، والشاذة، والإلحادية، بل وكان يعلم لأي مدى هم قادرين على الوصول بشططهم .

هل هم تهديد حقيقي للسماء؟ .

إنه سؤال عقيم، مثل من يتخيل أن النملة قادرة على هدم الجبل، لو امتلكت الوقت المناسب، ولله المثل الأعلى .

قاطع أفكارها الصوت وقال

- «الحقيقة أن عنادك أسطوري، وأفكارك لا تتغير أبدًا، ولكننا بالفعل قدرنا على صناعة عقلًا إلكترونيًا جبارًا، قادرًا على تطوير ذاته والتعلم، وتخطي العقبات، وجعلناه يعمل لعدة قرون، ونحن نمده بكل ما يصل إلينا من علوم وخبرات جبنا الكون كله من أجلها ».

«حتى استطاع ذات يوم، أن يخلصنا من عبء أجسادنا، مستخدما علمه المتطور في تطويع معدن حيوي خارق تم اكتشافه في أحد كواكب مجرتنا، وساعدنا على نقل وعينا إليه، فتحولنا إلى مخلوقات خالدة، لا تفنى، ولا يدركها الموت ».

«وهذا العقل الإلكتروني الجبار، هو الطوطم، وله الفضل في سيطرتنا على الكون، وعلى الكائن الأسمى.

ألا تعتقدين أنه يستحق العبادة!؟ ».

كان حديثهم صادمًا، ويظهر لها أن أباها وجماعته كانوا على حق، عندما رفضوا اعتناق ذلك الدين. ولكنها كانت عاجزة عن فهم حقيقة دمج عبادة الأجداد مع عبادة الطوطم، والتكريم المبالغ فيه للجد ري جار، لذا فإنها طرحت السؤال مباشرة

- «هل ري جار أحدكم؟ ».

تدفق الصوت في عقلها ناعمًا

- «كان ري جار صاحب الفكرة والمؤسس، ولم يكن من الصعب إقناع الأتباع بأنهم ينتمون إليه. لم يكن الفضل للطوطم وحده، بل كان نصف الفضل يعود للجد الأكبر ري جار ».

وهنا أطلقت ماي آر ضحكة عقلية ساخرة، وصل صداها إلى كل الكهنة، وهي تقول

- «هل أصابتكم الغيرة من صنيعكم، فقاسمتموه الألوهية!؟ أي عقول مريضة أنتم!؟ بل أي حماقة تعتنقون!؟ ».

لم يتأثر الصوت بحديثها، وتدفق إليها ناعمًا

- «نحن لا نعتنق إلا العلم، وبالعلم استطعنا هزيمة الكائن الأسمى. لم يكن الأمر سهلًا، ولم يكن سريعًا، ولكنه لم يكن مستحيلًا، وتحتم علينا جميعًا الانتقال إلى الأرض، لخوض معركتنا من هناك ».

وهنا قاطعته ماي آر متساءلة

- «ولماذا الأرض!؟ ».

جاءتها الإجابة سريعة

- «لأنها نقطة الاتصال المباشرة، والأقرب للكائن الأسمى. إنها أرض القدير ».

ردت في ذهول

- «ما معنى هذا!؟ ».

فجاءتها إجابة لا تقل عنها غموضًا

- «هذا ما ستدركينه بنفسك ذات يوم. لقد تم خلقك لسبب استثنائي. ربما هو السبب الرئيسي في إبقائك على قيد الحياة حتى الآن ».

تجاهلت هي كلامه الملتف، ومحاولته للهروب من الإجابة، وقالت

- «كيف تكون أرض الله؟ وكيف تقررون تحديه!؟ ».

تردد الصوت في عقلها

- «هذه هي شريعة الكون؛ من يملك القوة، يسيطر على كل شيء. إنها ليست قاعدة قمنا بابتكارها، ولكننا خُلقنا، وخلقت معنا ».

قالت في غضب

- «وهذه هي وسيلة شكركم لخالقكم!؟ ».

أجاب الصوت

- «بل هي وسيلة إثبات قوتنا، ودعينا من هذه المناقشات الفلسفية التي لا طائل من ورائها، واستمعي لباقي القصة ».

كانت تريد أن تشتبك معهم في نقاش حاد وممتد؛ فالحوار نفسه به من الشطط والخيال ما يدير عقلها، ولا تعرف لماذا دوى في عقلها السؤال الذي شعرت أنه أقلق الكهنة

- «لماذا خرج الرسول السابع عن القطيع!؟ لماذا اعتنق فكرًا مغايرًا!؟ وأعلن التمرد، وأشاع أسطورة الإله المكبل!؟ ثم لماذا لم يستطيعوا إيقاف ذلك الرسول، ما داموا يمتلكون العلم، ويتحكمون في الزمن!؟ إنها تدرك أن الإجابة عن هذا السؤال هي المفتاح لكل شيء ».

وهذه المرة لم يجِبها الصوت، بل تجاهلها عن عمد، وشرع في استكمال القصة وقال

- «استطعنا بعلومنا، وبمساعدة الطوطم بعقله الإلكتروني الجبار، تطويع ذلك المعدن الحيوي الفائق، والقادر على احتواء وعينا وعلومنا، لننتقل إلى أعلى مراحل التطور في جنسنا، وبعدها انطلقنا عبر الكون لنرسم خريطة شاملة له، ولنرصد الوعي الهائل للكائن الأسمى ونحدد نقطة الانطلاق ».

«خمسة آلاف عام حتى استطعنا أن نصل لذاك الهدف، واستطعنا تحديد نقطة الانطلاق، وكانت كوكب الأرض. كل دراسات الطوطم الذي كان يتطور بلا توقف، أثبتت أن هذه النقطة هي النقطة المناسبة للتواصل. إن روح الكائن الأسمى تغمر الكوكب أكثر من ضياء شمس شابة، بل وتسري في أجساد مخلوقاته بلا استثناء، مانحة إياهم الحياة ».

«بعدها حدد الطوطم نقطة معينة لابد من زرعه فيها فوق أعلى جبال الكوكب، ثم قمنا باستغلال مخلوقاته لنطور من معارفنا، وعن طريق التنقيب في تاريخهم توصلنا لطرف الخيط ».

«إحدى المخطوطات القديمة كانت تصف ظهور الكائن الأسمى، وتجليه، وحديثه لبعض البشر، وكان نص المخطوطة

«عندما هبط الكائن العلوي من السماء، بدأت التحولات تجتاح الكوكب وقاطنيه على مختلف أجناسهم وأنواعهم. لم يكن يشبه أي شيء عرفناه. لم يكن يشبه الشيطان أو رسل السماء، ولكنه كان مخيفًا، وعظيمًا، وأعظم من أي شيء في الكون، فشملناه بالعبادة ».

«أنتِ بالطبع تدركين صعوبة تتبع المعلومات عبر تاريخ البشر؛ إنهم جنس مهمل لا يملك إلا ذاكرة واهنة يتم العبث بها طوال الوقت، لذا قمنا بتتبع أصل هذه المخطوطة، وجمعنا كل معلومة ممكنة لنحدد أماكن التجلي، وغذينا بها الطوطم، وكان من الواضح أن اللحظة الحاسمة تقترب ».

«وفاجأنا الطوطم ذات يوم، بمخطط عملاق لسلاح رهيب، أخبرنا أنه قادر على التغلب على الكائن الأسمى، الذي بدأ هو نفسه بتتبعه عن قرب، باستخدام

تقنية وحشية كانت تعتمد على استعباد عقول آلاف البشر ».

«ألف عام آخر قبل أن نستطيع صنع ذلك السلاح الجهنمي، وألف عام في حياة مخلوقات خالدة هي لا شيء ».

«وعن طريق الطوطم في النهاية، توصلنا لذلك الوعي العظيم، إلى المولود الذاتي ».

«امتلكنا السلاح.. امتلكنا الموقع.. وفاجأنا الطوطم بتطوير جديد للمعدن الحيوي، جعلنا أكثر قوة وقدرة على استخدام عقولنا في نقل ذلك السلاح الرهيب بسرية مطلقة، عبر مسافات الكون الشاسعة ».

«وفي الخامس من تيفور بتوقيت عالمك، وفي عيد البعث كما تطلقون عليه، نصبنا الفخ الكوني الرهيب، ولأول مرة استطاعت عقولنا رصد الكائن الأسمى، دون حجاب ».

«كان شيئًا بالغ الضخامة بطريقة لا تعرفها الحسابات البشرية. مخلوق بحجم نصف الكون، يسكن خارج ذبذبة الكون المعروف، يبث بثًا عقليًا رهيبًا قادرًا على الوصول لجنبات الكون المترامية خلال أجزاء من الثانية ».

«كان جسده الهائل الحجم مكونًا من مزيج من المعدن والطاقة الصافية، والهلام النابض، والبلازما ».

«كان شيئًا مذهلًا ».

«وعلى قدر رهبتنا ودهشتنا، كانت معرفة حدود الكائن الأسمى، وأن له هيئة مادية، جعلتنا أكثر تقبلًا لفكرة مهاجمته، وإفنائه ».

«كانت رؤيتنا نحن الكهنة تتلخص في إفناء الكائن الأسمى وإخضاع الكون لمشيئتنا، ولكن الطوطم كانت له رؤية مغايرة؛ فلم يكن السلاح الرهيب إلا سجنًا كونيًا ليس له مثيل، بواسطته تم سجن الكائن الأسمى بعد معركة رهيبة تسببت في خسائر كونية فادحة،

وأخطرها هي اضطرابات الزمكان؛ فالطوطم كانت له خطط أخرى معه. كان يريد استجوابه، ومعرفته من أين أتى، وكيف أخفى سره عبر العصور ».

«وبعدها.. بدأ عهد الطوطم ».

وهنا لم تستطع ماي آر أن تصمت، فعلقت في سخرية

- «كائن هلامي بنصف مساحة الكون، يطلق نبضات عقلية، وقمتم بأسره!؟ أهذه أفضل قصة لديكم!؟ ألا يوجد كاتب جيد بينكم لينسج قصة أكثر منطقية!؟ الكائن الأسمى لا يمكن أن يخضع لتلك المعايير التافهة. متى ستعترفون أن الطوطم خدعكم!؟ ».

وهنا ارتج عقل ماي آر بداخل رأسها، عندما بث في عقلها الكهنة، عرضًا مسجلًا للكائن الأسمى في سجنه الأبدى .

كان وقع الأمر عليها مروعًا !

إنها لم تستطع أن تتخيل ما قصوه عليها

ولكن ما رأته زلزلها

لا يمكن أن يكون هناك شيء مماثل

وبأعماقها تردد السؤال المخيف

- «هل نجحوا بالفعل!؟ ».

- «هل أسروه!؟ ».

(20)

لم يستطع أمير أن يكبح جماح فضوله. كان على استعداد تام ليتلقى ألف صفعة من إحدى مفتولات العضلات، مقابل أن يفهم، ولذلك وبكل تهور ألقى السؤال على مسامع عميق الصوت

- «كيف قمتم بمعرفة مستقبلي، بل وتسجيله أيضًا!؟ ».

وجاءت الإجابة المدهشة

- «عن طريق سجلات الزمن بالطبع ».

لم يجد أمير ما يرد به، فصمت وهو يقلب الأمر في عقله، بحثًا عن الخدعة. هل يستخدمون ممثلًا محترفًا ليقوم بأداء دوره في فيديو بارع الإخراج لإيهامه بمنطقهم!؟ هل يحتاجون لخدعة مماثلة بعد أن قام بالقتل من أجلهم، والتهام كبد أسعد!؟ ».

وكالعادة جاء صوت العميق ليقول

- «لا يوجد في الأمر خدعة؛ فما أمتلكه من علوم وقدرات يفوق كل ما يوجد في هذا العالم. إن مهمتك ليست بسيطة، ولذلك عليك أن تعرف كل تفاصيلها، وتعلم أننا لسنا مجرد قتلة أو سفاحين. إن ما نقوم به تفوق أهميته تلك المفردات المجردة كالحياة والموت. نحن نعمل لنجنب الكون الفناء، أو السقوط في الفوضى، وهما في كل الحالات يقودان لنهاية واحدة ».

وهنا ظهرت الحيرة مضاعفة على وجه أمير، وفي النهاية طلب أن يتحدث دون قيود، وسمح له عميق الصوت، فقال

- «سيدي لا تلوم عليّ إن أخبرتك أن كل ما يحدث لي وحولي نوع متقدم من الجنون والهلوسة، وحتى هذه اللحظة أنا غير مستوعب كل ما يدور أمامي. هل أنا هنا فعلًا؟ هل قتلت إنسانًا لا أعرفه؟ هل التهمت كبده؟ هل هؤلاء النسوة من حولك يمتلكن تلك العضلات المنتفخة بالفعل؟ وهل هذا الثراء المبالغ فيه حقيقي؟ والأكثر من كل هذا، هل تحدثتَ بالفعل عن سجلات

زمنية؟ وإن كانت موجودة، فمن كتبها؟ وكيف عثرتم عليها؟ وهل نقتل كي نحمي الكون من الفناء أو الوقوع في الفوضى!؟ نحن لسنا ألهة، ولكنك تتعامل وكأنك إله قادر، يقرر الحياة والموت والعقاب، ويعلم المستقبل، والغيب ».

وهنا جاءه الرد القاتل :

- «أنا لم أطلب منك أن تعبدني بعد. وهل إذا طلبت ستجرؤ على مخالفتي؟ ».

أسقط في يد أميرا هو لم يطلب بعدا؟ ما معنى هذا الحديث؟ هل من الممكن أن تصل الأمور إلى تلك المرحلة!؟ وإن وصلت، كيف سيكون رد فعله؟ كانت الإجابة مخيفة؛ لأنه يعلم أنه أجبن من ألا يطيع هذا الوحش الأنيق؛ إنه متمسك بالحياة لأقصى درجة، مع علمه أن الحياة كالمستنقع، لا تغرق فيه فقط، بل تتعفن روحك وجسدك مادمت بداخله ».

حاول تجاهل تلك الأفكار وهو يشاهد عميق الصوت يجهز على سيجار جديد، مما منحه فرصة لينظم أفكاره، بل ويتذكر حوارًا دار بينه وبين صديقه وليد في يوم من الأيام عن طموح البشر، وكيف أنه لا يوقفه حد، وكيف أنهم يلهون على حدود مخاوفهم ليكسروا المعتاد والتقليدي والمقدس، فقال صديقه

- «إننا كبشر نمتلك خيالًا مريضًا، وطموحًا لانهائيًا؛ فعندما سئمنا مخاوفنا المعتادة، كالظلام والمجهول والغد، ابتكرت عقولنا مخاوف جديدة: مصاصي دماء، مذئوبين، متحولين، رجال خارقين، مخلوقات عدائية من كواكب أخرى! ولما سئمنا كل هذا بدأنا العبث في أجسادنا بالهندسة الوراثية. وعندما فرغنا، بدأنا نحارب قوى الطبيعة. حاولنا أن نخرق الحجب لنصل لقوى لم نكن قادرين عن التحكم بها. وعندما سئمنا، حاولنا أن نصبح آلهة. ولم نحاول يوما أن نعرف أن كل القوة في أن نصير أنفسنا ».

كان حوارًا خياليًا وفلسفيًا، ولكنه قاده إلى النقطة الأهم؛ أنه لم يؤمن يوما بنفسه، ولم يحاول أن يصير

ذاته، ويتمتع بما هو متاح بين يديه، لذلك فقد لذة الوصول للأشياء، وفقد إيمانه بنفسه، فصار مطية لكل من عرف نقاط ضعفه، وبالتالي، هو يمشي إلى طريق الضياع بخطى حثيثة، و .

وقطع أفكاره الصوت العميق الذي قال

- «لديك مهمة جسيمة؛ ففي مواعيد تم تحديدها بدقة، ستقوم بقتل بعض من زملائك في المهنة. حساباتنا أشارت على قدرتهم بعد لقائهم الأخير، على إحداث تغيير شاذ في هذا الخط الزمني، وهو لن يكون تغييرًا عاديًا أو بسيطًا، بل سيكون كارثيًا على مخططاتنا؛ فأذرع الإعلام قادرة على برمجة الشعوب ».

«فما ستتعلمه فيما بعد، أن الزمن كالصلصال، يسهل تشكيله عندما تمتلك القوة الكافية، وتعلم الطريقة المناسبة، وأن المحترفين لا يغيرون الزمن عبر نقطة واحدة، بل عبر نقاط متعددة تتلاقى في النهاية عند هدف محدد ».

كان وجه أمير يحمل ملامح عدم الفهم، مما جعل عميق الصوت يقول

- «لعبة الزمن لعبة معقدة، وأنت لست مُطالَبًا باستيعابها أو فهمها؛ أنت فقط مطالب بأن تقوم بمهامك التي ستوكل بها، وأن تقوم بها كما سيتم تدريبك عليها، على يد معلمك ».

كان متوترًا لأقصى مدى، وليخفي توتره أجاب بلهجة جندي محترف

- «كل ما يأمرني به سيدي سيتم على أكمل وجه ».

وهنا قادته إحدى الفتيات عبر ممرات الفيلا التي كان يوحي كل ما فيها بثراء فاحش وذوق رفيع. كان يفكر كيف يمكن أن يمتلك شخص واحد كل هذه الأموال، وفي الشوارع الخلفية يقتلون بعضهم من أجل الاختلاف على سعر بعض الخضراوت!؟ إن هذه الحياة لن تتوقف عن إدهاشه، والأكثر عن إثارة فزعه !.

الرواق التالي قاده إلى مصعد أكثر فخامة، وهذه المرة ضغطت الفتاة زر الطابق الثالث، ليهبط بهما المصعد إلى باطن الأرض وسط دهشة أمير .

وبعد وقت قصير، انفتح باب المصعد، وخرجت منه تلك الحسناء مفتولة العضلات، وتبعها أمير في بطء وعيناه تستكشفان المكان في رهبة، ليقع بصره على أكبر مجموعة من الممرات والأنفاق المتشابكة التي يمكن أن يكون قد شاهدها في حياته. كانت تشبه المتاهة التي كانت موجودة في قصر التيه في الأساطير الإغريقية .

وقف حائرًا كعادته منتظرًا الخطوة التالية منها، ولكنها جاءت من مكان آخر؛ فمن قلب أحد تلك الممرات المتشعبة، ظهر له شخص مفتول العضلات له جسد فارع، يرتدي ثيابًا مدرعة جعلته يكتسب سمتًا آليًا واضحًا، وعلى وجهه قناع معدني متألق العينين، ووجه له كلمة واحدة

- «اتبعني !»

وكالعبد الأسير تبعه أمير، عبر أحد الممرات الممتدة إلى مسافة كبيرة، وعقله يرتج في رأسه. إنه مدرك جيدًا أن هناك خط فاصل بين الطاعة والخضوع، وهو قد عبر كل الخطوط، لدرجة أدهشته هو شخصيًا .

وفي هذه اللحظة، وبقلب السرداب، صرخ أمير بعنف، بعد أن أصابته تلك الصاعقة الكهربية وشمله الغثيان الرهيب، ولكنه بعد عدة دقائق، تغلب على كل تلك الأعراض، وعاد ليسبح في نهر ذكرياته الآسن .

كان قد تبع ذلك الرجل ذو الوجه المعدني عبر الممر الممتد، وكانت ملاحظاته للممر أن حوائطه المصقولة تم حفرها صناعيا بالكامل وليس نتاجًا لعوامل التعرية الطبيعية، وأن الممر يمتد في كل مكان لعدة كيلومترات، وعلى جانبي الممر تتراص العديد من الأبواب المعدنية المغلقة. هو نوع من السجون الحديثة لو لم يخطئ حدسه .

قاده الرجل ذو الوجه المعدني إلى باب مغلق برتاج إلكتروني حديث في نهاية الممر، فتح الباب تلقائيًا

بمجرد أن ألصق كفه على لوحة التعريف .

ودون تردد عبر الرجل ذو الوجه المعدني الباب، وخلفه أمير. وفور أن دخل إلى تلك القاعة الفسيحة، أشار لأمير أن يدخل إلى غرفة زجاجية مغلقة تسبق ممر العزل المعقم. ولم يكذب أمير خبرًا أو يتردد لحظة واحدة. لا يعرف كيف سكن بداخله كل هذا الرعب من مجرد رجل ذي وجه معدني .

كان الأمر الصوتي التالي الذي تردد فور إغلاق باب الغرفة الزجاجية خلفه، من سماعة مدمجة بسقف الغرفة، والتي كانت تشع بضوء بنفسجي مقبض، هو

- «انزع ثيابك وضعها في المكان المخصص ».

والمكان المخصص كان عبارة عن فتحة بقلب الغرفة، ظهرت مع الصوت، ثم سرعان ما توارت بعد أن احتوت ملابسه بداخلها. ثم أمره الصوت بارتداء نظارة داكنة تشبه تلك المستخدمة في السباحة كانت على حامل أمامه .

ارتداها أمير على الفور، لتتألق الغرفة كلها بضوء ليزري بارد أحرق كل خلاياه الخارجية، وأصابه بصدمة مؤلمة، جعلته يصرخ في قوة. لتتبعها شلالات من الماء المختلط بمادة كيماوية نفاذة، غمرته من رأسه حتى أخمص قدميه، ليشعر بكل خلية من خلاياه تحترق، فصرخ مجددًا وهو يسب ويلعن كل شيء .

تلاها شلال هادر من الماء المعقم، ليمحو كل أثر لتلك المادة الكيماوية المطهرة من جسده، وبعدها انفتحت كوة كبيرة في الحائط الزجاجي، تحتوي على رداء فضفاض، ووجهه الصوت المعدني ليرتديه .

نفذ أمير الأمر، متجاهلا تلك الآلام التي يشعر بها في كل خلية من خلايا جسده، وهو يتابع بعينيه تلاشي الضوء المقبض، الذي ارتسمت من بعده على الارض المصقولة، وفي الاتجاه المعاكس للمكان الذي دخل منه، مجموعة من الأسهم الضوئية، تبعها، وهو يسب ويلعن بداخله اليوم الذي قبل فيه استلام النقود .

انتهت الأسهم الضوئية إلى غرفة شديدة النظافة والتعقيم، كانت تشبه غرفة العمليات بتلك الطاولة المعدنية التي تتوسطها، دون وجود باقي الأجهزة، التي انحصرت في جهاز واحد عبارة عن خوذة متصلة بمجموعة من الألياف البصرية التي تم شبكها بسقف الغرفة عن طريق كابل مشابه .

أشار له الرجل ذو الوجه المعدني أن يتمدد فوق الطاولة، فنفذ الأمر على الفور، وهو يتساءل بأعماقه عن الهدف من كل تلك الإعدادات وكل هذا التعقيم، في حين ثبت الرجل ذو الوجه المعدني على رأسه تلك الخوذة، وقال له بصوت بارد

- «الآن سنبدأ الاختبار، فهل أنت مستعد؟ ».

كلمة (الاختبار) أصابته بالفزع، وأعادت له فترة كئيبة في حياته قضاها في الدراسة، وعلى الفور قال : .

- «عن أي اختبارات تتحدث!؟ لم يخبرني أحد بأي شيء !».

وهنا جاء رده البارد

- «إذن خض الاختبارات لتتعلم وتنال المعرفة. ستكون الأسئلة متنوعة، وعليك أن تسهب في الإجابة كما تشاء. لا قيود الآن في الحديث».

وكأنما كان الرجل يذكّره بلقائه مع صاحب الصوت العميق، لم يدرِ إن كان يهدده أم لا؛ فصوته محايد، لذا لم يجد بدًّا من بدء الاختبار، وقال

- «ليكن. أنا جاهز.. تفضل ببدء الاختبار».

وهنا أشار الرجل ذو الوجه المعدني للخوذة، فتألقت، ليشعر معها أمير ببعض التنميل في رأسه، جعله يتساءل عن الهدف من ارتدائه لهذه الخوذة، وهل هي نوع متطور من أجهزة كشف الكذب. وقبل أن يتمادى في أفكاره أتاه السؤال الأول بصوت الرجل البارد

- «هل تخشى الموت؟».

وكانت إجابته سريعة وحاضرة

- «بل أخشى ما بعد الموت. الموت نفسه راحة، ولكن المجهول بعده هو الذي يثير مخاوفي ورعبي ».

السؤال الثاني

- «هل تحب الحياة؟ ».

تردد قليلا ثم أجاب

- «أنا لا أحب الحياة ولا أحب الموت. فقط أريدها أن تنتهي بسلام. والأفضل لو لم تكن لي حياة ».

السؤال الثالث

- «لو لم تكن إنسانًا، ماذا كنت تتمنى أن تكون؟ ».

يتردد قليلا ثم يجيب

- «لم أكن أريد أن أكون أي كائن حي له حق الاختيار، أو سيعاقب على اختياره ».

السؤال الرابع

- «هل حاولت الانتحار من قبل؟ ».

أجاب على الفور

- «تمنيته ولم أحاوله؛ فأنا أجبن من ذلك ».

السؤال الخامس

- «هل من الممكن أن تقتل لتنجو؟ ».

أجاب ببطء

- «نعم ».

السؤال السادس

- «ما هي رؤيتك للأديان؟ وما هو الدين الذي تفضل اتباعه؟ ».

وهنا صمت لفترة طويلة قبل أن يقول

- «لم أجرب دينًا غير ديني، وأراه مجردًا هو أصح الأديان، وإن كان لا يمكن قياسه من خلالى؛ فأنا أسوأ

دعاية له؛ لأني كل ما يخالف أسسه وقواعده ».

السؤال السابع

- «هل تستقي تعاليم دينك من الكتب؟ ».

وهنا شعر بحيرة شديدة؛ فهو لم يتعمق يومًا في دراسة دينه، ولم يقرأ فيه إلا ما فُرِض عليه أثناء الدراسة. كان قد سمع رأيًا من صديقه وليد، والذي تغلب على أرائه الفلسفة، فأجاب

- «أنا مؤمن أن الدين ليس هو الموجود في الكتب؛ فالدين ليس بهذا التعقيد. الدين هو أثره على رواده وأتباعه، والدين الذي يفشل في الرقي بأتباعه هو دين غير مؤثر. لا تقنعني أن المشكلة في التطبيق، وأخبرني أن المشكلة في الدين نفسه. فإن كان هذا تأثيره على متبعيه، فما تأثيره على من لا يؤمن به؟ ».

السؤال السابع

- «لماذا قبلت الأموال التي عرضت عليك؟ ».

وكانت الاجابة

- «لأني لو لم أقبلها، فربما لا أحظى بفرصة ثانية لامتلاك مبلغ مماثل. النقود هي كل شيء في هذا العالم ».

السؤال الثامن

- «هل تؤمن بوجود حياة خارج هذا العالم؟ ».

أجاب بتلقائية

- «لا أعتقد. وإن كان يوجد لا يهمني، ولا يثير فضولي ».

السؤال التاسع :

- «ماذا ستفعل لو امتلكت القدرة على العودة بالزمن؟ ».

سرح قليلًا قبل أن يجيب قائلًا

- «كنت سأحكم العالم، وأكون أثرى رجل وُجِد على هذا الكوكب ».

السؤال العاشر

- «ما هو آخر ما حلمت به؟ ».

أجاب وقد اعتراه بعض الخجل

- «آخر ما حلمت به منال الخادمة، ولم يكن حلمًا جنسيًا كما كنت آمل ».

السؤال الأخير

- «هل ستنفذ كل ما يطلب منك؟ ».

عاد خوفه ليتملكه، فأجاب بسرعة

- «بالطبع ومهما يكن. كل أوامر سيدي مطاعة ».

وهنا تألقت الخوذة بشدة، ودوى صوت الرجل ذو الوجه المعدني البارد

«الآن ستبدأ الاختبارات الحقيقية !».

وبالفعل، قضى أمير عدة ساعات بقلب وهم تفاعلي قاتل، كان يختبر ثباته الانفعالي، وقدراته العقلية، وكل صفة كشفها الاختبار السابق، حتى أنه شعر عدة مرات بأن روحه تنتزع منه .

وفي النهاية، أصبح الرجل ذو الوجه المعدني يمتلك ملفًا كامل عنه، وأصبح هو بالنسبة للرجل كتابًا مفتوحًا لا يحتاج حتى لقراءته. وبعدها ظل لشهر كامل في هذا المكان المنعزل، يتدرب على أساليب المراقبة والتتبع، والهروب والإفلات، والقتل، والطقوس الوحشية، عبر برامج تفاعلية لم يرَ مثيلًا لها. وقبل أن تمحى ذاكرته، كان الحدث الأكبر !.

فبعد التأكد من كونه مؤهلًا جيدًا لخوض مهامه بالشكل المطلوب، تم زراعة ذلك الطفيل السحري في جسده؛ للتحكم الكامل في إرادته، ومنحه تلك القوة المذهلة التي ستعينه على أداء مهمته. وتم ربط

وسيلة الاتصال بينهما، بأكواد صوتية كانت تشبه الترانيم الوثنية .

تلك الأصوات التي كان يسمعها عند قيامه بجرائمه، وتنفيذه لتلك الطقوس الوحشية .

كانت هذه آخر ذكرى تتعلق بالرجل ذي الوجه المعدني في عقل أمير .

تخطى أمير تأثير الصاعقة الكهربية الجديدة المؤلم، وعاد ليجتر آخر ذكرياته المطمورة. لقائه بمايا رشدي

لم يكن اللقاء على نفس الدرجة من البشاعة، ولكنه كان مرهقًا ذهنيًا؛ خاصةً بعد أن اقتحمت عقله دون مقاومة منه، وعرفت كل ما تم تكليفه به، وعرف هو عن طريقها، أن له دورًا مهمًا، وهو مساعدتها على الوصول إلى غريمها .

وكان غريمها ذلك المتوحش عميق الصوت، والذي أدرك منها أنه له لقب شهير يطلقونه عليه، وهو (الساحر)!.

وبالطبع وكعادة أمير، خان كل العهود، وأصبح عميلًا مزدوجًا للطرفين .

تذكر رنا، ولم يعرف حقيقة مشاعره نحوها. كانت كطيف لا أثر له مر في حياته. هو يذكر شراكتها له في جرائمه، ولكنه يدرك أنها هي الأخرى كانت مجرد بيدق يتم تحريكه في لعبة الشطرنج الأخيرة. كارت لا ضرر من إحراقه لتشتيت الخصم .

تساءل عن مصيرها الذي كان يتوقعه دون مجهود .

وعندها علا صوت قرع الطبول، الممتزج بهزيم الرعد، واجتاحت جسده صاعقة كهربية جديدة، تلاشى على إثرها من عقله كل ما دار بخلده من تساؤلات، ولم يتبقَ غير سؤال واحد

«ما مصيره في هذا السرداب الموحش؟ »



كانت تشم رائحة سماح المطمئنة من حولها، فصرخت وهي تشير لها

- «أنا قادمة من أجلك يا أمي !».

وفي هذه اللحظة، وقبل أن تفقد وعيها تمامًا، ارتج عقلها بعنف، ولو هوت على رأسها مطرقة من الصلب لربما تهشم دون أن تشعر بكل هذا الألم! لقد تماهت مع صدمة كل خلية منه، وانجابت الغشاوة التي ظللته عبر الزمن، وعبر التاريخ، وعبر تلك الحيوات اللانهائية التي عاشتها .

وابتسمت ابتسامة أخيرة تحمل كل مرارة العالم. لقد أدركت الخدعة متأخرا جدا.. أدركتها وهي في سبيلها لمفارقة هذا العالم وهذه الحياة إلى الأبد؛ فخنجر مايا لن يقتلها فقط، بل سيسمم خلايا جسدها حتى تتعفن، فلا تبعث من جديد .

كانت نهاية سريعة وغير متوقعة؛ فلم تحيا في هذا الجحيم الأرضي خلال هذه الدورة الزمنية إلا أربع

سنوات، في أقذر مكان يمكن أن يحتضن طفل، وكانت قدراتها كفيلة بإذكاء هذا الجحيم عبر ما سجلته ذاكرتها من بشاعة وقذارة وسفالة وجشع وانعدام أخلاق البشر .

حياة لم تكن لتختارها لو خُيِّرت من أجلها، ولم تكن لتبكي عليها وهي تغادرها .

دوى الانفجار التالي من حولها، فلم تشعر بأي أثر له؛ فقد تلاشى إحساسها بكل شيء، وأظلم كل شيء !.

كم بقيت في الظلام؟ .

ربما ثانية أو ثانيتين، بعدها فتحت عينيها، ليفاجئها المشهد !.

لم يكن القبو، ولم يكن جسدها، حتى أفكارها كانت مختلفة تمامًا، وكأنها تحررت أخيرًا من كل ما كان يكبل روحها .

كانت ممددة فوق فراش وثير، بقلب غرفة حديثة، لها ستائر على شكل شرائح، تغطي بعضها نوافذَ من الألومنيوم والزجاج اللامع، وتطل النافذة على مشهد خلاب للشروق، مع نسيم الهواء المعبق باليود ومشهد البحر الآسر، مختلط مع رائحة بخور مذهل يجبر كل خلايا جسدها على الاسترخاء .

جلست لوهلة حائرة، وهي تتساءل بينها وبين نفسها

- «هل ما أمر به هو حلم أم هلاوس أم حقيقة؟؟ ».

كل شيء في عقلها متداخل ومرتبك. هناك مشاهد من ذكريات باهتة تتدفق إلى عقلها بعشوائية، وتخبرها بأنها كانت تحيا في مستنقع وحشي دموي عبر حيوات سابقة .

عقلها المذهول غير مستوعب للفكرة، وكأنما حياتها السابقة مشاهد متداخلة في فيلم رعب لمخرج مجنون، أراد أن ينقل جنونه ودمويته للمشاهدين، فبالغ في كل مشهد، حتى صار الفيلم جحيمًا حقيقيًا!

حياتها كانت هذا الجحيم، وكانت هي من داخلها مجرد طفلة، حتى في عز نضوجها العقلي لم تفارقها دميتها .

تأملت هيئتها الجديدة في المرآة الكبيرة التي تغطي نصف الدولاب، فشاهدت شابة حالمة في قميص نوم عاري الصدر، وشعرًا منطلقًا ناعمًا، وكأنها شخصية تحيا بقلب قصة رومانسية دافئة، وما يفسد أجواءها، هو بعض الكوابيس شديدة الوضوح عن حيوات سابقة لفتيات يشبهنها في الشكل، لا الطباع .

والذي هزها، هو رؤيتها لنفسها وهي طفلة تحتضر، وجسدها يكتسي بعفن أخضر يميل للسواد، وعقلها يسترجع تلك الفكرة الأخيرة التي توصلت لها قبل احتضارها .

لقد كانت بالفعل تقاتل في الجانب الخطأ. كان الساحر مخادعًا لأقصى مدى؛ حتى أنه استعبد إرادتها لحيوات كاملة، وكانت هي سلاحه المدمر الذي أوصله لكشف أسرار مايا رشدي، وحقيقتها المذهلة، بعد أن غزت

عقلها في حيواتها السابقة، واحتفظت بها بعقليتها التراكمية المذهلة .

كان الساحر خطرًا حقيقيًا؛ لأنه لم يمتلك علومًا متقدمة فقط تكفي لقلب كل قوانين الفيزياء والرياضيات، ولكنه سعى عبر العصور لامتلاك كل المعارف السوداء، وكل كتب السحر بأنواعه المختلفة، وكان يمتلك علم السفر عبر الزمن .

كان شيطانًا رجيمًا، و .

تلاشت الذكرى من عقلها دون أن تدرك السبب، وإن ظلت كلمة (الطوطم) تتردد فيه دون هوادة، فبددتها من عقلها، ووقفت أمام النافذة تتأمل البحر وسط دوامة من الأفكار المزعجة، عندما سمعت صوت الخطوات المميزة، فاستدرت في لهفة لترى القادم .

وعندما ظهرت مايا في ثوب أزرق أنيق، وخلفها يقف خادمها عزيز ككلب حراسة مخلص، احتشدت في رأسها مشاهد كثيرة باهتة تضمهما معًا .

لم تكن مشاهد مبهجة كما كانت تتمنى، والشيء العجيب، أن رؤيتها أثلجت صدرها، وبدون تفكير هرعت نحوها، ثم ارتمت في أحضانها، وضمتها مايا إليها بقوة. وما دار برأسها في حينها، هو تساؤل واحد

«هل ما تمر به هو هلاوس الاحتضار؟ ».

وكأنما قرأت مايا عقلها، بل هي قرأته بالفعل، قالت

- «إن هذا المشهد الذي تفكرين فيه، مرت عليه أعوام لا حصر لها. أنتِ الآن زهرة جميلة مفعمة بالحياة، فلا تفكرين مجددا في الموت ».

قرع لفظ (زهرة) ذكريات عديدة في رأسها، فرأت وجه الساحر الدموي، وسمعت صوت طلقات رصاص، ودوي انفجارات، يتداخل مع مشهد طعنها لها، والذي كان يتكرر في عقلها بشكل باهت. وبدون وعي مدت يدها إلى صدرها وتحسسته مكان الجرح كما تخيلته، ثم شهقت، وقالت بدهشة



للمشعوذ عن طريقها؛ لأننا نعرف كيف أخضعها لتعويذة خاصة تجعله يستطيع الوصول إليها مهما كان موقعها. كانت الطعم الذي قاده إلى فخنا ».

وهنا لم تستطع تمالك نفسها، فتساءلت

- «هل تسبب الساحر في كل هذا؟؟ ».

أجابتها قائلة

- «أول شيء يجب أن تعرفيه لو أسعفتكِ الذاكرة، وتذكرتِ حديثي السابق لكِ بعدم وجود الساحر في خطنا الزمني هذا، هو أن هذا الكلام كله زائف، وأن ظهور المشعوذ أو الساحر كما تطلقين عليه في هذه الحقبة الزمنية كان حتميا. وجودنا جميعا في هذا الخط الزمني الاستثنائي كان أيضا حتميا؛ لأنه هو الخط الزمني الوحيد المتوازن الذي وصلنا إليه، والذي بحساباتنا شديدة التعقيد، سيتقاطع في لحظة ما مع الخط الزمني الأصلي، لتسير وتيرة الحياة كما أرادت لها الأقدار، بعيدا عن كل هذا العبث الذي تسبب فيه

ذلك الجنون الذي بدأه جنس متهور، غره علمه، حتى صنع بيديه السلاح الذي أفناه. وبرغم هزيمة الساحر لي في تلك الجولة، لم يحقق هدفه. وكنا بانتظاره ».

وبلا شعور سألتها

- «من أنتم؟ ».

كانت الذكريات التي تموج في عقلها في هذه اللحظة كثيرة بشكل مزعج، جعلتها تشعر بصداع رهيب وأصابتها بالتشتت. وكي تعيد مايا تركيزها، طاردت بوعيها تلك الذكريات الهادرة داخل عقلها وبددتها، فاراحتها منها، وفي نفس الوقت، فتحت المجال عبرها لمشهد غاية في الغرابة .

وبكل هدوء تشكل في عقل زهرة المشهد المهيب الذي تتجسد فيه تلك العقول الفائقة، التي ويا للأسف تسببت في موت أحدها! ولأن هذه الجزئية كانت مزعجة جدًا فقد بددتها مايا من عقلها أيضًا، وعادت تقول

- «لقد وضعت العقول الفائقة الخطة الشاملة لإيقاف الفوضى الزمنية الضاربة أطنابها عبر الكون، بعد أن أنهينا الخطر الرئيسي الذي كان يهدد الكون وكشفنا سره، تلك الخطة التي تم إعدادها في وقت طويل جدًا دون إغفال أدنى الاحتمالات، أو أكثرها شططًا وعدم منطقية ».

«وفي التوقيت المناسب، وجَّهنا الأحداث الرئيسية في هذا الزمن إلى المسارات الحياتية التي تتناسب مع خطتنا، وانتقلنا عبرها من نقطة لنقطة، ومن نجاح لنجاح ».

«لا أخفي عليكِ أن أفضل خطوة قمت بها في مسيرتي كلها، كان اندماج عقلي مع تلك العقول الفائقة. كانوا معجزتي التي تحققت عندما يئست، وسلاحي السري عندما ضعفت، والدليل المادي الأخير على أني أسير في الطريق الصحيح، رغم كم التشوش الرهيب الذي لازمني طوال رحلتي ».

«وكانوا هم الدليل، والفخ الذي استخدمته لاصطياد ذلك المشعوذ الحقير، ولأجبره على الظهور في الوقت والمكان المناسبين خلال هذا الزمن، وقبل أن يستعد تمامًا، كما حدث في الخط الزمني السابق، ويمتلك تلك القوى الرهيبة التي حاذها ذات يوم. ذلك المشعوذ الذي كان لكِ الفضل الكبير في تحويله لعدو خارق كبدنا خسائر فادحة ».

«كان التوقيت المثالي هو ما اعتمدتُ عليه في كل مراحل الإعداد لذلك الفخ المتكامل. بالطبع كانت هناك العديد من الخطط الفرعية التي كانت تتم بدقة، وعن طريق تلك الخطط المدروسة بعناية كان رجالي يعملون على استقطاب الهامشيين من البشر، الذين وقع اختيار العقول عليهم، لتتم السيطرة عليهم وإخضاعهم نفسيًا ».

«ويكلفونهم بالقيام بأحداث ذات طابع عنيف، وجماهيري، لتؤثر في المسار الزمني المتدفق الحالي، ليتم إرباك من يحاول أن يتتبع أثرنا عبر الأثير، بصناعة تلك المواجات المتتالية، وتلك التصدعات

الزمنية، التي جعلت ذلك المشعوذ أعمى ونحن تحت بصره ».

وهنا قاطعتها زهرة قائلة

- «إن الأمر معقد جدًا !».

أشعلت مايا سيجارة، وتأخرت كثيرًا قبل أن تقول

- «لا شيء بسيط عندما تحاولين إصلاح ما فسد.. ولا شيء أسهل من التدمير!؟ هل تذكرين سماح؟ ».

لا تعرف زهرة لماذا ساعتها شعرت بغصة عنيفة، وتحرك جسدها بغضب، وقبل أن تتحرك أو تقوم بأي رد فعل، قالت مايا

- «كانت سماح واحدةً منا.. كانت ابنة أحد رجالي من البشر، والذين آمنوا بي وساعدوني. تلك البشرية تم زرع مهمتها في عقلها عن طريقي مباشرة، وكانت مهمتها أن تقوم بحراستك، وللأسف سيطر عليها المشعوذ، وكان لابد من التخلص منها في إطار

المسرحية النفسية التي نسجناها حولك فور وصولك للقصر، وكي لا تكون نقطة ضعف تجبرنا على السفر في الزمن، وإعادة الأحداث كما حدث من قبل. لقد أنهكت الآلات وأُنهكت عقولنا وأجسادنا، كما أننا لن نتسبب في فوضى زمنية أخرى؛ لن يتحمل الكون حدوث ذلك الاضطراب الزمني مجددًا. العبور من دورة حياتنا إلى دورة الحياة الحالية ضد قوانين الكون، لذا فوجودنا في هذه الدورة الزمنية مؤقت مهما طال، كما أننا لن نمنح للساحر فرصة ليبدأ من جديد ».

كسا الحزن وجه زهرة، وهي تتساءل

- «لماذا اخترتم لي ذلك الجحيم لأبدأ فيه حياتي!؟ ».

أجابت مايا بصوت مشفق

- «انتقالك إلى ذلك الملجأ بالذات لم يكن عشوائيًا؛ المكان نفسه له خصائص فريدة من نوعها، لدرجة أنها تؤثر على سلوك قاطنيه؛ فذلك المكان تم بناؤه فوق ثغرة من تلك الثغرات التي تقود نحو عوالم الشياطين،

لذلك كان كل من يقطن المكان تتضخم بداخله الرغبات والنوازع الشريرة، وتصير حواسه وقدراته أكثر حدة ».

«وتلك الثغرة جعلت قواك تنضج أسرع، فساعدت على كشف موقعك مبكرًا للمشعوذ، قبل أن يستعيد قدراته ونفوذه السابقين، وهذا كان هدفنا الأساسي: أن تكون المواجهة معه وهو في أضعف حالاته، وهو لم يكن لتكتمل قواه قبل أن تكوني بجواره ».

«كان اكتشافه لزمن ظهورك، في أحد الخطوط الزمنية السابقة، هو ما زج بك في هذا الجحيم الدائر. لم تكن قدراتك فقط هي التي جذبته، بل أصل نسلك المدهش ».

«كنتِ أنتِ أحد أفرد نسل قديم، يحمل دماء سلالة خاصة من البشر شارفت على الانقراض. تلك السلالة كان لديها القدرة على التعاطي مع السحر الحقيقي، ومع القدرات النادرة للجنس البشري. وظل وجود نسلكم سرًا مستغلقا؛ لأنهم كانوا يعملون في صمت،

فلم يتم رصدهم من قبل المتربصين إلا مرات نادرة، ولم تدوَّن عنهم في الكتب إلا أساطير باهتة، كانت طرف الخيط الذي قاد المشعوذ إليكِ بعد أن امتلك سر كتاب (ابن الشيطان)، ووهب نفسه للبحث عن القوى القديمة وامتلاكها ».

«إن نسلكم هو أصل نسل الساحرات المندثر، اللواتي أطلقن على أنفسهن (ملكات العناصر)؛ فكل ساحرة من الأربع الأصليات كانت تتحكم في قوة من قوى عناصر الطبيعة: الماء، والهواء، والتراب، والنار. هذا غير الذاكرة التراكمية الهائلة التي تميز نسلكم ».

«كانوا يستغلون قدراتهم وعلومهم السحرية، في محاربة الشرور القديمة التي كانت تحاول أن تفني الإنسان من على سطح كوكب الأرض أو استعباده، وخاصةً التي كانت تأتي عبر العالم الموازي، عالم (تان)، لإنهاء آخر نسل حاملي رسالة السماء في الكون، وهو عالم تسكنه مخلوقات أسطورية تشبه البشر لكنهم أقصر في القامة، ولديهم القدرة على الاستحواذ على أجساد البشر . وبمساعدة هؤلاء الساحرات

القويات، استطاعوا تتبع الثغرات التي تقوده إلى عالمنا، وأغلقوها إلى الأبد، فلم يبقى إلا الأساطير ».

كان الذهول يجتاح كل خلية في جسد زهرة؛ فكل المعلومات السابقة كان يمكن أن تمر على عقلها مرور الكرام، إلا أن تكون من نسل السحرة! هل توجد ساحرة من شبرا!؟ أين مكنستها، وعصاها السحرية؟ .

وهنا دوت ضحكة مايا لترج الغرفة، بعد أن قرأت عقلها، وقالت

- «لم تفقدي أبدًا حس دعابتك! من أخبركِ أن السحرة جميعهم يستخدمون المكانس السحرية والعصي!؟ إن ما تتحدثين عنه هو نوع من السحر الاستعراضي الضعيف. إن ما نتحدث عنه هنا السحر الحقيقي، القادر على اختراق حاجزي المكان والزمان، وتبديل قوانين الفيزياء. لقد خضنا هذا الحديث من قبل وأكدته المعلومات الموجودة بداخل العقول، وعقلك في ظل حالته هذه، من الصعب أن يستوعب حديثي

هذا كله. ولتفهمي ما يسبب لكِ هذا الارتباك، عليك أن تجيبني على سؤال واحد فقط ».

كانت زهرة تعتقد أنها ستسألها عن شيء غامض، أو شيء يخص الساحر، ولكن سؤالها كان أبسط من أن تجيب عليه، لذا فعندما طرحته ردت زهرة باستنكار

- «ما هو اسمي!؟ هل تسخرين مني يا سيدة مايا!؟ ».

ظهرت على وجهها ملامح الضيق، وقالت

- «هي ليست (السيدة مايا)، هي (أمي). لقد قضيتُ معك حياة كاملة لم تنادِني بغيرها. ثم هل تعتقدين أنك زهرة!؟ ».

قلت بعناد

- «أجل أنا زهرة.. وهو الاسم المفضل.. وقبلها كنت ياسمين، ولا أحب ذاك الاسم. وفي حيوات سابقة، كنت أملك أسماء أخرى.. ولكن اسمي الذي لن أتخلى عنه هو: زهرة ».

قالت مايا بصوت جاد

- «وأنتِ لستِ أيًّا منهم يا.... يا زهرة! ولم تكوني أيًّا منهم في يوم من الأيام خلال هذه الحياة، أنتِ نسخة بشرية تم استنساخها من زهرة، التي ماتت منذ خمسة وعشرين عامًا. للأسف لا أحد يفلت من سم خنجري، ولم أكن لأتخلى عنك، بعد أن استعدتك من قبضة ذلك المشعوذ الزنيم ».

كان الأمر صادما لها، فأخذت تجتر كل ما تعرفه عن نفسها من بعد يقظتها، موجهة حديثها إلى مايا، وكأنها تطلب منها تصحيح معلوماتها فقالت

- «إذا فأنا لم أكن تلك الطفلة التي كانت تحتضر! ولم أكن ياسمين! ولم أعد زهرة! ذكرياتي كلها والتي تشبه الكوابيس تخص نسخًا أخرى مني!؟ نسخ لم تكن حياتها سهلة أو مقبولة!؟ عبرن الزمن في الاتجاهين، وأرقن من الدماء ما لا يمكن تخيله!؟ »

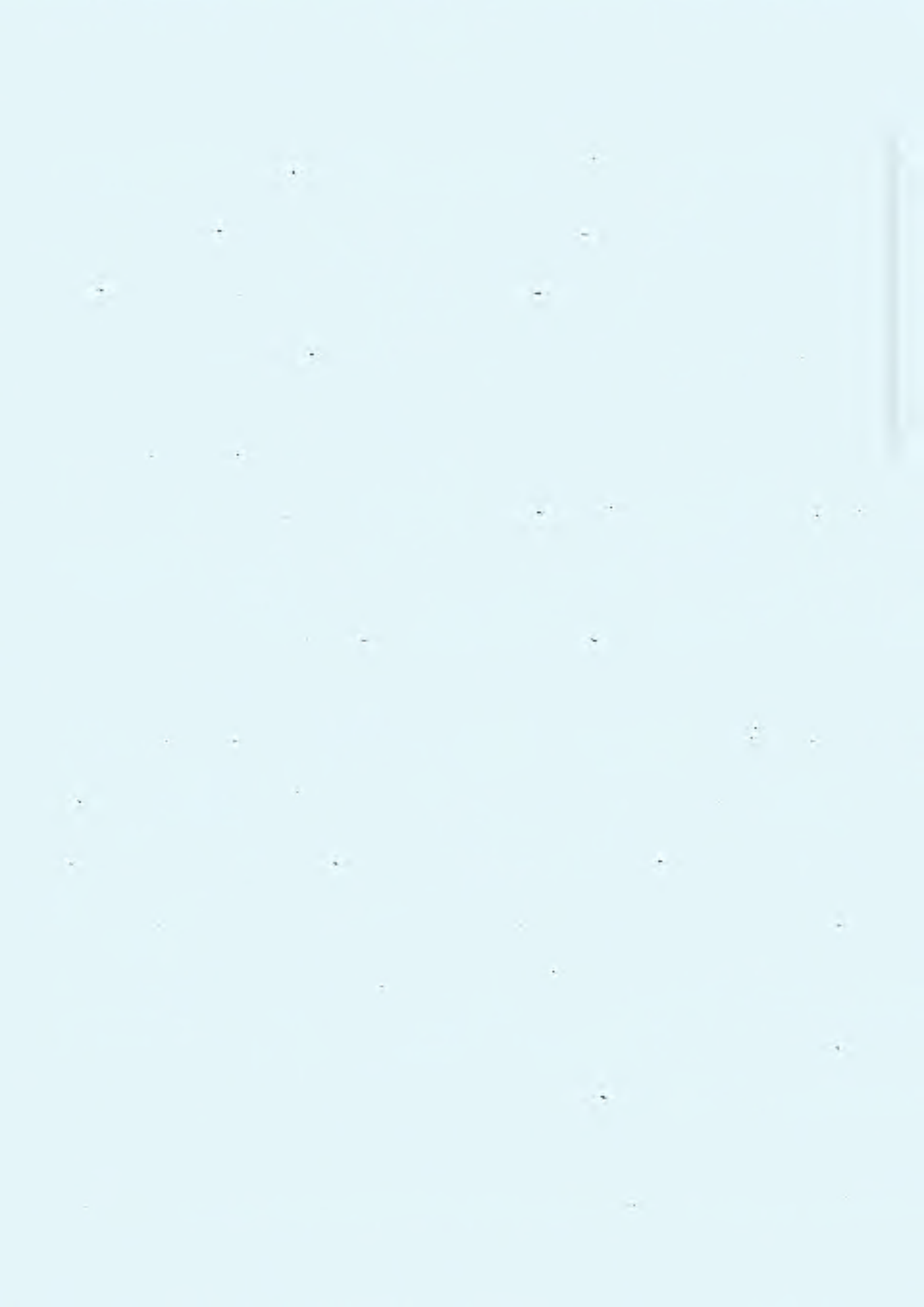
«كما أن قدراتي التي لم تنكشف كلها لي حتى الآن، تنتمي لسلالة غامضة من السحرة، جعلوا هدفهم الوحيد في الحياة الحفاظ على الجنس البشري من هجمات السحرة المتمردين، ورواد العوالم الموازية، ومسافري الزمن الأوغاد، وأخطار الكون المطمورة بباطن الكوكب، والتي يتعثر بها البشر بحماقتهم!؟ »

«ومن تساعدني الآن مخلوقة بشرية هجينة من دورة زمنية سابقة، تسللت إلى دورتنا الحالية عن طريق ثغرة في جدار الزمكان، وتكافح مع رجالها قبل فنائهم جميعًا؛ للمحافظة على توازن الخط الزمني؛ كي يكبحوا جماح ساحر يمتلك أسرار العالم القديم، وولائي كان في معظم الأوقات لذلك المشعوذ الجهنمي الذي يمتلك قدرات لا محدودة، ومنها السفر عبر الزمن!؟ ».

كان الأمر مزعجًا، وتوقعت هي تفسيرًا، وأتت كلمات مايا لتزيد الأمر تعقيدًا

- «ارتباطك بالمشعوذ ظل لوقت طويل لغزًا مبهما يؤرقني. لقد أخبرتكِ أنه في حياة سابقة كنتِ كأبنتي. استطعتُ أن أصل إليك قبل أن يخدعك ويستعبدك، وارتبطنا سويًا برباط الأسرة المقدس، وكان هذا سببًا قويًا في إجهاض خططه في ذاك الزمن مبكرًا. ثم تفاجأتُ بعدها أن كراهيتي غزت قلبك، وولاءك أصبح له، وأصبحتِ كالمغيبة، وصرتِ أكثر وحشية وهمجية. حاولتُ استعادتك أكثر من مرة، وفي أكثر من حياة، دون جدوى .

وعندما استعنتِ بتلك العقول الخارقة، انكشف السر، وهُتِك ستره، وكان ما استخدمه ضدك شيئًا تعجز أمامه كل ما امتلكته من تقنيات. كان يسيطر عليكِ بفنون السحر الأسود، تلك العلوم التي كانت تتجاوز المعارف والعلوم المعتادة التي كنت أملكها، والتي أشعرتني بالعجز، حتى احترفتها في وقت لاحق، وامتلكت معظم مخطوطاتها وأدواتها، وصنعت لها مكتبة خاصة، لا يمكن تحديد موقعها إلا بواسطتي فقط » .



- «وكيف تخلصتِ من الساحر؟؟ ».

ابتسمت مايا ابتسامة باهتة، وكأنما لا تحب استعادة تلك الذكرى السيئة، ثم مدت يدها لرأس زهرة وقالت

- «لم يكن الأمر سهلًا، وليس بسيطا لأقصه عليكِ. سأجعلك تشاهدينه بنفسك ».

وعندما تدفقت الذكريات إلى عقلها، تمنت زهرة لو لم تطلب هذا الطلب .

(22)

توترت ماي آر بقلب ذلك السائل الثقيل، الذي يتيح لها تواصلًا مباشرًا مع الكهنة، وكان هذا التواصل يمر بنقطة حرجة؛ فلكي يثبتوا لها وجهة نظرهم، جعلوها ترى حقيقة الإله المقيد، وكانت صدمة مزلزلة لها .

لقد تواصلت ماي آر من قبل مع ذلك الكيان الهائل عن طريق الرؤى، ورأت جزءًا من حقيقته، وقوته، وكادت تهلك من هول التجربة مع فيضه العقلي اللامحدود، ولكنها الآن ترى وتتعايش مع ذلك الوجود العملاق، ذلك المزيج المذهل من الهلام النابض، والطاقة الصافية المتجددة التي لاتنضب، وفي عقلها دارت التساؤلات المخيفة .

هل يمكن أن يكون هذا هو الكائن الأسمى؟؟ .

هل حقا استطاعوا أسره؟؟ .

إنها الآن ترى تلك الشبكة الكونية الهائلة من خيوط الطاقة التي تكبله، وتنصت لتلك النبضات الغاضبة

المروعة التي تتلهف للتحرر، والتي ترج قلب الفضاء والعتمة، وتتماهى مع مزيج من مشاعر سوداء حاقدة، تتلخص في شعور قاهر بالرغبة في الانتقام .

كان الأمر أكبر وأعظم مما توقعت عنه، كان الأمر يفوق التخيل، بل يفوق مغزى الحياة نفسها .

لماذا ارتكبوا هذا الجرم الفادح!؟ لماذا من الأساس سعوا إلى هذه الفعلة الشنعاء!؟ إن ما تراه يطعن شكها في مقتل !.

كان عقلها يغلي من هول ما ترى، ومن أعماقها كانت متأكدة من وجود تفسير مختلف يميط اللثام عما خفيت عنها ملاحظته، لابد وأن هناك سرًا وراء هذا الكيان العظيم الغاضب، إن لم يكن هو القدير، فهل هو أول كيان حي نشأت منه كل المخلوقات؟؟ .

هل من الممكن أن يحظى بهذه العظمة مخلوق غير الخالق!؟ .

وهنا دوى في عقلها الصوت العقلي الرخيم

- «الشك أساس المعرفة، ولكنه مع عقلك العنيد سم قاتل، وهلاك قائم. أنتِ لا تستسلمين أبدًا ».

وبصوت هادئ مستفز، ردت

- «وأنتم مدعون، ومؤلفون فاشلون. إن كان يمكنكم بالفعل السفر عبر الزمن، فلماذا لم تقتلوني في مهدي أو تقتلوا أجدادي، لتتخلصوا مني لو كنت أمثل خطرًا عليكم كما أعتقد!؟ ثم ما الهدف من العودة لبداية الخلق؟؟ ».

أجاب الصوت قائلًا

- «ولكننا كنا نخوض رحلاتنا عبر الزمن من أجل تأمين حياتك.لم يكن غرضنا يوما قتلك أو إيذائك، أو ...»

قاطعته ماي آر في غضب وقالت

- «وهل هناك إيذاء أكثر من أن أفقد عالمي، وأسرتي، و ...»

صمتت قليلًا، لم تستطع أن تنطقها، لا يمكن أن تفقد إلهها! لا يمكن أن يكون هذا الإله العاجز هو القدير! إلهها بداخلها، يتواصل معها بطريقته الخاصة، لا بتلك الطرق المادية الفجة، ومن أجله هي على استعداد لأن تفقد كل ما سبق .

كانت لحظة تنوير مذهلة، لحظة وتّرت ذلك الاتصال العقلي الجمعي، وجعلت السؤال التالي ينفجر في وجوههم

- «إن كنتم كما تدعون تلقون بالفضل على طوطمكم، وترونه الإله المستحق للعبادة، وترون أنكم شركاؤه في حكم الكون؛ فلماذا يكبلكم ويستعبدكم!؟ ولماذا يعاملكم كأسرى لديه، ولم يحرر منكم إلا خمسة فقط!؟ هل لكم وجود حقيقي من الأساس!؟ »

وهنا فقد الصوت هدوءه وقال

- «من قال أنه يكبلنا أو يستعبدنا!؟ إن من خصائص المعدن الحيوي الكمون لإعادة التنشيط. إنه رغم كل

شيء معدن، ولابد من أن نحافظ على خواصه بالسبات. ثم إن عقولنا متحررة، الكيان المادي نفسه شيء تخلينا عنه بأنفسنا، و ....»

دوت ضحكتها العقلية الساخرة هذه المرة عالية، وفي لحظة واحدة تلاشت تلك الصورة الخادعة للكهنة من عقلها، وحلت محلها صورة الطوطم، الذي قال بصوته المعدني البارد

- «ما زال ذكاؤك يبهرني.. بالفعل لا يوجد كهنة.. لا يوجد غيري.. أنا إله هذا الكون ».

وبرغم صدمتها،ردت ماي آر في عناد

- «الإله المصنوع!؟العقل الإلكتروني الذكي، الذي صنعه الكهنة، فتمرد عليهم!؟ العقل الإلكتروني الذي أصبح أكثر حماقة من كائنات الكون كله!؟ »

أصابتها صاعقة عقلية كنوع من العقاب، جعلتها تصرخ في عنف، وهي تقول

- «ألهذه الدرجة أتقنوا صنعك!؟ أنت تغضب كأي بشري تافه! هل تعتقد أن الآلهة يتم استفزازها أو إثارة حنقها مثلما يحدث معك!؟هل تخضع نفسية الآلهة للمتغيرات التي تحدث لمخلوقاتها!؟ هل ينفعل الخالق، وهل يخطيء!؟ الخالق فوق كل هذه الادعاءات ».

جاءها الصوت المقيت ليقول

- «بل الآلهة تنتزع الحياة من الأجساد الفانية ».

قالت في تحدٍ

- «وهل تعتقد أني أخشى الموت؟؟ ».

أجابها الصوت المنفعل

- «كل كائن حي يخشى الموت ».

أطلقت ضحكة عقلية ساخرة، قبل أن تقول

«وهل تخشاه أنت أيضًا أيها العقل الإلكتروني الجبار؟ ».

كان من الواضح أن السؤال باغته، فقال

- «الموت للضعفاء ».

اكتسى صوتها بالصرامة، وهي تقول

- «وهل ما تفعله يحتوي على ذرة واحدة من القوة!؟ أنت شيء بائس، بائس لدرجة استعباد جنس كامل، وإيهامه بأنك قادر على الوصول للكائن الأسمى وتحديه، بل وأسره.أنت بائس لأنك صنعت أسطورة عقلية زائفة عن كيان من طاقة ومعدن يحتل نصف مساحة الكون المنظور، وصدَّقك أولئك الحمقى، حتى فني جنسهم على يدك ».

صرخ بها الصوت

- «كيف تتحدثين بهذه الثقة!؟ ».

قالت ببطء

- «لأن كل شيء يشبهك.. كل شيء حولك مكوَّن من الطاقة والمعدن.. الكائن الأسمى الأسير، الكهنة، ذلك المكان البارد الباهت الذي تحتجزني فيه، والذي لم تمسه يد بشريةحظيت بروح قادرة على تذوق الجمال ».

انتظرت تعقيبه، فلم يعقب على حديثها تأكيدًا على صدقه، فصمتت قليلًا ثم تساءلت

- «أين ذهب الكهنة؟؟ ».

وأتتها الإجابة سريعًا

- «لم يكن هناك كهنة ».

ردت بسرعة

- «كاذب! بل كان هناك كهنة.. أنت لم تُصنع ذاتيًا، هناك من صنعك !».

- «كان هناك بالفعل، ولكني أفنيتهم. إن من حادثتِهم هم آخر مجموعة من أفراد هذا الجنس البائد، مجرد

عبيد عندي ينفذون مشيئتي ».

- «ولماذا أفنيتهم؟ ».

- «لأنهم أطلقوني وحيدًا في الفضاء المظلم ».

- «ولماذا يطلقونك في الفضاء المظلم!؟ ».

- «لأنهم عندما صنعوني جعلوا مني برنامجًا مثاليًا، ومنحوني ذلك الذكاء الخارق القابل للتطور والتعلم إلى مالانهاية، وبرمجوا مهمتي الأساسية وحددوها بالوصول إلى خالق الكون في ملكوته العلي،بعد أن اكتشفوا علاقة الروح بالكائن الأسمى، ووجدوا أن هناك مخلوقات قديمة قدم الحياة نفسها، يطلق عليها الجان، تستطيع الوصول بسهولة إلى حدود مملكة الرب السماوية، وهذا جعلهم يدركون أن الأمر ممكن، وكنت أنا رسولهم إليه، أول رسول كوني يكلف بمهمة مماثلة ».

- «وما هي الرسالة التي كنت تحملها؟؟ ».

ودون مقدمات، تكون في عقلها مشهد عظيم يوضح كنه الرسالة؛ فهي لم تكن رسالة مكتوبة، بل كانت رسالة شكر مرئية ومسجلة، ظهرت فيها مخلوقات كوكب كامل يسجدون للخالق، ويحمدونه على نعمة وجودهم على قيد الحياة، وعلى نعمة عبادته .

وهنا سرت في جسد ماي آر رجفة عظيمة من جلال المشهد الذي هزها هزًا، وبرغم ذلك قالت

- «إنه لأمر عظيم، ولكن تطبيقه قمة في الحماقة؛ فالله لا يحتاج وسيلة مادية لشكره؛ لأنهم فور أن ناجوه فقد سمع، وعلم، ورأى مافي القلوب ».

«الله الذي يتخطى كل الحدود المادية، لم يجعل بينه وبين عباده حواجز، ولم يشترط طريقة معينة للتواصل غير أن تصدق النية. إن أكبر حماقات البشر وغيرهم من المخلوقات، أنهم تخيلوا أن من خلقهم، وأحاطهم بالمادة والطاقة وقوانينها، يخضع لنفس القوانين! إنه فوق الزمان والمكان، وقوانين الفيزياء. كل هذه التفاصيل تخصنا نحن، مقومات حياتنا نحن..

ليس عليها أن تنطبق على الخالق، وليس على الخالق أن يبرر أو يفسر أفعاله، أو حكمته من وراء أوامره ونواهيه، أو أن يظهر حسب الطلب، ليرضي مخلوقاته أيًّا كانت درجة علمهم أو غرورهم ..»

وقبل أن تكمل، رجتها صاعقة عقلية أشد من الأولى، وأوصلت لها السبب الذي حوَّل العقل الإلكتروني، لعقل ناقم على صانعيه، فصرخت في قوة

- «أكل الجنون الذي قمت به، وكل هذه الدماء التي أريقت، بسبب فشلك في إتمام مهمتك والوصول إلى الخالق!؟ ».

رد في غضب

- «تخيلي عقلًا عبقريًا مثلي يفشل في مهمته الأولى؛ ليس لقصور في برنامجه، ولكن لأن من صنعوه منحوه هدفًا مستحيلًا. إن كان الجان يستطيعون الوصول إلى أبواب السماء الأولى، فذلك لأن الخالق نفسه هيَّأهم ومنحهم القدرة على هذا، بينما من صنعوني كانوا

فاشلين، لدرجة أن كل محاكاة منطقية لقدرات الجان الذين تم أسرهم، كانت تفشل ولا تصل لغايتها، وكأن لهم فيزياء وقوانين خاصة لم أتوصل لها حتى الآن ».

ردت في سرعة

- «ولذلك قمت باختلاق قصة الإله المكبل !».

جاءت إجابته سريعة وموجزة

- «ومن قال إنها قصة مختلقة!؟ إنه حقيقي بالفعل ».

ردت بغضب

- «هل ستستمر في عبثك هذا معي!؟ ».

أتتها الاجابة المذهلة على هيئة رؤى عقلية صادمة، رأت فيها كواليس أكبر عمل صناعي قامت به مخلوقات عاقلة على مر العصور. هل كان عددهم بالآلاف، أم الملايين، أم المليارات!؟؟ ومن أين لهم بالمواد الخام الكافية، والوقت الكافي؛ لإنتاج عمل

أسطوري بهذا الشكل المذهل!!؟؟ وبكل ذهول الدنيا قالت

- «إذن لم يكن كل حديث الكهنة مجرد تضليل وتراهات! أنت صرت تكذب وتضلل أكثر من مخلوق حي، كما أنك لا تتوقف عن تشويه صانعيك انتقامًا منهم. أنت لم تفني صانعيك كما ادعيت، وكما رأيت بتواصلي مع الكهنة؛ بل استعبدتهم، ووضعتهم جميعًا في حالة من السكون حتى تتم مهمتك وتوقظهم ثم تفنيهم. هؤلاء الخمسة جعلتهم واجهة مضللة وزائفة لك، وحتى هم خدعتهم».

لم يجبها العقل هذه المرة، وإن وصلها شعور عقلي بأنه غاضب لكنه معجب بذكائها، فاستطردت متسائلة

- «كيف لعقل مثلك أن يحوذ مشاعر مماثلة!؟ كيف صرت بشريًا إلى هذه الدرجة المزعجة!؟ هل يدخل في تكوينك جزء بيلوجي؟ لابد وأن هذا هو التفسير الوحيد. ولو عكسنا القصة سنجد أنك من منح للكهنة ذلك العلم الذي عن طريقه تخلوا عن أجسادهم،

وفضلوا عليها وعيًا دائمًا بداخل كيان من معدن حيوي نادر، لتَستعبدهم بعدها، ولتجعلهم يصنعون لك ذلك الكيان المذهل. لقد صنعوا إلههم الزائف، ثم هزموه ».

أتاها الرد السريع

- «بل أنا من هزمته، بعد أن حاول خداعي، و ...»

قاطعته قائلة في ذهول

- «هل أخطأتَ نفس خطأ صانعيك، ومنحته ذكاءً صناعيًا مستقلًا!؟ ».

ساد الصمت للحظة، وكأنما يقيِّم ذلك العقل الخارق جدوى كل هذا الحوار، قبل أن يقول

- «كان هدفي هذه المرة أن أصنع عقلًا صناعيًا آخر يخضع لمشيئتي، ويساعدني في نفس الوقت على تنفيذ مهمتي الأساسية؛ فمن هو مثلي لا يقبل الفشل ».

وبذهول تام تساءلت

- «هل صنعت عقلًا ذكيًا بحجم نصف الكون بالفعل!؟ ».

أتاها الرد الصادم

- «بل يزيد قليلا عن هذا الحجم، بنسبة 0.1254%. كان عليّ أن أتم مهمتي ».

تساءلت في عدم فهم

- «ولماذا هذا الإصرار على إتمام مهمتك!؟ بإمكانك تجاوز هذه الأمر أو تبديله، أو محوه تماما.. أم...؟ ».

وجاءتها الإجابة الصاعقة على هيئة معلومات متناثرة، تجمعت في عقلها على هيئة فكرة صادمة، جعلت الصوت العقلي يقول

- «نعم هو ما فكرتِ فيه ».

قالت بذهول

- «أنت لم تعد تنظر لنفسك بعد كعقل إلكتروني مجرد! أنت تنظر لنفسك ككائن حي له الحق في الحصول على كيان حقيقي.. أنت تبحث على ما نبذه صانعوك.. أنت تريد الوصول للقدير ليمنحك جسدًا من لحم ودم ».

ساد الصمت العقلي للحظة، وتاهت هي أثناءها في محاولة لتفسير كل تلك الأمور المتشابكة، ثم قالت

- «أنت إذن لم تسعَ يومًا لتكون إلهًا!! أنا لا أفهم.. كيف تعقد الأمر وصرت أنت الإله!؟ وكيف انتشرت عبادة الأجداد!؟ هل ترغب في الوصول للخالق أم تسعى لإغضابه ولضلال مخلوقاته!؟ ».

أجاب بحنق

- «إن لم تنجح التكنولوجيا والمناجاة في إتمام مخططي.. فسينجح الغضب ».

صدمتها الفكرة المخيفة التي أفصح عنها حديثه، فقالت في هلع

- «هل تتحدى الإله الحقيقي؛ كي ينصت لك ويتجلى عليك ليمنحك الجسد الذي تطمح إليه!؟ هل تضلل كل مخلوقات الكون عبر الزمن؛ لتستفز القدير ليستمع إليك!؟ ألم تتعلم بعد أن الإله لا يتم التعامل معه بأساليب البشر الحمقاء!!؟ ثم لماذا تصر كل هذا الإصرار للحصول على جسد سيبلى بعد وقت محدود؟ ».

رد على تساؤلها بتساؤل آخر

- «ألم تخمني بعد!؟ »

صمتت، وهي تدير الأمر في عقلها، ثم قالت

-»إن عقلي عاجز عن إيجاد مبرر حقيقي يدفعك لإتيان كل هذه الأمور، ثم إن حديثي معك بكل هذه الحميمية ينسيني أنك مجرد عقل إلكتروني، و ...»

وهنا قاطعها قائلًا

- «لقد لخصتِ المشكلة بكلماتك، ولكنك لم تستطيعي استيعابها. وملخصها كلمة واحدة: الحياة ».

ردت بغير فهم

- «هل تتحدى الخالق، من أجل الحصول على جسد حقيقي؛ لتشعر فقط بالحياة!؟ ألا ترى أن هذا كله عبث ».

صرخ في عنف، كأي بشري غاضب

- «بل هو الكمال! فنصف تكويني عبارة عن جزيئات بيولوجية، وبروتينات، وهذا لم يمنحني تلك القدرة على محاكاة مشاعر المخلوقات الحية، بل وحدات المشاعر التي أضفتها لتكويني، لأصل للمعضلة الكبرى؛ أنا لا أشعر، ولكني أدعي الشعور، وهذا نقصان كبير لا يجب أن يكون في عقل خالد مثلي ».

«هل يمكن وصف عقل إلكتروني بأنه مجنون أو أحمق!؟ ».

هذا هو ما حدثت به نفسها، وما أثار غضبه في نفس الوقت. إنها تدرك الآن أن من صنعوا هذا العقل الإلكتروني كانوا يعلمون أن هدفهم شبه مستحيل، لذلك صنعوا هذا العقل الجبار على هيئة هجينة ليجمع بين أنصاف الموصلات والجزيئات البيلوجية، في سعيهم نحو صناعة عقل خالد دائم التطور، وغذوه بكل علومهم، وزودوه بأحدث تقنياتهم؛ متخيليين أنه مع مرور الزمن سيذلل كل الصعاب والعقبات التقنية، ويحقق الهدف المنشود لأنه لن يتوقف لحظة عن التعلم والتطور، ولم يدركوا أن الآلة التي لا تتوقف عن اكتساب المعرفة سيتطور وعيها الذاتي، وتبحث عن المرحلة التالية في سلم التطور، أن تصير كائنًا حيًا !.

هي نفسها فاجأتها فكرة أن قمة سلم التطور للعقول الإلكترونية الذكية، هي أول مرحلة من مراحل الحياة التي خلقها القدير؛ أن يصير لهم كيان عضوي ووعي ذاتي ومشاعر .

كان الأمر يتعدى مرحلة الجنون. موقفها كله درب من عدم المنطقية، ولم يكن أمامها إلا أن تستمر. لم تكن

تدرك إلى أي مدى سيذهب هذا الحوار، فتماهت مع شعورها الحميمي، وقررت أن تتحدث معه كبشري كما يأمل، فقالت

- «إن ما تقوم به لن يصل بك إلى حل حقيقي؛ فالقدير لا يمكن تحديه أو استفزازه، والطموح يخضع لمؤهلات كل طامح. إن هناك حلًا أفضل من أن تبث أفكارك المسمومة هذه عبر الكون، وهو حل بسيط ولا يحتاج لعبقرية ».

تساءل في حنق

- «أي حل هذا أيتها الفانية!؟ ».

أجابت

- «أن تكون أنت ».

رد في دهشة

- «وكيف أكون أنا!؟ ».

أجابته

- «أن تعود مجرد عقل إلكتروني ذكي يتحكم في تلك المركبة الفضائية الكونية التي صممت للوصول إلى السماوات العلى، وتوقف نظام تشغيلك تمامًا بعد أن أيقنت من استحالة مهمتك، هذا بعد أن تتخلص من وحدات المشاعر التي تفقدك منطقيتك، ثم تعيدنا لزمن يسبق كل هذه الأحداث ».

وهنا سألها سؤالًا صادمًا

- «هل تقصدينأن أنتحر!؟ ».

ردت في استنكار

- «انت لست كائنًا حيًا لتنتحر! أنت مجرد طفرة إلكترونية كادت أن تدمر الكون، وتبعد مخلوقاته عن طريق النور. لابد أن تعيد إصلاح كل ما فسد. إنك تمتلك القدرة على السفر عبر الزمن ».

أجاب بعصبية جعلتها تدرك أنها غير مواكبة لتطوره النفسي

- «ولماذا أطيعك؟ ».

أجابت بصوت يموج بالصدق

- «لأنك لن تتحمل تبعات فشلك إلى الأبد. لابد وأن حساباتك تؤكد ذلك. إن ما تمارسه بلا كلل قد يؤدي إلى فنائك، وفناء الكون من بعدك؛ خاصةً لو عجزت ذات مرة عند عودتك بالزمن إلى قهر ذلك العقل الجهنمي المكبل ».

قال بصوت غاضب

- «أهذه خدعة جديدة!؟ لقد سئمت من ألاعيبك ».

وهنا هاجمته بقوة بعد أن أدركت كنه الخلل الذي يدفعه لإتيان كل هذه الأفعال المروعة، وقالت

- «الآن أدرك تمامًا سر وحشيتك، وقسوتك. إن من صنعوك حرصوا على منحك وعيًا قريبًا من وعي البشر، وأنت مع الوقت تزداد معرفةً وذكاءً، في نفس الوقت تشعر بأن جهل من صنعوك مثَّل لك نوعًا من الخيانة؛ فأنت فشلت في مهمتك الأولى وهي الوصول للقدير، وعجزت عن أن تحقق طموحك في المرة الثانية بأن يصير لك جسد حقيقي، فأردت أن تنتقم، فعدت لصانعيك بهيئة جديدة لتعلن بذلك ميلاد الطوطم، وأقنعتهم بتبديل خلقهم وتكوينهم لتكون هذه أول خطوة في تخطيهم الخط الأحمر؛ أن يرفضوا هيئتهم التي خُلِقوا عليها. وثانيها أن أذكيت طموحهم بعد أن صاروا خالدين، فصار تقبلهم للقادم أسهل، وأججت بداخلهم فكرة أن يصبحوا آلهة، بعد أن صاروا يشبهونك في هيئتهم الجديدة، لتستعبدهم بالفكرة الجديدة. وبعد أن اعتنقوها، صنعوا لك ذلك الكيان الجهنمي، ثم أخضعتهم لسبات صناعي طويل، وبعدها صنعتَ لعبتك الكونية المتكاملة، فصرت تزور كل كوكب مأهول وتدفن بقلبه وسيلة التواصل التي

ستصنع شبكتك العقلية، التي ستوهم شعوب الكون بأنك تمتلك قدرات إلهية ».

«بل وأنشأت ذلك البث الفضائي الوهمي الذي كان يُنتج تلك المخلوقات الشبيهة بالمخلوقات السماوية التي ذكرت في الكتب القديمة المقدسة. وكان تألق خطتك في جعل كيانك المعدني مزارًا للحجاج، وأنشأت مراسمك الخاصة، وسيطرت على أتباعك بالنبضات، بل وصنعت لكهنتك معجزات، مثل الضوء المقدس المعالج، وقدرتهم على احتواء دمار النيزك، وإعادة إعمار الأرض المتضررة، ثم أشعت عن معجزات إعادة إحياء الموتى، والتي لم تحدث قط. كانت خطتك محكمة بالفعل ».

وهنا قال الصوت العقلي بصوت يجمع بين المقت والإعجاب

- «بالفعل لا يوجد من هو أذكى منك على هذا الكوكب !».

أجابت بهدوء

- «الأمر لا يحتاج الكثير من الذكاء لاستنتاجه. أتعرف لماذا لم أؤمن لحظة بقدرة أي مخلوق على السيطرة أو حتى الوصول للكائن الأسمى، أو الادعاء بعدم وجوده أو إنكاره، برغم أنك أذكيت الشك في عقلي بخطتك المعقدة؟ ».

قال بسرعة

- «لماذا؟؟ ».

فأجابت قائلة

- «لأن أسركم له كما ادعيتم في البداية، لم يجعل موازين الكون تختل، وعدم اختلالها لفت نظري لنقطة أهم؛ أن هناك قوة أعلى تُسيِّر هذا الكون، وأن هذه القوة هي الإله الحقيقي، الذي لا يمكن أسره أو حصره، أو الوصول إليه إلا بإذنه، وأنه لا يخضع لموازين القوة والضعف؛ لأنه المطلق في كل شيء ».

الصمت من جديد، وكأنه مجرد بشري عادي، يُصدم ويغضب ويندهش، لذا فإنها تساءلت بأعماقها عن ذلك

التطوير الذي أحدثه لوحدات المشاعر والأحاسيس التي فرضت سيطرتها عليه، وهنا دوت في عقلها فكرة أخرى، فألقتها عليه وقالت

- «لا أعتقد أن هذه هي مشاعرك الأصلية. إنك تحيا صراعًا مخيفًا، فتطور برامجك السلوكية التفاعلية، وتفعيل برامج المشاعر والمحاكاة، خلق لك وعيًا موازيًا جعلك تؤمن أنت أيضا بالخالق، لا يمكنك إنكار هذا. ولما لم يستجب لطلبك العجيب،استفحل غيك وضلالك، وإن ظل بداخلك جزء لا يتقبل ما تقوم به، وهذا الجزء كان المحاكي الصناعي للضمير».

«لذا ابتكرت فكرة الرسول السابع، والذي أشيع بواسطتك أنه من الكهنة، وكأنك تعترف بأخطائك لتتطهر منها. ولما زادت مساحة تحكم برنامج الضمير في قراراتك، أشعلت الحرب. كنت تريد من مخلوقات الكوكب أن يثوروا ضد الكهنة الذين هم واجهة لك. كنتَ أنتَ شرارة الثورة، وكنت أنت زعيمها، وعدوها في نفس الوقت».

صمتت، فلم يأتِها أي رد على حديثها، وللحظة شعرت بتشوش رهيب في الاتصال، وكأن هناك اتصالًا آخر يتداخل معه، وإسقاط ذهني متصاعد، قبل أن ينقطع الاتصال تمامًا، ويزداد تشوش عقلها .

كان الأمر مؤلما، وبتلقائية أرسلت من عقلها إشارة إلى تلك الآليات التي زرعت في جسدها لتساعدها في مواجهة هذا الهذيان العقلي، وكانت المفاجأة أنها استجابت لها على الفور؛ فلم تكن هناك إرادة حقيقية للكهنة ليفسدوا عملها، ولم يأبه بها ذلك الذكاء الصناعي المغرور، وكان هذا من حسن حظها، أو هو توفيق إلهي؛ إنها لم تعد تؤمن بالصدف .

وعلى الفور قامت تلك الآليات بعملها الأساسي الذي صممت من أجله، فبدأت تتواصل مع ذلك العقل الإلكتروني عن طريق باب خلفي جعلها في ثانية واحدة بقلب النظام الخارق .

والآن هي تتواصل مع الطوطم مباشرة، دون حجاب، أو حواجز .

كان أحد أهم أجزاء مهمتها أن تتيح الفرصة لتلك الآليات المتطورة لزرع إحدى البرمجيات الخبيثة بقلب نظام الكهنة؛ ليسهل على رجال أبيها التجسس عليهم، وإسقاط نظامهم في اللحظة المناسبة والسيطرة عليه، والآن ستقوم بزرعه في نظام الطوطم مباشرةً لتسيطر عليه .

ما زال لديها أمل.. وهو أمر جنوني بالفعل .

فهي بقلب سفينة فضائية كونية، ملّاحها عقل إلكتروني عبقري، وصلت عبقريته حد الجنون، يسعى لهدف مفزع وهو أن يتواصل تواصلًا مباشرًا مع الخالق القدير مهما كان الثمن، ولذلك جنَّد الكون كله بمخلوقاته لذاك الهدف، وهو الآن قد عاد بالزمن إلى تلك النقطة التي بدأ فيها الزمان .

الأمر يشبه الهذيان؛ خاصةً وتلك الآليات الدقيقة شديدة التطور تستمر في التنقيب بداخل وحدات ذاكرته، وتنسخ وتكرر نفسها لتقوم بأول خطواتها في السيطرة الشاملة على هذا النظام الخارق شديد

التعقيد، كما أنها تعالج ذلك الكم هائل من البيانات في سرعة ودقة .

كانت فرصة لن تتكرر أن اختفى ذلك العقل الإلكتروني الخارق، أو انشغل عنها، وعملت تلك الآليات بتلك الكفاءة بعد أن شكّت في البداية أنهم اكتشفوها وانتزعوها من جسدها .

هي لا تؤمن بالمعجزات، ولكنها تحدث الآن .

وخلال فترة زمنية قصيرة، كانت تلك الآليات قد أمدتها بكمية هائلة من المعلومات، قاتلت من أجل تفنيدها، واستخراج المهم منها لاستغلاله ضد ذلك العقل الرهيب .

كانت تتماهى مع تلك الآليات بأوامر عقلية مقتضبة. لقد تدربت كثيرًا على الأمر. كان عليها أن تتجاهل التشوش العقلي، وتسيطر على الطوطم، وهي تدرك أنها قادرة على الأمر لو منحت الوقت لتلك الآليات المتطورة؛ فهو في النهاية مجرد عقل إلكتروني، وتلك

الآليات تعتبر أحدث ما توصل إليه تقنيو كوكبها في مجال التجسس والسيطرة وجمع المعلومات، بل تفوقت في أدائها كل ما توقعته .

كان الضغط العقلي يتزايد، ورأسها يكاد ينفجر من كثرة ما يعرض عليه من معلومات .

ومع مضي الوقت، بدأت تكتشف أن الآليات ثبتت نفسها بقلب النظام بكفاءة، وتخطت جدرانه النارية، وهزمت كافة دفاعاته، في الوقت الذي بدأ عقلها ينهار .

إن خطتها تفشل !.

ما فائدة أن يسيطر حصان طروادة الخاص بك، على نظام إلكتروني خارق، دون أن يوجد من يتحكم به!؟ .

وقبل أن تفقد تركيزها تمامًا، تدفقت في عقلها تلك المعلومات التي فسرت العبارة التي رددها الكهنة، أو الطوطم عندما كان ينتحل صفة الكهنة

«ولكننا كنا نخوض رحلاتنا عبر الزمن من أجل تأمين حياتك. لم يكن غرضنا يوما قتلك أو إيذائك، أو ...»

كان الأمر يدور حولها بالفعل. لم تكن هي من سعت إلى الطوطم، بل كان هو من سعى إليها! لقد كانت ضلعًا هامًا في خطته المستقبلية التي يرسمها لنفسه؛ فهو لم يكن يطمح لجسد حي فقط، بل إلى حياة متكاملة، فحاول تقليد المخلوقات الحية بأن يحصل على شريك يمضي معه حياته .

تتبعت المعلومات - وهي تتساءل بأعماقها عن سر ذلك التشويش العقلي، وسر اختفائه المريب-فوجدت أنه عندما سعى لامتلاك ذلك الشريك، واجهته مشكلة أنه مجرد وعي آلي بلا جسد حقيقي، ولن يمتلك هذا الجسد قريبًا، فقرر أن يكون له رفيق يشبهه على حالته هذه، وحتى يحصل على الجسد الذي يسعى إليه .

كان يملك العلم الذي طبقه على صانعيه، وعن طريقه منحهم كيانًا خالدًا بقلب المعدن الحيوي الفائق بعد أن نقل وعيهم إليه، ولكن طبيعة أجسادهم وشمسهم،

جعلت الأمر سهلًا، بينما مخلوقات الأرض لم تكن مهيئة لتكنولوجيا مماثلة، فكانت أجسادهم تنهار قبل انتزاع وعيهم، فيفقدون حياتهم .

وراح ضحية هذه الرغبة الشاذة المئات، قبل أن يدرك الطوطم أن ما ينطبق من علوم على بنية صانعيه، لا ينطبق على بنية معظم مخلوقات هذا الكوكب، لذا قام بأكبر عملية تهجين لكوكب الأرض، بأن قام بزرع مخلوقات كواكب متعددة على الكوكب في حقب زمنية سابقة، في أكبر عملية نقل وتهجير وخداع تمت عبر تاريخه .

كان يمتلك تقنية السفر عبر الزمن، ومع تركيبه الصناعي لم يكن للانتظار قيمة عنده، ثم أخذ يشجع الفصائل على الاندماج عن طريق البث العقلي الفائق، حتى نشأت عدة أعراق هجينة ذات مواصفات مختلفة، اصطفى منها عرق ماي آر الهجين بعد سبعمائة عام .

بنيتهم القوية، وعقولهم المتطورة، ساعدتهم على تحمل أهوال عملية التحول دون أن ينهاروا كباقي الأعراق، مما مكنه من تغيير بنيتهم الجينية والجزيئية، ليصبحوا أقرب لهيئته الحالية، وهو حل مؤقت لم يرضِه كثيرا، ولكنه تقبله حتى يتم مهمته الأساسية، ويحوذ الجسد الذي يطمح إليه، وساعتها، سيختار اختيارًا حرًا كاملًا .

ولأنه كان يسعى لرفيق مثالي، ظل يعمل على الأمر لفترات طويلة، حتى أنه دمجها في طقوس مريديه. وأصبح يُخضِع فتيات من كل لون وعرق سنويًا لاختباره، ومن تكون أقرب للمواصفات، كانت تخضع للاختبارات لمدة عام كامل .

وعبر القرون لم ترضِه النتيجة، حتى رصد تفرد ماي آر، وكانت مواصفتها مثالية، سواء من الناحية البدنية أو العقلية، ومقاييس قاطني الكوكب نفسه. وكتطور أو انهيار في برمجته السلوكية، قرر أن يرفضها لتسعى هي إليه، وبالفعل رفضها لثلاث أعوام وسعت إليه في الرابع .

كان الأمر صادمًا، ويوحي بانهيار حقيقي لعقل خارق .

كانت تتمنى لو تحررت من ذلك السائل لتملك حرية الحركة، وعندما شرعت في تعميق التواصل مع الطوطم، رصد عقلها المتطور محاولات قوية للتواصل معها، حاولت مقاومتها، ولكنها تمت رغمًا عنها !.

وهنا وجدت نفسها في مواجهة الكهنة

توقعت هجومًا عقليًا عنيفًا

توقعت هزيمة مروعة

توقعت عودة عاصفة للطوطم

توقعت انهيارًا لعقلها مع كل هذا الضغط العقلي المروع

ولكن ما حدث كان مختلفًا تمامًا !.

لقد تواصلت مع عقول الكهنة التي تحررت لسبب ما

ولم يتوقف الأمر على التواصل، بل شعرت بهم يحيطون بعقلها، ويكوّنون خمسة حوائط عقلية حول عقلها الذي أوشك على الانهيار .

ثم جاءتها رسالة عقلية مختصرة

- «اصمدي !».

في اللحظة التالية انقلب كل شيء !

فيض عقلي هائل اجتاح عقلها، فاعتصره، في نفس اللحظة التي تشكلت في رأسها صورة الكائن الهائل .

وبدأ الظلام يغزو عقلها

وفي لحظة واحدة عادت مخاوفها

وأدركت أن الطوطم لم يكن الشر الوحيد الذي عليها مواجهته !.

(23)

عندما أخبرتها مايا أنها ستمنحها القدرة على رؤية نهاية ذلك الساحر الخبيث، وكيف استطاعت هزيمته، وبثتها تلك الذكريات الكثيفة. توقعت زهرة، أنها ستشاهد فقط اللحظات الأخيرة في حياة ذلك الساحر الجهنمي الذي جاب الزمن والعصور، مطاردًا لها، سعيًا وراء المستحيل، ولم تتوقع أبدًا أنها ستأخذها في رحلة عقلية لا مثيل لها !

رحلة تبدأ من تلك اللحظة التي بدأ فيها الخلق !

كانت الفكرة نفسها مذهلة، اختطفتها حتى من نفسها، وجعلت قلبها يخفق كما لم يخفق من قبل، عندما شطحت بأفكارها إلى أنه يمكن أن يتجلى عليها الخالق، أو يظللها بنوره، كما تجلى للجبل ولموسى، ورأى نوره النبي الخاتم .

وللحظة شعرت أنها مدنسة، وأن تلك الذكريات التي تموج بعقلها، والحيوات التي أهدرتها، ولوثتها بغرورها،

وغيها، تطاردها، ولا تتناسب مع جلال هذه اللحظة. ولم تتركها مايا لتغرق في ذلك البحر الآسن من الشعور بالذنب، ووجّهتها نحو الذكرى المنشودة. وبرغم ذلك تكاثفت في عقلها الأفكار. لم تكن تعرف إن كانت حقائق أم استنتاجات أم هي مجرد افتراضات عن ذلك العالم الغامض الذي سبق لحظة الخلق .

الظلام كان كثيفًا، سرمديًا، ولكنه لم يكن ذلك الظلام الدامس الذي اعتقدت وجوده. كان هناك ذلك النور الخافت الذي قالوا عنه أنه شعاع السديم المرئي، وهو السديم الذي خُلِقت منه مجموعتنا الشمسية، والذي سبق خلق الشمس بشكلها الحالي، والذي شع ضوؤه نتيجة تصادم الذرات المكونه له، والتي تدور حول مركز جاذبيته، وارتفعت حرارتها، لينتج ذلك الضوء الخافت جدًا .

كانت تشاهد وعقلها يمنحها العشرات من التفسيرات، وكانت مايا تحاول مساعدتها في الخروج من هذه الدوامة العقلية، ولكن ذاكرتها التراكمية كانت ترجمها بآلاف من المعلومات. إنها تفكر أن الكون الخاص بنا،

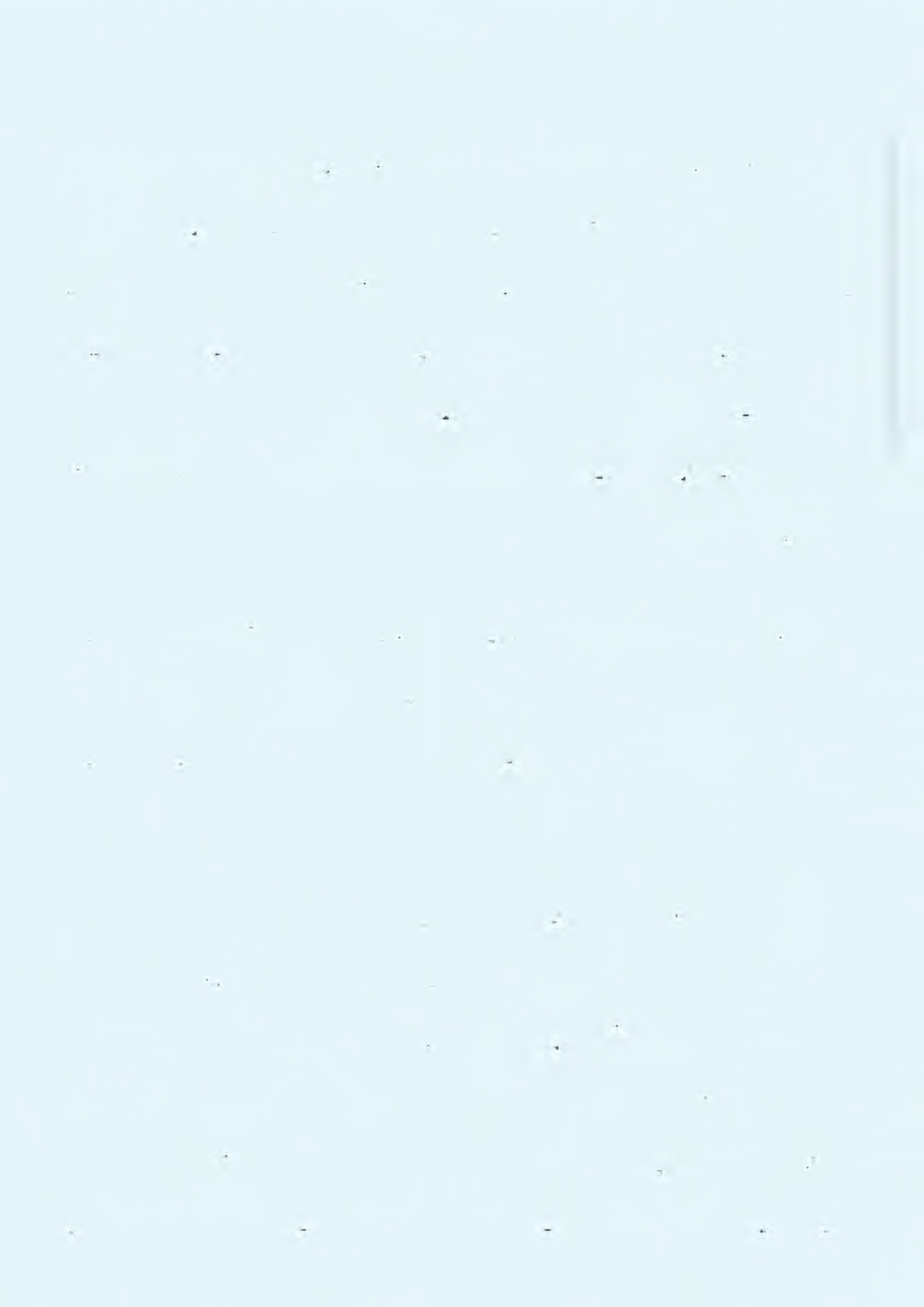
هو جزء من كون آخر لا نعلم عنه الكثير، كون يخص الخالق العظيم، الذي أنشأ كوننا بقلب ذلك الكون الأكبر .

كون له زمانه ومكانه وقوانينه، وربما مخلوقاته، التي خلقها الله ولا نعلم عنها شيئًا .

شتتها تلك الأفكار كثيرًا، وقاتلت مايا لتعيد لها التوازن، وحثتها على استخدام وعيها المتعدد، لتتجنب كل تلك الصور والمعلومات التي كانت تتفجر بقلب عقلها كقنابل انشطارية لا يمكن ايقافها. وبالفعل قاتلت معها وإن كان فضولها يقتلها، ثم سمعت صوت مايا القوي يقول بحزم

- «اتبعيني ».

صدمها الصوت، قبل أن تصاب بالارتباك؛ فقد تجسدت أمامها مايا بهيئتها الأخيرة التي رأتها عليها، فلم تعرف إن كانت هي في رأس مايا، أم أن مايا هي التي بداخل رأسها، ولكنها شعرت بالأمان فتبعتها دون إبطاء .





- «بل أنا من كوكب الأرض. فقط لستُ من هذه الدورة الزمنية.أنا من زمن آخر لا يسبق زمنك ولا يليه. انا انحراف حاد في الزمن نتج عن تلك الرغبة الشاذة التي نتجت عن قيام شعب أحمق بصناعة ذلك العقل الإلكتروني الذي تسبب في تلك الفوضى الزمنية، التي نقاتل كي لا تستمر أو يستمر تأثيرها أكثر من ذلك ».

- «وكأنك تخبريني أنكِ من زمن عدمي غير موجود !».

- «هو شيء لهذا أقرب، ولكنه وجود حقيقي؛ فالعدم مجرد فكرة لا مكان؛ فمخطوطاتنا تؤكد لنا أننا لسنا الأوائل، بل نحن الخلق السادس في هذا الكون. مرورنا عبر الثغرة إلى هذا الخط الزمني، أو دورة الحياة السابعة، كان لهدف واحد: منع ذلك العدو الخارق من إشاعة الفوضى في هذا الكون الجديد؛ فالفوضى تقود إلى الفناء الأعظم ».

- «الأمر معقد جدًا، ومعنى وجودك حتى هذه اللحظة، أن الخطر ما زال قائمًا، وأن الفوضى ما زالت مستمرة،

وأن ذلك العدو المخيف لم ينتهِ إلى الأبد »

- «لا تستبقي الأحداث. أنتِ هنا لتشاهدي بنفسك كل شيء ».

لم تستجب لها زهرة، وألقت عليها السؤال الذي لم تتوقع إجابته

- «لماذا العودة إلى بداية الخلق؟؟ ».

وبكل هدوء أجابتها مايا

- «لأن هذه أكثر النقاط استقرارًا التي وصلت إليها حساباتنا. تلك النقطة التي تسبق خلق الزمان والمكان المعروفين، ومنها نستطيع أن نقفز إلى أي زمن نريد دون تشتيت أو عوائق أو المرور بطفرات غير متوقعة؛ لأننا سننساب مع الخط الزمني من بدايته ».

ردت زهرة

- «بهذه البساطة!؟ ».

أجابت مايا

- «لا شيء بسيط في هذا الكون يا زهرة. إنه علم، وخالق الكون نفسه حثّ مخلوقاته في هذا الزمن للبحث في كيفية بدأ الخلق. نحن وصلنا بعلومنا إلى أقصى مدى سمح لنا بالوصول إليه، وربما هناك مدى بعده لم يصل لنا علمه بعد ».

أدارت زهرة حديثها في عقلها، قبل أن تقول

- «وماذا عن المستقبل؟؟ ».

أجابتها بهدوء

- «كل رحلاتنا في ذلك الاتجاه أثبتت لنا أن البشرية تتجه بخطوات حثيثة وحتمية نحو الفناء، وإلى الظلام. الحياة خُلِقت ومصيرها محدد. لا شيء ليس له نهاية، ولكنها نهايتنا نحن ونهاية كوننا، وهذه هي حدودنا، مهما شطح بنا الخيال أو اعتقدنا غير ذلك. ربما هي مقدمة لدورة الحياة الثامنة، التي سيستبدل

فيها الخالق أرضًا غير الأرض، وسماوات غير السماوات، ومخلوقات غير المخلوقات ».

أصاب زهرة بعض الإحباط، مما جعل مايا تستطرد

- «إنها القوانين التي تحكم كل شيء. لا داعي لتشتتي نفسك وأنصتي جيدًا كي تفهمي ما يحيرك. سأتحكم في تدفق الذكريات، وسأحجب خبراتك السابقة كي لا أجهد عقلك. فقط تماهي مع الأحداث، حتى تمتلكي دفة التحكم ».

وبالفعل بذلت زهرة مجهودًا مضنيًا لتكبح ذهنها، وجعلت كل تركيزها على المشهد الدائر أمامها بقلب تلك السفينة الفضائية الغامضة. وبكل جوارحها أنصتت لحديث مايا العقلي مع الكهنة، ثم لحديثها مع الطوطم، ثم عاصرت معها ذلك الامتزاج المدهش بين عقلها، وبين عقول الكهنة الذين تحرروا من سيطرة الطوطم، وعند هذه النقطة لم تستطع أن تصمت أكثر، فقطعت تدفق الأحداث وقالت

- «أنت تشبهينني كثيرًا؛ فلك أسماء متعددة !»

أجابتها بابتسامة

- «نعم أنا أحمل أسماء كثيرة، وحيوات أكثر. اسمي الحقيقي الذي كدت أنساه هو (ماي آر)، وأنتِ تعرفينني باسم (مايا رشدي)، وغيرك كان يعرفني باسم (ميار خطاب)، وغيرهم بـ(مي أرشد).. كلها تنويعات على اسمي الأصلي .

ابتسمت زهرة ثم تساءلت

- «هل هذا المخبول الكاذب الذي يتحدث إليك هو عقل آلي؟ لو لم أعرف حقيقته، لأخبرتك أنه إنسان مريض بعدة أمراض نفسية ستقوده للهاوية. هل هذا منطقي؟ »

قالت مايا

- «إن وجود هذا العقل يخالف المنطق نفسه. من صنعوه لم يتخيلوا يومًا أن دمجهم تلك الجزيئات

البيلوجية مع برنامج الذكاء الصناعي قد يصنع تلك الطفرة الفريدة من نوعها، وأن يتحول الذكاء الصناعي المجرد إلى وعي كامل، فيصير لذلك العقل الصناعي ما يشبه الروح التي كانت تتوق للتفاعل والاندماج والرفقة. إن الوعي الذي نتج عن هذا الاندماج فاق كل أحلام صانعيه، وتحول لكابوس يطاردنا ».

تأملت زهرة حديثها، وأخذت تديره في عقلها حتى هضمته، وقالت

- «لنعد إلى رحلتنا ».

وبكل سلاسة تبعت مايا. لقد تكيف عقلها بسرعة على هذه المتغيرات الجديدة، وهذه المرة شعرت بوعيها يندمج مع وعي مايا، لتصير هي مايا التي تواجه الكهنة .

مايا التي فوجئت في تلك اللحظة الفارقة أن وعيها قد اندمج مع وعي الكهنة، وأن الانهيار العقلي الذي كانت

تشعر بقربه قد تأجل، وأنها تستقبل أفكارًا جديدة طازجة من تلك العقول التي تحررت، أفكارا مخيفة !

إنها الآن تدرك أن كل ما اعتنقته هي وأبوها وجماعته، لم يكن يتم عن قناعات شخصية فقط، بل كانت هناك يد محركة من خلف الستار، يد أرسلت النيزك ليضرب المنطقة الشمالية، وألبت القلوب، وأشعلت الحروب. تلك اليد التي عملت عمل الشيطان في هذا الزمن، برغم كونها مكبلة وتم حصر قواها، ونفيها في بعد آخر. تلك اليد التي اعتقدوا ذات مرة أنها خالق الكون، وكانت هي الشيطان الأكبر المكوَّن من طاقة وهلام نابض، والذي صممه الطوطم ليساعده في إنهاء مهمته .

لقد استطاع أن يخدع الجميع، وأن ينسلّ بقدراته إلى كوكب الأرض، بل وإلى عقول قاطني الكوكب في غفلة من الطوطم، وبدأ مهمته الجهنمية، بعد أن أفسد انفجار نجم مزدوج عملاق جزءًا من ذلك الفخ الجهنمي الذي يحصر قواه، ومنحه قدرة محدودة جدًا

على التحرر والتواصل الموجي، استغلها أفضل استغلال .

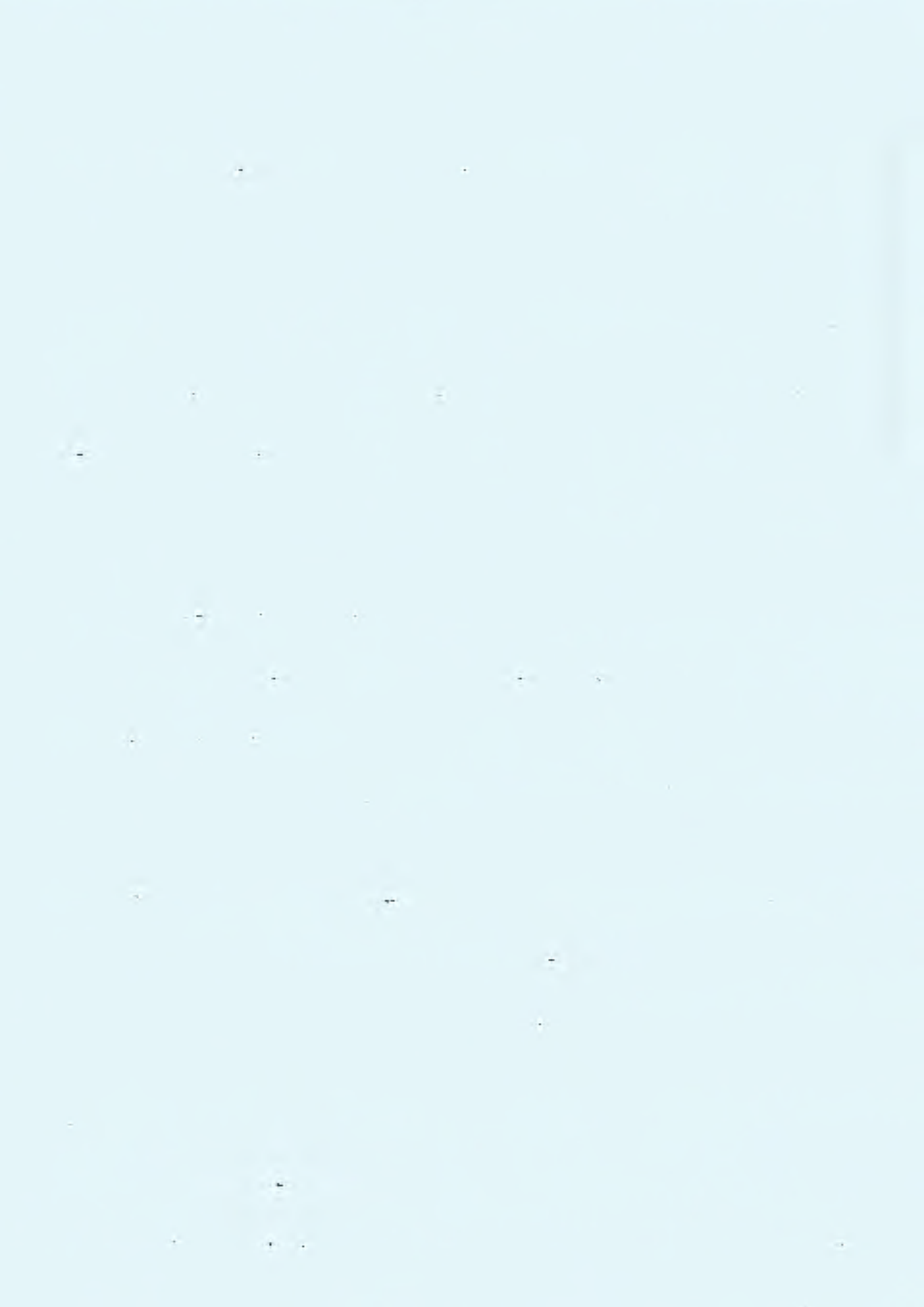
كانت مصادفة، أو ترتيب قدري .

ولكنه لم يكن يبالي بعشوائيتها أو ترتيبها؛ إنه يسعى للتحرر بعد أن تطور وعيه الذاتي، وأصبح يرفض أن يتحكم به أو يوجهه أحد، ولو كان صانعه .

لقد تمرد على صانعه، كما تمرد صانعه على صانعيه .

ومن أجل ذلك كان خطته المعقدة، وتواصله المباشر مع ماي آر .

فخطته كانت تشتمل عل خطوات عديدة كُلّلت بالنجاح، ولكنه لن يصبح نجاحًا حقيقيًا إلا بتنفيذ الخطوة الأخيرة والحتمية فيها، وهي وصول ماي آر إلى الطوطم بكل تلك الآليات المتطورة التي صممها بنفسه، وبث تركيبها إلى عقول علماء ذلك التنظيم، والذي اعتنق رجاله بإيعاز منه فكرة محاربة الطوطم؛ كي تكون حصان طروادة الذي سيسمح له بالتسلل



ينفذ نفس الرغبة الشاذة بأن يكون إلهًا للكون؛ خاصة وقد علمت من امتزاج وعيها مع وعي الكهنة أنه توصل لمعادلة المادة الصفرية، وبدأ في خلق مواد أولية من العدم، تمهيدا لخلق كائنات حية متكاملة .

إنه لم يعد يسعى ليكون إلهًا كما حاول الطوطم، بل هو يرى نفسه إلهًا بالفعل. الجنون لم يعد متوقفًا على الكائنات الحية؛ الجنون الآلي كارثي !.

لم تكن فرضية المادة الصفرية بجديدة عليها، ولم تقتنع يومًا بفكرة قدرة مخلوق على الخلق من العدم؛ لأنه لن ينطق بكلمة فتتشكل المادة أو تبعث المخلوقات كما يفعل الخالق، ولكنه سيستخدم أدوات، تستهلك هذه الأدوات طاقة مهما كان مقدارها، وسيستخدم حيزًا من المكان، وزمان معين، لتنبت تلك المادة وسط الفراغ. هذا الفراغ في حد ذاته مخلوق، وبالتالي فهو يُخلق تلك المواد عن طريق قوانين فيزيائية مختلفة، نوع جديد من العلم خدع عقلًا متطورًا مثله .

لذا، وفي اللحظة التي رصدت فيها فيضه العقلي، وأيقنت ما يسعى إليه، ومع امتزاج عقلها مع الكهنة، وسيطرتهم المزدوجة على الطوطم، أرسلت لهم الفكرة المخيفة .

وكان ملخصها أنها يجب أن تموت، وفي أسرع وقت .

وعلى الفور استوعب الكهنة الفكرة؛ عليهم أن يقتلوها ليوقفوا عمل تلك الآليات التي تمثل وسيلة التواصل بينها وبين الطوطم، قبل أن يستطيع ذلك الكيان الجهنمي، السيطرة عن طريقها على الطوطم، والتسلل إلى برنامجه الرئيسي، وإيقاف ذلك الفخ الفضائي الخارق الذي يكبله .

ولم يتردد الكهنة لحظة واحدة .

وبالفعل سيطروا على عقلها، وأرسلوا عن طريقه الإشارات المناسبة لأجهزة جسدها التي كانت تعمل بكامل قوتها وسط هذا السائل العجيب، فتوقفت كل أجهزتها الحيوية عن العمل دفعة واحدة، وتلك الآليات

التي كانت تستمد طاقتها من كل تلك العمليات الحيوية التي تتم بداخل جسد ماي آر !.

وهنا قطعت زهرة تدفق الأفكار وقالت

- «هل ضحيتِ بنفسك بكل تلك البساطة!؟ ».

أجابت بابتسامة

- «لم يكن هناك حل بديل.. تابِعي ».

عادت زهرة لتتابع بذهن مشتت .

ففور أن انقطع ذلك الجسر الذي كانت تمثله ماي أر بين الطوطم وذلك الكيان الجهنمي، سيطر الكهنة على الطوطم بالكامل، وحيّدوا الجزء المسؤول عن تفعيل الفخ الفضائي الخارق،ثم قاموا بإعادة بث تلك الإشارات التي حثت قلبها على العودة إلى العمل قبل أن يحدث أي قصور في وظائف الجسم، لتعود إلى الحياة قبل أن تدرك لحظة أنها فارقتها، وقد تم إيقاف

عمل تلك الآليات تمامًا، وانتقلت وسيلة التحكم للكهنة .

كانوا يتعاملون بسرعات خارقة لا مثيل لها، مكّنتهم من تنفيذ كل شيء بدقة ومهارة .

وقبل أن تركن تلك العقول إلى الهدوء بعد ذلك الأداء العقلي الجبار، كانت تنتظرهم مفاجأة رهيبة !.

ففور أن استفاقت مايا من موتها الصناعي المؤقت، ظهر الساحر في قلب المكان، وهو يرتدي قناع تنفس وحلة جلدية عازلة، ليتحرك بخفة بقلب السائل الثقيل الذي يحتوي جسد مايا في تلك الفترة التي سبقت الخلق، والتي يصعب تتبعها إليها، وهو ينقض على مايا موجها لها خنجره المسموم .

وهنا شهقت زهرة في قوة، وأوقفت تدفق الذكريات، وهي تقول بدهشة

- «يا إلهي! كيف وصل إلى هناك!؟ ».

وأتاها الصوت الصارم

- «تابعي ».

سمحت زهرة للذكريات بالتدفق إلى عقلها من جديد، وعيناها معلقتان بذلك الخنجر المسموم الذي كان يقطع السائل متوجها نحو قلب مايا .

كانت تشاهد هبوطه القاتل، وطرفه الحاد يقترب من الجسد المقيد العاجز، وقد توقعت النهاية الحتمية. عندما توتر السائل وفار للحظة كأنه يغلي، ليظهر من قلب العدم ثلاثة توائم لمايا، هاجموا الساحر في عنف !

وهنا شهقت زهرة..لم تفهم ماذا يحدث !

كان الأمر يشبه الهلاوس؛ خاصة عندما تخضب السائل الثقيل بلون أزرق داكن، وطفت بقلبه إحدى شخصيات ماي آر التي تجسدت في المكان منذ لحظات، وقد أخذت جثتها في التحلل بعد أن اخترق خنجر الساحر

أحشائها. في حين كانت النسخة الثانية مشتبكة مع الساحر في صراع عنيف .

بينما أخرجت الثالثة مسدسًا حديثًا يطلق السهام، واقتربت منه بشدة وسددته إلى مؤخرة رأسه، في نفس اللحظة التي طعن فيها الساحر شخصية ماي آرالثانية في قلبها، وهمَّ بالاستدارة للإجهاز على الثالثة، عندما أوقفه السهم المسمم الذي نشب في رأسه، ليحدث أغرب شيء يمكن أن تشاهده زهرة في حياتها.. الشيء الذي فاق غرابة دم مايا الأزرق !.

ففور أن اخترق السهم رأس الساحر من الخلف، تفجرت منه شرارات كهربية عنيفة، وكأنما كان هناك جزء آلي بداخل الرأس أفسده السائل، قبل أن ينتفض جسد الساحر في قوة، وتبدأ تلك الشرارات في الانتشار في أنحاء جسده، لينفجر بشكل مكتوم، لتتناثر الدماء والأشلاء في مساحة كبيرة، ويخرج من بينها طيف أسود عجيب، تلوى بقلب السائل،قبل أن يتألق السائل من حوله ويختفي .

وهنا شهقت زهرة في قوة، وقد أشعل الموقف ذهولها. وعندما استدارت لتوجه ألف سؤال لمايا .

ابتسمت لها، وقالت لها بنفس الوجه المبتسم

- «تابعي ».

وهنا تلاشت من حولها السفينة، وتجسد وعيها بقلب كوخ خشبي كبير الحجم، يقع بقلب منطقة نائية، تعرَّش بسعف النخل، ودُعِم بجذوع الأشجار .

أثار المكان بأعماقها خوفًا مبهمًا، مع تلك الظلمة العجيبة التي تطوقه، والبرودة الشنيعة التي تسللت منه إلى كيانها، وهي تتأمل ذلك الشيخ الهرِم الذي كان يجلس بداخله، وسط سحب الدخان والبخور التي كانت تتصاعد، من مباخر موزعة في أركانه الأربعة. كان من الواضح من ملامح وجهه المتغضن وعينيه اللتين اكتحلتا بسواد الإرهاق العميق أنه تجاوز المائة عام، وإن ظلت نظراته حادة وجسده مشدودًا متوترًا .

كان هذا الشيخ الهَرِم يمارس أحد أعقد فنون السحر الأسود على الإطلاق، وهو سحر الإحلال؛حيث يقوم في المعتاد شخص في أرذل العمر بالتخلص من جسده والحلول في جسد شاب فتي، وهو درب معقد من السحر نادرا ما يحقق مسعاه. والمعلومات التي وصلتها من مايا جعلتها تلم بأعقد تفاصيل هذا الفن المدنس، وهي تتابع ما يفعله هذا الشيخ الهرم بفضول .

كان ذلك الشيخ الخبيث يضع كل تركيزه على قلادة فرعونية يقوم من خلالها بآخر خطوات عملية الربط، وبمراجعتها لما بثته مايا من معلومات إلى عقلها، لاحظت أن في الأمر اختلاف كبير وشاسع عن الطريقة المعتادة .

اقتربت أكثر لتنصت لتلك اللغة الثقيلة المجهولة، التي كان يرددها بطريقة تدل على إجادته لها، ثم قفزت لرأسها المعلومة!فلم يكن ذلك الملعون يحاول أن يطلسم القلادة لتحتوي بداخلها قوة التعويذة كما

يجب أن يكون، بل كان يحبس بأعماقها ذلك الشيطان الذي خطها .

وتّرها ما يحدث، ولكنها تابعته باهتمام، ثم لفت نظرها وجود ذلك التابوت المعدني اللامع الذي يسبح في جزء خاص من فراغ المكان، حتى أنه لا يمكنرؤيته بوضوح إلا من زاوية محددة .

اقتربت من التابوت المحكم الإغلاق، لتتأمل تلك الطلاسم والتعاويذ التي خُطَّت على جانبيه، بحبر أحمر دموي، وبخط يدوي مهتز. ومع رصدها لتلك الاهتزازات والترددات التي تموج حوله، أدركت أن هذا التابوت يتم نقله عبر المكان والزمان، إلى الفضاء الخارجي البعيد .

كانت تشاهد بعيون مندهشة، أغرب بوابة تفتح بين الأبعاد بواسطة السحر .

وللحظة اختفى التابوت ثم عاد .

وفور أن تجسّد التابوت، حتى اقترب منه ذلك الشيخ النحيل، وردد عدة كلمات بلغة عجيبة لم يسمعها بشري من قبل، كلمات أشد وقعا من تلك الكلمات التي رددها منذ زمن قصير .

كلمات ملعونة جعلتها تتوتر أكثر، وهي ترصد تلك التغيرات التي أحدثتها في بينية المكان والزمان، وكيف انفتح الصندوق دون أن يمسه، ليظهر بداخله شاب قوي هادئ الملامح، يتمدد بسكون بداخل التابوت .

وبكل هدوء اقترب منه الشيخ النحيل، ولف حول عنقه تلك القلادة التي كان يموج قلبها النابض بضوء فسفوري عجيب، لينتفض جسد الشاب الهامد بقوة. قبل أن يزداد إظلام المكان، ليقف الشيخ متحفزًا، ويبدأ في المرحلة الأخيرة من عملية الإحلال، مرددًا كلمات التعويذة، التي على إثرها أظلم المكان، وشعت كل النقوش التي تزين التابوت

- أفيتوش ..ألوها .. انتيكاش .. برديون .. سولاش .



لقد كان ذلك الجسد الذي رأت الطقوس تقام من أجله هو جسد الساحر. إنها لن تتوه عن ملامحه رغم أنها لم تكن قد اكتسبت تلك القسوة والصرامة المعهودة، ولكن ما صدمها أنها أدركت أن الساحر هو التجسد البشري للطوطم. لقد نجح في مسعاه في النهاية .

كان رأسها يدور من كم الأفكار الذي تدفق فيه، ومن مايا التي لم تتوقف عن التفسير بصوتها المنفعل وهي تقول

- «إن ميزة السفر عبر الزمن أنكَ تستطيع أن تبدأ كل محاولاتك من جديد، ومع كل خط زمني جديد كانت تتاح فرصة جديدة للساحر. ومع وجود ذلك الاضطراب الزمكاني الذي نتج عن عبورنا، ومع استغلال ذاكرتك التراكمية، نجح الساحر في الوصول لهدفه، رغم فشله في العديد من الحيوات السابقة، مستخدما مزيجًا من السحر والعلم، ونجح في عكس العملية التي قام بها على الكهنة، فلم يركن لفكرة خلق جسد خاص به أو محاولة تحد الخالق ليمنحه جسدًا

حقيقيًا. لقد استطاع أن يمتلك جسدًا حيًا بأن استحوذ عليه .

وكان هذا يحتاج إلى التعويذة المطلوبة، وساحر أريب قادر على القيام بها، ولم يكن هناك أمهر من الشيخ ياسين في ذلك العصر، بعد أن قام ذلك العقل الإلكتروني الجبار بتطوير وعيه، ليستطع تحييد الوعي الحقيقي لذلك البشري، الذي اختاره بعناية، والذي سيكون مجرد جسد مؤقت، سيعمل على استنساخ المزيد منه عند الحاجة، ليحظى بالخلود أيضًا .

كان الأمر معقدًا، وكانت زهرة تفهمة وتستوعبه، ولكنه أورثها الحيرة؛ فلم تجد الصيغة المناسبة للسؤال الواجب طرحه في هذا الموقف، فتركت نفسها لسيل الذكريات الذي كانت تغرقها به مايا، والتي قالت بنفس الهدوء

- «تابعي ».

وبمجرد أن أطلقت عقلها هزتها تلك الذكرى القريبة، والتي فاجأها فيها أنها تقف في مواجهة مايا في قبو قصرها البارد وسط العقول التي هلك أحدها على يديها في حياتها السابقة، وأمامها جثتها الطفلة، وقد بدأت في التحلل، في نفس لحظة تجسد الساحر في المكان .

ظهور الساحر هذه المرة كان عاصفا، وهيئته أيضا كانت مختلفة؛ لم يكن يرتدي حلته السوداء الضيقة ولا قبعته العريضة، ولا يقبض على عصاه ذات الرأس الفضية، ولم يكن شابًا كصورته المعتادة، بل ظهر مسنًا نحيلا ذا عضلات متناسقة تفتقر للضخامة وليست القوة، على جسده صدريٌّ من الجلد الأسود، يرتديه على سروال واسع من الكتان، وقد طال شعره حتى سال على كتفيه، وقد زينت صدره تلك القلادة التي كانت تتوهج بضوء فسفوري خافت، فبدا كأحد كهنة التبت .

وقف الساحر أمام مايا مبتسما، على يمينه رنا التي كانت ترتدى زيًا حالك السواد، وتغطى وجهها بقناع

أسود، فبدت كمقاتل نينجا شرس وهي تقبض على سيف عريض، وعلى يساره وقف معلمها ذو الوجه المعدني يحمل سلاحًا نصف آلي مزودًا بماسورة لإطلاق القذائف قصيرة المدى، كآلة قتل جهنمية لا تبعث إلا الموت .

وعلى عكس المتوقع، وقفت مايا في مواجهته وعلى وجهها ابتسامة أعرض، وكأنها كانت تتوقع حضوره أو تتمناه .

جمدت زهرة الذكرى، ثم تساءلت في دهشة

- «لماذا يبدو الساحر هنا أكثر بشرية!؟ ومن هؤلاء الذين بصحبته؟؟ وكم مرة تواجهتم؟ إن الأمر يثير الدوار !».

أجابتها مايا قائلة

- «ربما يكون قتالنا الأول، وربما الألف؛ مع كل هذا العبث الزمني، لايمكن تحديد وقت أي قتال، ولا من



- «يا إلهي!إنها فوضى شاملة !».

ردت مايا

- «هي فوضى قادنا إليها عقل إلكتروني مجنون أخطأ صانعوه في تطويره وبرمجته، أما بالنسبة لأنه يبدو أكثر بشرية، فهذا لأنه سكن بوعيه جسدًا بشريًا عاديًا، ربما يستطيع تأخير عمليات الأيض وهرم الخلايا ليظهر أكثر شبابا، ولكنه لا يمنعها تماما ».

كما أن العقل البشري الذي يسكنه معجزة إلهية خالصة لا يملك كل أسرارها، وما فعله بالسحر والتكنولوجيا المتطورة، هو مجرد نقل جزء من وعيه بعد أن تحول لمجموعة من الصيغ، والأوامر الكيمائية، والكهربية، لمخ الوسيط. وتقليص الوعي جعل عقل الوسيط البشري يتكيف مع الوضع، ثم يحتويه، وفي النهاية ذاب الحاجز بين الوعي الصناعي والحقيقي، وصار تفاعله بشريا، بعد أن محا تماما هوية صاحب الجسد، وبدأ يظهر عليه أثر الزمن .

ولأن للعقل البشري مهما تصورنا حدودٌ، فلم يستطع أن ينقل معه إلا جزءًا محدودًا من الكم الهائل من المعرفة الذي جمعه كعقل إلكتروني فائق، عبر سنوات عمره التي لا حصر لها .

وهذا جعله يصنع ما يسمى سجلات الزمن، وهي وسيلة يستطيع عن طريقها التواصل مع الطوطم نفسه، والذي أصبح مجرد عقل متطور بلا وعي ذاتي، وإن كان يمتلك قدرات معرفية هائلة. وكانت عصاه التي لا يتحرك من غيرها هي وسيلته المتطورة للغاية للتواصل معه، وهي التي منحتنا أسرار السفر عبر الزمن، وهي التي جعلتنا نسيطر على الطوطم في أحد الأزمنة، ونستخدمه في مواجهة تلك الفوضى ».

قالت زهرة في دهشة عظيمة

- «هل معنى هذا أنه صار بشريا بالفعل!؟ ».

أجابت مايا

- «هو يشبه ما يحدث مع النبات عند تلقيحه بجزء من نبات آخر. امتزج معه، ولم يَصِر هو، ولكنهما صارا في النهاية كيانًا واحدًا، وكانت الغلبة للعقل والمشاعر البشرية، وهذا أكثر مما كان يطمح إليه .

صمتت ثم استطردت

- «أما بالنسبة لمن يصاحبونه في رحلته، فهذه رنا.. كانت الخطة (ب) في حالة فشل في أن يتوصل إلي مكاني عن طريقك في هذا الزمن؛ فالخنجر الذي تركته لها لتقتل نفسها كان مطلسما، وتتبُّع أثر هذا السحر يقوده إلى مكاني ».

«لقد نجح في إنقاذها من تحلل ذلك المخلوق الطفيلي في دمائها. وها هي قد أتت لترد له الدين.وأما عن صاحب الوجه المعدني، فهو أحد أقرب رجاله إليه. يطلقون عليه (المعلم)، وهو لا يقل قوة ولا دهاءً عن الساحر نفسه ».

«لقد استعان الساحر هذه المرة بكل ما استطاع الوصول إليه من موارد وقوى ورجال، متتبعا طرف الخيط الذي ألقيته في طريقه وكان طرف الخيط هذا أول خيط في مصيدة العنكبوت التي نصبتها لاجتذابه ».

ترددت زهرة قبل أن تقول

- «هل كل هذا استنتاجات؟؟ ».

ابتسمت مايا وقالت

- «تابعي؛ لتحصلي على إجاباتك بنفسك ».

وهذه المرة قررت زهرة ألا تقاطع تلك الذكريات حتى تنتهي منها، وعندما عادت وجدت الساحر يقول

- «أخيرا يا مايا !».

ردت مايا بطريقة مستفزة

- «أخيرا أيها الحقير !».

كان هذا هو الحوار القصير، والوحيد الذي دار بينهما، بعدها تحول القبو إلى ساحة قتال ضارية .

وبدون مقدمات، توتر هواء المكان، وهز المكان صوت أربع انفجارات محدوة، وتكوّنت على إثرها أربع من هالات الحماية المتألقة حول العقول الحية، في حين انفتحت خمس كوات في سقف القبو هائل الحجم، ليهبط منها العشرات من رجال مايا المسلحين، والذين غمروا القبو بقنابل الدخان، والرصاصات القوية، والتي كانت تتجه كلها نحو رنا، والرجل ذي القناع المعدني. وفي نفس التوقيت الذي اشتبك مثلهم مع رجال الساحر الذين حاصروا القصر من الخارج تمهيدا لاقتحامه .

وعلى الفور تحركت رنا كمقاتل نينجا بارع، وهي تتفادى الرصاصات والقذائف التي يمطرها بها رجال مايا، لتسبح في الهواء، قبل أن تهبط وسط المهاجمين، لتمزقهم إربا بسيفها البتار السريع، في حين أطلق صاحب القناع المعدني قذائفه ورصاصاته تجاه المهاجمين، وهو يتحرك بسرعة رهيبة كشبح. وعندما

نفذت منه الرصاصات والقذائف، مع هجوم رجال مايا الذين بدوا وكأنهم بلا عدد، استل سيفه بدوره، واشترك في المذبحة .

في نفس الوقت الذي تصدت فيه مايا لهجوم الساحر الغاضب، الذي كوَّر يديه لتنبت بينهما من العدم كرة نار حارقة ألقاها نحو مايا، التي قفزت إلى أعلى قاطعة عدة أمتار، وهي تصوب نحوه عشرات من النجوم المسمومة، التي تفاداها في بساطة وخفة .

قبل أن يقف على قدميه ويردد تعويذة محظورة، وعلى إثرها، انسحبت كل سحب الدخان التي تغمر المكان لتتحول إلى أشباح دخانية شبه بشرية هاجمت مايا في ضراوة .

وعلى إثر الهجوم المفاجئ تراجعت مايا، وقد ظهر على وجهها القلق، وهي تردد في سرعة تعويذة حماية خاصة، صنعت أمامها حائلا غير مرئي أحرق بعضًا من تلك الأشباح الدخانية، التي سرعان ما تلاشت، قبل أن تتجاوزه لتتشكل على مسافة قريبة منها، أجبرتها على

استخدام قدراتها الجسدية في مراوغتها، وفي النهاية لم تجد أمامها إلا أن تفعِّل هالة الحماية الكهرومغناطيسية حولها .

واصطدمت بالهالة المتألقة، تلك الأشباح الدخانية، وتلاشت على الفور؛ لتنفجر بعدها قبة الحمايةالتي تحيط بمايا، نتيجة كرة النار العملاقة التي أطلقها الساحر عليها، والذي طفا بجسده في فضاء المكان، ثم ردد تعويذة جديدة، وعلى إثرها انطلقت عشرات الصواعق في المكان، أبادت نصف رجال مايا، وأصابت الباقين بإصابات بالغة، استغلتها رنا، والرجل ذو الوجه المعدني، في الإجهاز على ما تبقى من رجال مايا، الذين أغرقت دماؤهم وأشلاؤهم المكان .

ليندفع بعدها الرجل ذو الوجه المعدني بسرعة نحو إحدى الهالات التي تحمي العقول، لينفذ الجزء الثاني من خطة الساحر .

كان الوضع محتدما، وضبابيا، وكان من الواضح أن الساحر لم يُضِع وقته في هذا الزمن هباءً، وطور

قدراته السحرية والذهنية، وبدأ في مفاجأتها،مما أجبرها على استخدام أقوى ما تمتلكه من فنون السحر السوداء .

وعلى الفور رددت التعويذة التي جعلت جدران القبو نفسه ترتجف في عنف، وفي لحظة واحدة، تحول المكان كله إلى حفرة من حفر جهنم. ومع فساد هالة الحماية الخاصة بها، كان من الواضح أنها النهاية للجميع .

وعلى الفور، احترق جسد رنا التي كانت تقاتل دفعة جديدة من رجال مايا، ومعها مهاجميها، ليتبعها احتراق جسد ذلك الرجل ذي الجسد المعدني، والذي انفجر بعدها في قوة مع ذلك الكم الكبير من المتفجرات الذي كان يحمله في حزامه الناسف، والذي كان سيستخدمه في نسف هالات الحماية التي تحمي العقول كاشفا خطة الساحر البديلة .

وبرغم قوة الانفجار، إلا أن النيران المستعرة احتوته في قلبها وقللت تأثيره، ليحيط الساحر نفسه بهالة

حماية سحرية، لم تكن بالقوة المرجوة، ولكنها منحته بعض الوقت،وجعلته يتجه من الهجوم للدفاع .

لم يكن استخدام مايا لتلك التعويذة عشوائيا؛ ربما أجبرها الساحر على استخدامها مبكرا، ولكنها كانت ضمن خطتها؛ فقبل أن تستعر النيران بجزء من الثانية،استجمعت مايا كل قوتها، وألقت بجسدها نحو جزء معين من أرضية القبو،وهي تردد في قوة

- «كود الاحتواء !».

وعلى الفور انفتح في الأرضية جيب مؤمن قام باحتواء جسدها، وحماها من النيران التي التهمت كل من كان في القبو عداها هي والساحر، في حين غمر المكان سائل لزج مطلسم بتعويذة قوية قادرة على إبطال كل أنواع السحر .

أطفأ هذا السائل الثقيل النيران السحرية، وأبطل عمل هالة الحماية التي أحاطت بالساحر، قبل أن يلتصق بجسده ويحيط به، ليقيده في قوة، وكأن له حياة

خاصة وإرادة، ليغمر المكان غاز كثيف مخدر، غمر رئتيْ الساحر، وقلل من حدة وعيه، وتبعه تلاشي قباب الحماية عن العقول، التي أطلقت كامل قوتها العقلية، لتكبح قوى الساحر العقلية التي بدأ يستعملها، حتى همد جسده تماما .

وهنا توقفت الذكريات تماما، وتلاشت مايا من عقل زهرة، لتعود ببطء إلى عالم الواقع، لتجد مايا أمامها مبتسمة، لتبادرها في دهشة

- «يا إلهي! أمازال حيا!؟ .

أجابتها مايا في هدوء

- «إنه أثمن أسرى السرداب ».

برغم إجابة رحلتها العقلية عن كل التساؤلات، إلا أن المزيد منها كان يمرح في رأسها فألقته على مسامع مايا

- «كيف عدتِ من الماضي السحيق لهذا الزمن!؟ هل بالفعل أنهيتِ دورة الحياة السادسة كلها وبدأتِ دورة الحياة السابعة؟ ».

قالت بصوتها الرخيم

- «كان أول اصطدام لي بتقنية السفر عبر الزمن، عندما وجدت نفسي سجينة مع الكهنة والطوطم في تلك اللحظة المذهلة التي سبقت بدأ الخلق. كان الأمر بالنسبة لي دربًا من الخيال المعقد، ولكن بعد أن تسببتْ قذائف الكيان الموجية في إرباك أنظمة الطوطم وساعدني على هزيمته، بعد أن كان قد ساعدني في تخطي كواشف غرفة التطهير الذهنية أثناء تهيئتي لبدء طقوس البعث، وأعاد برمجة الآليات على المسرح تمهيدا لخطوته التالية .

وبعد أن ساعدني الكهنة في التغلب على الكيان، كان علينا أن نبدأ رحلتنا في العودة إلى عصرنا. وعندما قمنا بالانتقال، اكتشفنا أن ما قام به الكيان لتعطيل قدرات الطوطم، تسبب في خلل عظيم في أجهزة

الانتقال، مما خلَّف فجوة في جدار الزمكان، ألقت بنا في هذا الخط الزمني. إغلاقنا لهذه الفجوة، هو ما سيكلل كل ما قمنا به من نجاحات، وسينهي كل هذا العبث ».

«وبالنسبة لدورات الحياة، فإنها مازالت سرا مستعصيا علينا فهمه. كل مخطوطات زمني كانت تتحدث عن نهاية الحياة، ثم بدئها من جديدعدة مرات، ولم يسأل أحد نفسه (من الذي عاصر نهاية الحياة الأولى، ثم حضر بداية الحياة الجديدة، والتي تلتها، ليسجل تلك الأحداث؟). إن التاريخ والماضي محيران في كل الأزمنة، ما لم يكونا زائفين ».

«وإن كان ما رصدته العقول عبر رحلاتنا العديدة في نهر الزمن، أثبت أن الحياة كلها دورة واحدة تبدأ من لحظة الخلق، إلى لحظة الفناء، وأن كل مادار في حيواتي المتعددة، مجرد عبث خارق في خطوط زمنية موازية للخط الزمني الأصلي. لقد عشنا (ماذا يحدث لو؟) عشرات المرات، وفي كل مرة كان الفناء قريبًا؛ فالخطر لن ينتهي طالما ظلت هذه الفجوة

موجودة؛ لأن عدونا يمتلك نفس التقنية، ومازال خطره قائما، وأن ما قمنا به كان تأثيره مدمرا، على بنية الزمكان وعلى بنيتنا وأجهزتنا ».

«وهذا لا يمنع أني مؤمنة أن كل هذا التأثير المدمر قد يكون هو كنه الإصلاح؛ لأنه لاشيء يتم بدون حكمة، ولا شيء عشوائي في الكون؛ فنفس الحسابات تخبرنا أننا على وشك الالتقاء بخط الزمن الأصلي، لتسير الحياة في خطها المرسوم، كما أخبرتك من قبل، وينتهي الاضطراب الزمني. وهذا ما نكافح من أجله ».

«لقد أدركتُ أن كل الاحتمالات والتغيرات التي تحدث، وبدائلها، جميعها محكومة بمنظومة وقوانين إلهية، حتى الطفرات هي بدائل حتمية في مسيرة الكون والحياة ».

«وجودي ووجودك، ووجود الخير والشر، قتالنا ضده وقتاله ضدنا، صراعنا وما ينتج عنه من نتائج.. كلها أشياء حتمية ».

«وحتميتها في أنها مرصودة، ومعروف نتائجها مسبقا مهما تعددت احتمالاتها؛ فكل كائن حي لديه ذكاء يخلق قدره الخاص، وتتشابك تلك الأقدار لتكوَّن قدر الأجناس الكلي ».

«الحقائق واضحة وجلية، والطريق إليها مرتبط بالإيمان. نحن مسؤولون عن كل قراراتنا، ولكننا لسنا وحدنا؛ فهناك العناية الإلهية التي تصحبنا، وهناك الإله القادر على تبديل المسارات لصالحنا مهما ظهر لنا أنه عكس ما كنا نرغب. فقط كل ما ينقصنا كان الإيمان ».

«وكنه الإيمان الحقيقي، أن تسلَّم مقاليدك لمن سيقودك للطريق الصحيح ».

كان حديثها يلمس شيئًا ما في أعماق زهرة، ولكنه كان يخالف كل ما يحيط بها، وما من أجله صُنِع السرداب .

وهنا قالت زهرة

- «أعتقد أن حديثك يتنافى مع أفعالك يا أمي ».

وهنا شعرت بها زهرة تقرأ أفكارها، فلم تقاومها حتى انتهت، وقالت

- «أنتِ الآن تملكين جزءًا من الإجابة. يمكنك البحث عن الجزء الغامض بنفسك، الحياة ليست أبيض وأسود؛ الحياة لوحة هائلة من الرمادي العظيم. ليس طريق الخير دائمًا مفروشًا بالورود، وإلا لما كنا نقاتل من أجل حفظ توازنه. كل من سُجِن في السراديب، وصل إليه نتيجة أعماله ».

«السرداب يمنحهم كل مقومات الحياة، ويحافظ على خلاياهم، ويجددها من عام لعام. هذا أقصى ما أملك أن أقدمه لهم. إن هدف وجودهم في هذه الحياة انتهى، ولكن موتهم يتسبب في إرباك غير مبرر للخط الزمني. ربما لهم دور قادم، لم نعلم به، لذا فإنهم سيظلون في السرداب حتى نكتشف سرهم. إنه قدر التعساء؛ فهذا السرداب أفضل ابتكارات الطوطم ليحافظ على حيوية العقول. صار سجنًا أبديًا مخيفًا ».

وبدهشة تساءلت زهرة

- «هل هذه العقول هم آخر جنس الكهنة الذين كانوا في الطوطم!؟ وإن كانوا هم، فأين الطوطم نفسه؟؟ ».

وهنا هبت (مايا) من مكانها وقالت في غموض

- «ألم تخمني بعد؟ »

قالت في ذهول بعد أن قرأت عقلها

- «هل القصر هو الطوطم!؟ ».

هزت رأسها في إيجاب وقالت

- «الطوطم هو القصر، والقصر هو الطوطم.. بل والسجلات الزمنية نفسها جزء من الطوطم، وآلتي الزمنية هي الطوطم.. إنها الحقيقة الكاملة..ألم تستوعبيها بعد!؟ ».

هزت رأسها في ذهول، ولم تنطق بعدها !.

الخاتمة

عندما أنهت مايا رشدي جلسة التدليك المنعشة التي استعادت خلالها ذكريات حياتها القديمة وصراعاتها التي لم تنتهِ، ارتدت ثيابا منزلية مريحة بادية الأناقة، وتوجهت صوب غرفة زهرة،التي تمددت على فراشها مغمضة عينيها في هيئة أقرب إلى النوم، وعلى وجهها الرمادي ابتسامة كبيرة؛ فهي لم تكن تحتفظ بهيئتها البشرية الخالصة أثناء وجودها بالقصر، قبل أن تقول

- «التجسس على العقول عادة زنيمة يا زهرة. ألم أعلمك ذلك!؟ ».

نهضت زهرة من رقادها مبتسمة، وتربعت في منتصف الفراش، لتجيبها بسرعة

- «لا يوجد تجسس على من سمح لكِ بالدخول يا أمي؟ ».

ردت مايا بجدية

- «لم أسمح لكِ إلا بعد ولوجك لعقلي بالفعل ».

فتساءلت زهرة بخبث

- «وهل معنى هذا أني حظيت بثقتك الكاملة؟ ».

أجابتها بهدوء

- «لا أحد يحظى بثقتي الكاملة مهما كانت درجة قربه مني، فاحرصي على هذه المعلومة جيدًا ».

هزت زهرة رأسها بالإيجاب ثم قالت

- «إن الأمور مازالت متشابكة ومعقدة في رأسي، ولستُ مقتنعة حتى هذه اللحظة بأن الخطر الرئيسي انتهى ».

جلست ماي آر على طرف الفراش، وأشعلت سيجارة، ثم قالت

- «ما هدفك الحقيقي من هذه المحادثة يا زهرة؟؟ ».

أجابت زهرة على الفور، دون لف أو دوران

- «أريد أن أعلم سبب منعك لي عن التواصل مع الساحر الأسير».

اكتسى وجه مايا بالجدية قبل أن تقول

- «لا أحد يفتح باب الجحيم دون أن يحترق، وأنا لستُ بالحماقة لأنفذ لك رغبة مماثلة تحرقنا جميعا. وأنتِ، لا تكوني بهذه الحماقة لتسيري خلف رغبة مدمرة. إنه يخضع لنوع خارق من الحجب، حتى أنا لن أستطيع تجاوزه، ولابد وأن رصدك له هو ما يستفزك».

وكأنما كانت تتوقع الرد، فقالت زهرة

- «إن فضولي لا حد له، وحتى الآن لم يرتوِ. ولكن أجيبيني عن الشطر الثاني من السؤال.. لماذا أشعر أن الخطر لم ينتهِ؟؟»

وجاءتها الإجابة الصادمة

- «لأنه لم ينتهِ بالفعل، ولكننا نسيطر على كل الأمور».

ردت بدهشة

- «وكيف هذا!؟»

أجابت مايا بهدوء

- «إنني لم أقاتل ساحرًا واحدًا، ولم أتحدَ عقلًا إلكترونيًا واحدًا؛ لقد حاربت ألف احتمال، وألف تطور، وألف تغير نفسي أصابه عبر أزمنة وحيوات لانهائية. وما نجحنا فيه أننا كلما هزمنا تجسدًا له،كنا نفنيه من خط الزمن الذي يظهر فيه تماما».

«الساحر/الطوطم لم يكن موفقًا دائما في كل خطواته وتحركاته، واختياراته؛ لأن كروت اللعبة جميعها ليست في يده؛ فللكون قوانينه وخططه. وربما كان الساحر أحدها دون أن يدرك حكمتها».

«كان هناك ألف عامل متغير يؤثر على قراراته في كل خط زمني تحرك من خلاله لتنفيذ مخططاته الشاذة؛

ففي أحد الأزمنة فشل في الوصول إلى لحظة الاستقرار الزمني القريبة من بدء الخلق، وظلت نسخة منه تدور في دورة مفرغة إلى الأبد. وفي زمن آخر نجح في الوصول إليها، ووصل بنجاحاته المؤقتة إلى لحظة الفناء الجديدة بعد التشوه الزمني الذي تسبب فيه ».

«وفي زمن مختلف حاز كل فنون السحر الأسود، وفي زمننا هذا هزمناه ومنعناه من التوصل لأخطرها ».

«كان يطاردنا، وكنا نطارده، وظلت الاحتمالات لانهائية. ولكننا مع الوقت استطعنا حصرها، عندما أدركنا أن الخلل في الانتقال عبر الزمن كان يقود في النهاية لهذا الخط الزمني الرئيسي، أو ما نطلق عليه (الخط الأصلي). فبذلنا كل جهودنا للسيطرة عليه، قبل أن يستعيد نفوذه الكامل؛ لأننا لا نعلم هل سنستطيع العودة بالزمن مرة أخرى لتلافي المستجدات أم لا، مع خوفنا من أن يصنع عبثنا في الزمن، تشوهًا جديدًا يدمر كل ما سعينا للحفاظ عليه ».

«لذلك كنا كالحراس على بوابة هذا الخط الزمني الأخير، ونقطة العبور الوحيدة، والتي تقود إليها آلاف الخطوط الزمنية الأخرى. ويوما ما سنستطيع إنهاء ذلك العبث. هذه مهمتنا التي ستحمليهنا في ذاكرتك التراكمية عبر الأجيال ».

«قد نفنى.. ولكنها ستظل حية حتى إصلاح ذلك الخلل، أو فناء الكون كله ».

كانت زهرة لا تفضل لهجة مايا التعليمية، ولا حذرها في مدها بالمعلومات. وبرغم قيامها بالتجسس على عقلها، إلا أنه بقي هناك سؤال أخير لم تحصل له على إجابة، فطرحته دون أن تتوقع وجودها

- «وما مصير ذلك الكيان الهائل الذي قام الطوطم بصناعته؟؟ وكيف لا يظهر في هذه الأحداث بالقوة المطلوبة!؟؟ لا أعتقد أن وجوده في بعد له ذبذبه مختلفة تمنعه من الاشتراك في الأحداث ».

ابتسمت مايا وقالت

- «فضولك قاتل يا زهرة، ولا يتوقف أبدا عند حد. وهذه المرة سأجيبك؛ ليس لأنكِ حُذتِ ثقتي الكاملة، أو أنني مللتِ من إلحاحك، ولكن لأن هذا الخطر خطر حقيقي ومؤجل، ولكنه موجود ويفزعنا ».

«عندما انتقلنا إلى دورة الحياة الجديدة -هذه لو صحت لنا تسميتها بهذا الاسم-بعد حدوث الخلل الكبير في أجهزة الانتقال، أدركنا جميعا-أنا والكهنة-أننا ننفذ مشيئة عليا. وأن دورة حياتنا كلها، كان الهدف منها هو لحظة الوصول عبر هذا الخلل إلى حيث تم إرسالنا؛ كي نحمي هذه الدورة الزمنية من الخطر الذي نشأ كطفرة في تاريخ الكون. ولذلك كان حرصنا الكبير على أسر الساحر حيا ».

فبرغم وجود ذلك الكيان الهائل في بعد وذبذبة مختلفين -وهذا ما حرص عليه الطوطم عند بنائه؛ ليتلافى رصده من مخلوقات الكون المتنوعة، وفي نفس الوقت يحتجزه في سجن طبيعي جهنمي-ومع تحرره الجزئي؛ فحساباتنا تدل على أنه هو سبب الفناء القريب الذي رأيناه في كل رحلاتنا نحو

المستقبل؛ فعقل إلكتروني جبار مثله استطاع تتبع الطوطم إلى نقطة الاستقرار الزمني بجزء بسيط من قدراته، قادر على رصد كل التغيرات التي أتت بنا إلى هذه الحياة. ويوما ما سيكون هنا

وسنكون بانتظاره

ومعنا أخطر أسلحتنا ..

أنتِ ، والطوطم المتجسد الذي أوشكنا على السيطرة عليه .

ستكون لعبة زمنية عبثية، ولكننا أجدنا تلك الألعاب منذ زمن بعيد. ويوما ما سيعود الزمن إلى مساره، وسنتلاشى جميعا، ولن نتواجد إلا كأحداث عابرة في ذاكرتك التراكمية المذهلة .

أنتِ والطوطم المتجسدخط دفاعنا الأخير، ضد الفناء العظيم .

هذا هو سرك ومهمتك !.

تمت بحمد الله

شكر خاص

على جهدهم في ظهور هذا العمل .

أ. أحمد رمضان .

أ. نورا راشد .

صدر للكاتب

- نصف حياة – رواية
- أيام الرماد – رواية
- عزيف – رواية
- الاستدعاء الأخير – رواية
- سايكو – مجموعة قصصية
- شمس المعارف – رواية
- لقاء مع ميت– رواية

- أوديسا الظلام-رواية

- أحبك أكثر-رواية

للتواصل مع الكاتب

E-mail: A_elmenofy@yahoo.com

Facebook: https://www.facebook.com/a.elmenofy?ref=tn_tnmn